قال: ففعلت، وخرجت مسرعاً إلى الكوفة، وبات عمر، فلما أصبح بعث في أثري رسولاً،
فما أدركني حتى دخلت الكوفة، فأنخت بعيري، وأناخ بعيره على عرقوب بعيري، وقال،
الحق بأمير المؤمنين.
قال: فركبت معه، وقدمت على عمر، فلما رآني قال: مالي وللسائب! قلت: وماذا؟ قال:
ويحك، والله ماهو إلا نمت الليلة التي خرجت فيها، فأتت الملائكة تستحثني إلى السفطين
يشتعلان ناراً، يقولون، لنكوينك بهما، فأقول: إني سأقسمهما بين المسلمين، فخذهما عني
فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم.
قال: فخرجت بهما فوضعتهما في مسجد الكوفة، فابتاعهما مني عمرو بن حريث
المخزومي بألفي ألف درهم، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاج فباعهما بأربعة آلاف ألف، فما
زال أكثر أهل الكوفة مالاً.
قال: وكان سهم الفارس بنهاوند ستة آلاف، والراجل ألفين.
ولما قدم سبي نهاوند المدينة، جعل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لا يلقى منهم صغيراً إلا
مسح رأسه وبكى، وقال: أكل عمر كبدي، وكان من نهاوند، فأسرته الروم، وأسره
المسلمون.
وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند فتح الفتوح؛ لأنه لم يكن للفرس بعده اجتماع، وملك
المسلمون بلادهم. والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله وحده.
فتح دينور والصيمرة
وغيرهما:
لما انصرف أبو موسى الأشعري من نهاوند، وكان قد جاء مددا على بعث أهل البصرة،
فمر بالدينور، فأقام عليهما خمسة أيام، وصالحه أهلها على الجزية، ومضى، فصالحه أهل
الشيروان على مثل صلحهم، وبعث السائب الأقرع إلى الصيمرة وهي مدينة مهرجان قذق
ففتحها صلحاً، والحمد لله وحده، وصلى الله علي سيدنا محمد.
فتح همذان
والماهين وغيرهما:
لما انهزم المشركون من نهاوند دخل من سلم منهم همذان، فحاصرهم نعيم بن مقرن
والقعقاع بن عمرو، فلما رأى ذلك خسرشنوم استأمنهم، وقبل الجزية على أن يضمن همذان

ودستي، وألا يؤتي المسلمون منهم، فأجابوه إلى ذلك وأمنوه هو ومن معه من الفرس، وأقبل
كل من كان هرب، وبلغ الخبر أهل الماهين، فاقتدوا بخسر شنوم، وراسلوا حذيفة، فأجابهم،
ودخل ماه دينار، وبهراذان على مثل ذلك. وكان قد وكل النسير بن ثور بقلعة قد لجأ إليها
قوم، فحاصرهم وافتتحها، فنسبت إلى النسير.
ولما رجع نعيم والقعقاع، كفر أهل همذان مع خسر شنوم، فخرج نعيم بن مقرن غليها في
سنة اثنتين وعشرين، واستولى على جميع بلادها وحاصرها، فسأله أهلها الصلح ففعل،
وفتحها الثانية، وقبل منهم الجزية. وقيل إن فتحها كان في سنة اربع وعشرين، بعد وفاة
عمر بستة أشهر. والله أعلم.
قال: وبينما نعيم بهمذان في الفتح الثاني، وهو في أثني عشر ألفاً من الجند، فكاتب الديلم،
وأهل الري، وأذربيجان، إذ خرج موتى في الديلم، ونزل بواج الروذ، وأقبل الزيني أبو الفرخان
في أهل الري وأقبل إسفنديار أخو رستم في أهل أذربيجان، فاجتمعوا وتحصن منهم أمراء
المسالح، وبعثوا إلى نعيم بالخبر، فاستخلف يزيد بن قيس الهمذاني، وخرج إليهم، فاقتتلوا
بواج الروذ قتالاً شديداً، وكان وقعة عظيمة تعدل وقعة نهاوند، فانهزم الفرس أقبح هزيمة،
وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأرسل نعيم إلى عمر بقصد الري، وقتال من بها، والمقام بها بعد
فتحها.
وقيل: إن المغيرة بن شعبة، وهو عامل الكوفة أرسل جرير ابن عبد الله إلى همذان، فقاتله
أهلها، وأصيب بسهم في عينه، فقال: أحتسبها عند الله زين بها وجهي.
وقيل: كان فتحها على يد المغيرة نفسه. وقيل: فتحها قرظة ابن كعب الأنصاري رضي الله
عنه، والله تعالى أعلم وهو حسبنا ونعم الوكيل.
فتح أصبهان وقم وقاشان
وفي سنة إحدى وعشرين بعث عمر رضي الله عنه عبد الله ابن عبد الله بن عبتان إلى
أصبهان، وكان شجاعاً من أشراف الصحابة، ووجوه الأنصار، وأمده بأبي موسى
الأشعري، وجعل على مجنبتيه عبد الله بن ورقاء الرياحي وعصمة بن عبد الله، فسار إلى

نهاوند ورجع حذيفة إلى عمله على ماسقت دجلة وما وراءها.
وسار عبد الله فيمن كان
مته ومن تبعه من جند النعمان الذين بنهاوند نحو أصبهان، وعلى جندها الأسبيذان،
وعلى مقدمته شهريار بن جاذويه(شيخ كبير) في جمع عظيم، فالتقى المسلمون ومقدمه
المشركين برستاق لأصبهان، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فبرز الشيخ ودعا إلى البراز، فبرز له عبد
الله بن ورقاء فقتله عبد الله، وانهزم الفرس؛ فسمي ذلك الرستاق برستاق الشيخ،
وصالحهم الأسبيذان على الرستاق، وهو أول رستاق أخذ من أصبهان.
ثم سار عبد الله إلى مدينة جي، وهي مدينة أصبهان، والملك بأصبهان الفاذوسفان،
فنزل بها، وحاصرها، فصالحه الملك عليها، على الجزية على من أقام، وأن يجزي من
أخذت أرضه عنوة مجزاهم ومن أبي ذهب كان أرضه للمسلمين.
وقدم أبو موسى على عبد الله من ناحية الأهواز، وقد صالح القوم، وفدخل القوم في الذمة
إلا ثلاثين رجلاً من أهل أصبهان لحقوا بكرمان، ودخل عبد الله ومن معه المدينة، وكتب
بذلك إلى عمر، فكتب إليه: أن سر حتى تقدم على سهيل بن عدي؛ حتى تكون معه على
قتال من بكرمان. فاستخلف على أصبهان السائب بن الأقرع، ولحق بسهيل قبل وصوله
إلى كرمان، وافتتح أبو موسى قم وقاشان.
فتح قزوين وأبهروزنجان
وفي سنة اثنتين وعشرين بعث المغيرة بن شعبة وهو أمير الكوفة البراء بن عازب في جيش
إلى قزوين، وأمره فتحها أن يغزو الديلم.
فسار حتى أتى أبهر، وهو حصن، فقاتلوه، ثم طلبوا الأمان، فأمنهم وصالحهم، ثم غزا
قزوين، فأرسل أهلها إلى الديلم يطلبون النصرة منهم، فوعدهوهم، فوصل المسلمون إليهم،
فخرجوا لقتالهم الديلم وقوف على الجبل لا يمدون يداً، فلما رأى أهل قزوين ذلك طلبوا
الصلح، فصالحهم على مثل صلح أبهر. وغزا الديلم حتى أدوا إليه الأتاوة، وغزا جيلان
والطيلسان، وفتح زنجان عنوة.
ولما ولى الوليد بن عقبة الكوفة، غزا الديلم، وجيلان وموقان، والبير والطيلسان، والله
سبحانه وتعالى أعلم.

فتح الري

قال: وسار نعيم بن مقرن من واج الروذ بأمر عمر حتى قدم الري، وخرج الزيني أبو الفرخان منها، فلقى نعيماً طالباً ومسالماً ومحالفاً لملك الري وهو سياوخش بن مهران بن بهرام بن جوبين، فاستمد سياوخش أهل دنباوند وطبرستان وقومس، وجرجان، فأمدوه، والتقوا مع المسلمين في سفح جبل الري الذي بجانب مدينتها، فاقتتلوا.

وكان الزينبي قال لنعيم: إن القوم قد كثروا وأن في قلة، فأبعث معي خيلاً لأدخل بها مدينتهم من مدخل لا يشعرون به، وناهدهم أنت، فإذا خرجنا نحن عليهم فإنهم لا يثبتون لك. فبعث معه خيلاً من الليل، عليهم ابن أخيه المنذر بن عمرو، فأدخلهم الزيني المدينة، والقوم لا يشعرون، وبيتهم نعيم، فشغلهم عن مدينتهم، واقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من روائهم، فانهزموا، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأفاء الله تعالى على المسلمين بالري نحو مما في المدائن، وصالحهم الزيني على الري، وأخرب نعيم مدينتهم، وهي التي يقال لها: العتيقة.

فأمر الزيني فبنى مدينة الري، وكتب نعيم إلى عمر بالفتح، وبعث بالأخماس، وراسله المصمغان في الصلح على شيء يفتدي به منه على دنباوند، فأجابه على ذلك.

وقد قيل: إن فتح الري كان على يد قرظة بن كعب بن ثعلبة الخزرجي في سنة ثلاث، حكاه أبو عمر عبد البر.

وقيل: في سنة إحدى وعشرين. وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم. بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

قومس وجرجان وطبرستان:

قال: لما ارسل نعيم بن مقرن إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالفتح والأخماس كتب إليه عمر رضي الله عنه بإرسال سريد بن مقرن ومعه هند بن عمرو وغيره إلى قواميس، وفسار سويد نحوها، فلم يقم له احد، فأخذها سلماً، وعسكر بها، وكاتبه الذين لجئوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المفاوز، فأجابهم إلى الصلح والجزية، وكتب لهم بذلك.

ثم سار سويد إلى جرجان، فعسكر ببسطام، وكتب إلى ملك جرجان وهو رزبان صول،
فصالحه على الجزية وكفاية جرب جرجان، وأن يعينه سويد إن غلب، فأجابه سويد إلى
ذلك، وتلقاه رزبان قبل دخوله جرجان، ودخل معه، وعسكر سويد بها حتى جبى
الخراج، وسد فروجها بترك دهستان، ورفع الجزية عمن قام معه بمنعها، وأخذها من
الباقين.
وقيل: كان فتحها في سنة ثماني عشرة، وقيل: في سنة ثلاثين في خلافة عثمان.
قال: وأرسل الإصبهبذ صاحب طبرستا إلى سويد في الصلح، على أن يتوادعا بها ويجعل
له شيئاً على غير نصر ولا معونة على أحد، فقبل ذلك منه، وكتب له كتاباً، والله سبحانه
وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.
فتح أذربيجان
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعث بكير بن عبد الله إلى أذربيجان، وأمر نعيم بن
مقرن أن يمده بسماك بن خرشة، فأمده به بعد فتح الري، فسار بكير حتى طلع بجبال
جرميذان، فطلع عليه إسفنديار بن الفرخزاذ مهزوماً من واج الروذ، فاقتتلوا، فهزم الله
الفرس وأخذ إسفنديار اسيراً، فقال له إسفنديار: الصلح أحب إليك أم الحرب؟ قال: بل
الصلح. قال: أمسكني عندك؛ فإن أهل أذربيجان إن لم أصالح عليهم، أو أجئ لهم لم
يقوموا لك، وجلوا إلى الجبال التي حولها، ومن كان على التحصين تحصن ليوم مائن فأمسكه
عنده وصارت إليه البلاد إلا ما كان من حصن. وقدم عليه سماك بن خرشة، وإسفنديار
في أسره، وقد افتتح مايليه، وافتتح عتبة بن فرقد ما يليه.
وكتب بكير إلى يستأذنه في التقدم، فأذن له أن يتقدم نحو الباب، وأن يستخلف على
ماافتتحه، فاستخلف عتبة بن فرقد، فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان
افتتحه، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد. وكان بهرام بن الفرخز إذ قصد طريق
عتبة، فاقتتلوا، فانهزم بهرام، فلما بلغ خبره إسفنديار وهو في الإسار عند بكير، قال: الآن
تم الصلح، وطفئت نيران الحرب، فصالحه وأجاب أهل اذربيجان إلى ذلك، وعادت سلماً،

وكتب بكير وعتبة بذلك إلى عمر، وبعثا بالخمس.
ولم اجمع عمر لعتبة عمل بكير، كتب لأهل أذربيجان كتاباً بالصلح.

فتح الباب

كان فتح الباب في اثنتين وعشرين، وكان عمر رضي الله عنه تعالى عنه رد أبا موسى
الأشعري إلى البصرة، وبعث سرقة بن عمرو، وكان يدعى ذا النور إلى الباب، وجعل على
مقدمته عبد الرحمن ابن ربيعة، وكان يدعى ذا النور أيضاً، وعلى مجنبتيه حذيفة بن أسيد
الغفاري وبكير بن عبد الله الليثي وكان بكير قد سبقه إلى الباب عند منصرفه من
أذربيجان، وجعل على المقاسم سلمان بن ربيعة الباهلي.
وكان عمر قد أمد سراقة بحبيب بن مسلمة من الجزيرة، وجعل مكانه زياد بن حنظلة،
فسار سراقة وعبد الرحمن بن أمامه، فلما أطل عبد الرحمن على الباب كاتبه ملكها
شهريار، من ولد شهريار الملك، واستأمنه على أ، يأتيه، ففعل فأتاه فقال له: إني نازل بإزاء
عدو كلب، وأمم مختلفة ليس لهم أحساب، ولا ينبغي لذى الحسب والعقل أن يعينهم على
ذي الحسب، وأنتم قد غلبتم على بلادي وأنا منكم، ويدي في أيديكم، وجزيتي إليكم،
والنصر لكم، والقيام مما تحبون، لا تسوموا الجزية، فتوهنونا لعدوكم، فسيره عبد الرحمن إلى
سراقة، فلقيه بمثل ذلك، وقال: لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو، فاتفقا على ذلك،
وأجازه عمر رضي الله عنه وأرضاه واستحسنه.

فتح موقان

ولما فرغ سراقة من الباب ارسل بكير بن عبد الله، وسلمان ابن ربيعة، وحبيب بن
مسلمة وحذيفة بن أسيد إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية، فوجه بكيرا إلى موقان،
وحبيبا إلى تفليس، وحذيفة إلى جبال اللان، وسلمان إلى الوجه الآخر، وكتب سراقة
بالفتح وبإرسالهم إلى عمر، فسر بذلك.
ثم مات سراقة بعد أن استوثق له الأمر، واستخلف عبد الرحمن ابن ربيعة، ولم يفتح أحد
من القواد إلا بكير بن عبد الله؛ فإنه صالح أهل موقان على الجزية؛ على كل محتلم دينار،
وذلك بعد أن فض أهل موقان، ثم تراجعوا.

وقيل: كان الفتح في سنة إحدى وعشرين، وأقر عمر عبد الرحمن على فرج الباب، وأمره
بغزو الترك. والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين،وحسبنا الله ونعم الوكيل.
غزو الترك
قال: ولما أمر عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك خرج بالناس حتى
قطع الباب فقال له شهريار:
ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد بلنجر والترك. قال:
إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون الباب. قال عبد الرحمن:
لكنا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم، وتالله إن معنا أقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإمعان
لبلغت بهم الروم. قال: وماهم؟ قال:
أقوام صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخلوا في هذا الأمر بنية فلا يزال النصر
معهم، فغزا بلنجر، فقالوا: مااجترأ علينا غلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهربوا
وتحصنوا، ورجع بالغنيمة والظفر. وقد بلغت خيلة البيضاء على رأس مائتي فرسخ من
بلنجر، وعاد ولم يقتل منهم أحد، ثم غزاها أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه غزوات،
فظفر كما كان يظفر.
ثم غزاهم بعد أن كان من أهل الكوفة في حق عثمان رضي الله عنه ما نذكره، فتذامرت
الترك واجتمعوا في الغياض، فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين بسهم وقد قتل خرجوا
على عبد الرحمن ومن معه، واقتتلوا أشد القتال، ونادى مناد من الجو: صبراً عبد الرحمن،
وموعدكم الجنة ! فقاتل حتى قتل، وانكشف أصحابه، واخذ الراية أخوه سلمان بن
ربيعةن فنادى من الجو، صبراً أبا سلمان. فقال سلمان: أوترى جزعاً! وخرج بالناس
على جيلان إلى جرجان، ولم تمنعهم هذه الحرب من اتخاذ جسد عبد الرحمن، فهم
يستسقون به حتى الآن. والحمد لله وحده، وصلى الله على من لانبي بعده.
غزو خراسان
وفي سنة اثنتين وعشرين غزا الأحنف بن قيس خراسان، على قول بعضهم. وقيل: بل
كان في سنة ثمان عشرة وسبب ذلك أن يزدجرد لما سار إلى الري بعد هزيمة أهل جلولاء،

انتهى إليها، وبها أبان جاذوية، فوثب أبان عليه وأخذه. فقال يزدجرد:
يا أبان، تغدر بي! قال: لا؛ ولكن قد تركت ملكك، فصار في يد غيرك، فأحببت أن
أكتب على ماكان لي من شيء، وأخذ خاتم يزدجرد وأكتتب الصكاك بكل ما أعجبه،
وختم عليها ورد الخاتم، ثم أتى بعد ذلك سعداً فرد عليه كل شيء في كتابه.
وسار يزدجرد من الري إلى أصبهان، ثم إلى كرمان والنار معه، ثم قصد خراسان والنار
معه، فنزل مرو، وبنى للنار بيتاً، واطمأن وأمن أن يؤتى، ودان له من بقي من العجم.
وكاتب الهرمزان، وأثار أهل الجبال والفيرزان، فنكثوا، فأذن عمر رضي الله عنه للمسلمين
فدخلوا بلاد الفرس، فسار الأحنف إلى خراسان فدخلها من الطبسين، فافتتح هراة عنوة،
واستخلف عليها صحار بن صخر العبدي. وقيل فيه:
صحار بن عباس بن شراحبيل، ثم سار نحو مرو الشاهجان، فأرسل إلى نيسابور مطرف
بن عبد الله ابن الشخير، وإلى سرخس الحارث بن حسان.
فلما دنا الأحنف من مرو، خرج يزدجرد منها إلى مرو الروذ، ونزل الأحنف مرو
الشاهجان.
وكتب يزدجرد إلى خاقان ملك الترك وإلى ملك الصغد وإلى ملك الصين يستمدهم.
وخرج الأحنف من مرو الشاهجان، واستخلف عليها خالد ابن النعمان الباهلي بعد أن
لحقته أمداد الكوفة. فلما سمع به بزدجرد سار من مرو الروذ إلى بلخ، ونزلها الأحنف،
والتقى أهل الكوفة ويزدجرد ببلخ، فانهزم يزدجرد، وعبر النهر، ولحق الأحنف بأهل
الكوفة، قد فتح الله عليهم، وافتتح ما بين نيسابور إلى طخارستان، وعاد إلى مرو الروذ،
واستخلف على طخارستان ربعي ابن عامر، وكتب على عمر بالفتح. فقال عمر: وددت
أن بيننا وبينها سينقضون منها ثلاث مرات، وكتب إلى الأحنف أن يقتصر على مادون
النهر ولا يجوزه.
قال: ولما عبر يزدجرد مهزوماً، انجده خاقان الترك، وأهل فرغانة والصغد، فرجع يزدجرد
وخاقان إلى خراسان، فنزلا بلخ. ورجع أهل الكوفة إلى الأحنف بمرو الروذ، فنزل

المشركون عليه بها، وكان الأحنف لما بلغه خبر عبور يزجرد وخاقان النهر إليه، خرج ليلاً
يتسمع؛ لعله يسمع برأي ينتفع به، فمر برجلين ينقيان علفاً، وأحدهما يقول لصاحبه: أسندنا
الأمير إلى هذا الجبل؛ فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا، فلا يأتونا
من خلفنا، وكان قتالنا من وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله عز وجل. فرجع، فلما
أصبح جمع الناس ورحل بهم إلى سفح الجبل، وكان معه من البصرة عشرة آلاف، ومن
الكوفة نحو منهم.
واقبلت الترك ومن معها فنزلوا بهم، وجعلوا ينادونهم ويراوحونهم وينجحرون في الليل.
فخرج الأحنف ليلة طليفة لأصحابه؛ حتى إذا كان قريباً من عسكر خاقان وقف، فلما
كان وجه الصبح خرج فارس من الترك وهو مطوق، فضرب بطبلة، ثم وقف، فحمل عليه
الأحنف، فاقتتلا، فقتله الأحنف، وأخذ طوقه، ووقف واحد آخر وآخر بعده، ففعل بهما
كذلك، ثم انصرف إلى عسكره.
وكانت عادة الترك أنهم لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من رجالهم أكفاء، كلهم يضرب
بطبله، ثم يخرجون بعدهم، فلما خرجوا وجدوا فرسانهم، فتطير خاقان من ذلك، وقال:
قد طال مقامنا، وأصيب فرساننا، وليس لنا في قتال هؤلاء القوم خير، ورجع.
وارتفع النهار ولم ير المسلمون أحداً، وأتاهم الخبر بانصراف الترك إلى بلخ، وكان يزدجرد
ترك خاقان يقاتل بمرو الروذ، وانصرف إلى مرو الشاهجان، فلما وصلها تحصن حارثة بن
النعمان ومن معه، فحصرهم، واستخرج خزانته من موضعها.
وأراد أن يلحق خاقان لما بلغه انصرافه عن مرو الروذ إلى بلخ؛ فأشار عليه أهل فارس
بمصالحة المسلمين، فأبى ذلك، فاعتزلوه وقاتلوه، فانهزم، واستولوا على خزائنه، وتوجه هو
نحو خاقان وعبر النهر إلى فرغانة، وأقام ببلد الترك مدة خلافة عمر رضي الله عنه إلى أن
كفر اهل خراسان في زمن عثمان، فكاتبوه وكاتبهم، ثم قتل على ماسنذكره إن شاء الله
تعالى في خلافة عثمان.
قال: ثم أقبل أهل فارس بعد انهزام يزدجرد على الأحنف، وصالحوه ودفعوا له الخزائن،

وتراجعوا إلى بلادهم، واغتبطوا بالمسلمين، فأصاب الفارس يوم يزدجرد كسهمه يوم
القادسية.
وسار الأحنف إلى بلخ ونزلها، ثم رجع إلى مرو الروذ، وكتب بهذا الفتح إلى عمر.
قال: ولما عبر خاقان ويزدجرد إلى النهر، لقيا رسول يزدجرد الذي كان ارسله إلى ملك
الصين قال له:صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فإنى أراك تذكر قلة منهم،
وكثرة منكم، ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل منكم مع كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم.
فقال: سلني عما أحببت. فقال: أيوفون العهد؟ قال: نعم.
قال: ومايقولون لكم قبل القتال؟
اقال: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم فإن أحببنا أجرونا مجراهم، أو الجزية، أو
المنابذة. قال: فكيف طاعتهم في أمرائه؟ قلت: أطوع قوم لرشيدهم. قال: فما يحلون وما
يحرمون؟ فأخبره. قال: هل يحلون ما حرم عليهم، أو يحرمون ما أحل لهم؟ قال: لا. قال:
هؤلاء القوم لا يزالون على الظفر حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم، ثم قال: أخبرني عن
لباسهم، فأخبره، وعن مطاياهم. قال: نعم الحصون! ووصف له الإبل وبركها وقيامها.
فقال: هذه صفة دواب طوال الأعناق.
وكتب معه إل يزدجرد: أنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجند أوله بمرو وآخره بالصين الجهالة بما
يحق على، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها، ولو خلا
لهم سربهم أزالوني ما داموا على وصف، فسالمهم وارض منهم بالمسالمة، ولا تهجهم مالم
يهيجوك.
فأقام بزدجرد بفرغانة ومعه آل كسري بعهد من خاقان.
قال: ولما وصل كتساب الفتح إلى عمر رضي الله عنه، جمع الناس وخطبهم، وقرأه عليهم،
وحمد الله على إنجاز وعده، ثم قال: ألا وإن ملك المجوسية قد هلك، فليسوا يملكون من
بلادهم شبراً يضر بمسلم، ألا وإن الله تعالى قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم
وأبناءهم، لينظر كيف تعملون، فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم؛ فإنى لا اخاف على
هذا الأمة إلا من قبلكم.

وقيل: إن فتح خراسان كان في زمن عثمان رضي الله عنه، وسنذكره إن شاء الله
سبحانه تعالى في موضعه.
شهروز والصامغان
وفي سنة اثنتين وعشرين كان فتح شهرزور؛ فتحها عتبة بن فرقد صلحاً على مثل صلح
حلوان بعد قتال، وصالح أهل الصامغان، ودار أباذ على الجزية والخرادج، وقتل خلقاً كثيراً
من الأكراد، وكتب إلى عمر: إن فتوحي قد بلغت أذربيجان، فولاه إياها، وولى هرثمة بن
عرفجة الموصل، ولم تزل شهرزور وأعماله مضمومة إلى الموصل حتى أفردت عنها في آخر
خلافة الرشيد. والله تعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير،
والحمد لله وحده.
فتح توج
كان فتحها في سنة ثلاث وعشرين، وذلك أنه لما خرج أهل البصرة الذين توجهوا إلى بلاد
فارس أمراء عليها، كان معهم سارية بن زنيم، فساروا، وأهل فارس مجتمعون بتوج، فلم
يقصدهم المسلمون، وتوجه كل أمير إلى الجهة التي أمر بها، وبلغ ذلك أهل فارس، فافترقوا
إلى بلدانهم، كما افترق المسلمون، فكانت تلك هزيمتهم وتشتت أمورهم، فقصدهم مجاشع
بن مسعود بسابور وآذدشير فالتقوا بتوج، واقتتلوا ما شاء الله، ثم انهزم الفرس وقتلهم
المسلمون شر قتلة، وغنموا ما في عسكرهم، وحصروا توج فافتتحوها، فقتلوا منهم خلقاً
كثيراً، وغنموا ما فيها.
وتوج هي التي استنقذتها جيوش العلاء بن الحضرمي ايام طاوس، ثم دعوا إلى الجزية
فرجعواوأقروا بها، وأرسل مجاشع ابن مصعود بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه،
والله تعالى أعلم بالصواب.
فتح اصطخر
وجور وكازرون والنوبندجان:
ومدينة شيراز وأرجان وسينيزوجنابا وجهرم.
وفي سنة ثلاث وعشرين قصد عثمان بن أبي العاص إصطخر فالتعقى هو وأهلها بجور،
فاقتتلوا، وانهزم الفرس، وفتح المسلمون جور، ثم إصطخر، وقتلوا ما شاء الله، وفر منهم

من فر. فدعاهم عثمان إلى الجزية والذمة، فأجابه الهربذ إليهان وتراجعوا.
وكان عثمان قد جمعالغنائم وخمسها، وبعث الخمس إلى عمر، وفتح كازرون والنوبندجان
وغلب على أرضها.
وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز، وأرجان، وفتحا سينيز على الجزية والخراج. وقصد
عثمان أيضاً جناباً ففتحها، وفتح هو وأبو موسى مدينة شيراز، ولقيه جمع من الناس من
الفرس بناحية جهرم فهزمهم وفتحها.
وقيل إن فتح إصطخر كان في سنة ثمان وعشرين، واله سبحانه وتعالى أعلم.
فتح فساور رابجرد
وفي سنة ثلاث وعشرين أيضاً قصد سارية بن زنيم الديلي فساودرا بجرد، وانتهى إلى
عسكرهم وحاصرهم ما شاء الله تعالى ثم استمدوا وتجمعوا، وتجمعت إليهم الأكراد من
فارس، فدهم المسلمين أمر عظيم، وأتاهم الفرس من كل جانب، فرأى عمر رضي الله عنه
فيما يرى النائم تلك الليلة معركتهم وعددهم في السعة التي رأى فيها ما رأى خرج إليهم،
وكان قد رآهم والعدو في صحراء، إن أقام المسلمون فيها أحيط بهم، وإن استندوا إلى
الجبل لم يؤتوا إلا من وجه واحد.
فقام عمر فقال: يا أيها الناس، إنى رأيت هذه الجمعين...
وأخبر بحالهما، وصاح عمر رضي الله عنه وهو يخطب: يا سارية، الجبل الجبل! ثم أقبل
عليهم وقال: إن لله جنوداً؛ ولعل بعضهم أن يبلغ.
فسمع سارية ومن معه الصوت، فلجئوا إلى الجبل، ثم قاتلوهم فهزمهم الله. وأصاب
المسلمون مغانم، وأصابوا سفطا فيه جوهر، فاستوهبه منهم سارية، وبعث به وبالفتح مع
رجل إلى عمر، فقدم عليه، وأخبره، وقصة الجوهر، فصاح به عمر وقال: لا ولا كرامة!
أقسمه بين الجند، وطرده، ورد السفط.
وسأل أهل المدينة الرسول، هل سمعوا يوم الوقعة شيئاً؟ قال: سمعنا: ياسارية الجبل.
وقد كدنا نهلك، فلجأنا إليه، ففتح الله سبحانه وتعالى علينا.
والله أعلم بالصواب،
وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم.
فتح كرمان

وفيها قصد سهيل بن عدي كرمان، ولحقه عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وحشد له
أهلها واستعانوا بالقفص، فاقتتلوا في أدنى أرضهم، فقتل النسير بن عمرو العجلي مرزبانها،
وفتحها المسلمون.
وقيل: إن الذي فتحه عبد الله بن بديل بن ورقاءالخزاعي في خلافة عمر، ثم أتر الطبسين
من كرمان، ثم قدم على عمر فقال: أقطعني الطبسين، وأراد أن يفعل. فقيل: إنها رستاق،
فامتنع.
سجستان
في سنة ثلاث وعشرين أيضاً قصد عاصم بن عمرو سجستان، ولحقه عبد الله بن عمير،
فاستقبلهم أهلها فالتقوا في أدنى ارضهم، فهزمهم المسلمون وأتبعوهم حتى حاصروهم
بزرنج، فطلبوا الصلح على زرند وما سادوا عليه من الأرضيين، واصطلحوا على الخراج،
فكانت سجستان أعظم من خراسان وأبعد فروجاً، يقاتلون القندهار والترك، وأمماً كثيرة.
وقيل في فتح سجستان غير هذا، وسنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه.
مكران
وفيها قصد الحكم بن عمرو التغلبي مكران، ولحق به شهاب بن المخارق وسهيل بن عدي
وعبد الله بن عبد الله بن عتبان، فانتهوا إلى دوين النهر، وأهل مكران على شاطئه،
فاستمد ملكهم ملك السند، فأمده بجيش كثيف، فالتقوا مع المسلمين فهزموا، وقتل منهم في
المعركة مقتلة عظيمة، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم أياماً؛ حتى انتهوا إلى النهر، ورجع
المسلمون إلى مكران فأقاموا بها، وكتب الحكم إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالأخماس مع
صحار العبدى.
فلما قدم المدينة سأله عمر عن مكران، فقال: يا أمير المؤمنين، هي أرض سهلها جبل،
وماوها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير منه قليل،
والقليل بها ضائع، وما وراءها شر منها.
فقال عمر: أشجاع أنت أم مخبر ! لا والله لا يغزوها لي جيش أبداً، وكتب إلى سهيل
والحكم ألا يجوزن مكران أحد من جنود كما، وأمرهما ببيع الفيلة التي غنمها المسلمون،

وقسم أثمانها على الغانمين.
بيروذ
من الأهواز
وهي بفتح الباء الموحدة، وسكون الياء المثناة من أسفل، وضم الراء وسكون الواو وذال
معجمة.
قال: لما فصلت الخيول إلى الكور اجمع ببيروذ جمع كبير من الأكراد وغيرهم، وكان عمر
رضي الله عنه قد عهد إلى أبي موسى أن يسير إلى أقصى ذمة البصرة كما ذكرنا؛ حتى لا
يؤتى المسلمون في أعقابهم. فسار أبو موسى والتقى معهم في شهر رمضان، سنة ثلاث
وعشرين ببيروز من بين نهر تيري ومناذر، فقام المهاجر ابن زياد وقد تحنط، فقاتل حتى
قتل، واشتد جزع الربيع بن زياد على أخيه المهاجر، وعظم عليه فقده، فرق له أبو موسى
واستخلفه على جنده.
وخرج أبو موسى حتى بلغ أصبهان، وكان مع المسلمين بها حتى فتحت ثم رجع إلى
البصرة، وفتح الربيع بن زياد بيروذ، وغنم ماكان تجمع بها.
وأوفد أبو موسى وفدا إلى عمر بالأخماس، وطلب ضبة بن محصن الغنوي أن يكون في
الوفد، فلم يجبه أبو موسى، وكان أبو موسى قد اختار من سبي بيروذ ستين غلاماً. فانطلق
ضبة إلى عمر شاكياً، وكتب أبو موسى إلى عمر يخبره، فلما قدم ضبة على عمر سلم
عليه، فقال: من أنت؟ فأخبرهن فقال: لا مرحبا ولا أهلاً!
فقال: إن أبا موسى انتقى ستين
غلاما من أبناء الدهاقين لنفسه، وله جارية تغدى جفنة، وتعشى جفنة تدعى عقيلة، وله
فقيزان، وله خاتمان؛ وفوض إلى زياد بن أبي سفيان أمور البصرة، وأجاز الحطيئة بألف.
فاستدعى عمر أبا موسى، فلما قدم عليه حجبه أياماً، ثم استدعاه، فسأل عمر ضبة
عما قال: فقال أخذ ستين غلاماً لنفسه. فقال أبو موسى: دللت عليهم، وكان لهم فداء،
ففديتهم وقسمته بين المسلمين، فقال ضبة: ما كذب ولا كذبت، وقال: له قفيزان، فقال أبو
موسى: قفيز لأهلي أقوتهم به، وقفيز للمسلمين في أيديهم يأخذون به أرزاقهم. فقال ضبة:
ما كذب ولا كذبت.

فلما ذكر عقيلة سكت أبو موسى ولم يعتذر، فعلم أن ضبة قد صدقه. قال: وولي زياد،
قال:
رأيت له راياً ونبلاً فاسندت إليه عملي. قال: وأجاز الحطيئة بألف، قال: سددت فمه
بمالي أن يشتمني، فرده عمر، وأمره أن يرسل غليه زياداً وعقيلة، ففعل.
فلما قدم عليه زياد سأله عن حاله وعطائه والفرائض والسنن، والقرآن، فرآه فقيهاً، فرده
وأمر أمراء البصرة أن يسيروا برأيه، وحبس عقيلة بالمدينة، وقال عمر: الا إن ضبة غضب
على أبي موسى ورده مراغماً، إن فاته أمر من أمر الدنيا يصدق عليه، وكذب فأفسد كذبه
صدقه. فإياكم والكذب! فإنه يهدي إلى النار.
سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد
قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتمع إليه جيش من المسلمين، أمر عليهم
اميراً من أهل العلم، فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سلمة بن قيس الأشجعي وقال له:
سر باسم الله تعالى، وقاتل في سبيل الله من كفر بالله ؛ فإذا لقيتم عدوكم فادعوهم إلى
الإسلام، فإن أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة، وليس لهم من الفئ نصيب، وإن ساروا
معكم فلهم مثل الذي لكم، وعليهم مثل الذي عليكم، فإن أبوا فأدعوهم إلى الجزية، فإن
أجابوا فأقبلوا منهم، وإن أبو فقاتلوهم، وإن تحصنوا منكم وسألوا أن ينزلوا على حكم الله
ورسوله، أو ذمة الله ورسوله، فلا تجيبوهم؛ فإنكم لا تدرون ما حكم الله رسوله،
وذمتهما، ولاتغدروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا تمثلوا.
فساروا حتى رأوا عدواً من الأكراد المشركين، فدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، فأبوا
فقاتلوهم وهزموهم، وقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية فقسمها بينهم، ورأى سلمة جوهراً في
سفط، فاسترضى عنه المسلمين وبعثه إلى عمر، فغضب ووجأه في عنق رسوله وأعاده،
فباعه سلمة، وقسم ثمنه في المسلمين، فكان الفص يباع بخمسة دراهم، وقيمته عشرون
ألفاً.
فتوح مصر
وما والاها

كان فتح مصر على يد عمر بن العاص والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وقد اختلف في
السنة التي فتحت مصر فيها، فقيل: في سنة عشرين. وقيل: سنة ست عشرة. والصحيح
أنها فتحت قبل عام الرمادة، وكان عام الرمادة في سنة ثماني عشرة؛ فإن عمرو بن العاص
حمل منها الطعام إلى المدينة في بحر القلزم على مانذكره إن شاء الله تعالى في حوادث
السنين.
وقد اختلف أيضاُ في سبب مسير عمرو إليها، واختلف في كيفية الفتح، وكيف كان.
وقد روى الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم رحمه الله في فتوح
مصر أخباراً بأسانيد متصلة إلى جماعة ممن شهدوا الفتح وغيرهم، اختصرنا ذكرها،
مدارها على ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر وعياش بن عباس العتباني وعلى بن
يزيد ابن أبي حبيب، والليث بن سعد وغيرهمن دخل حديث بعضهم في حديث بعض.
والله سبحاه وتعالى أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله وحده.
ذكر مسير عمرو إلى مصر
قالوا: لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الجابية، قام إليه عمرو بن العاص رضي
الله عنه، وخلا به فقال: يا امير المؤمنين، أئذن لي أن أسير إلى مصر، وحرضه عليها وقال:
إنك إن فتحتها كانت قوة المسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الارض اموالاً، وأعجز عن القتال
والحرب. فتخوف عمر على المسلمين وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عنده، ويهون
عليه فتحها، حتى ركن لذلك، فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك، ويقال: ثلاثة
آلاف وخمسمائة. وقيل: ثلثهم من غافق، وقال له: سر وأنا مستخير الله في مسيرك،
وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله تعالى، فإذا أدركك كتابي بالانصراف عن مصر قبل أن
تدخلها، أوشيئاً من أرضها فانصرف، وإن أنت وصلتها قبل ذلك فامض لوجهك، واستعن
بالله واستنصره.
فسار عمرو من جوف الليل، ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر الله تعالى، فكأنه
تخوف على المسلمين في وجههم ذلك.

فكتب إلى عمرو أن ينصرف بمن معه، فأدركه الكتاب وهو برفح، فتخوف إن هو اخذ
الكتاب، وفتحه أن يجد في الانصراف، فلم يأخذه من الرسول، ودافعه حتى انتهى إلى ثرية
فبما بين رفح والعريش، فسأل عنها فقيل: إنها من ارض مصر فأخذ الكتاب وقرأه على
المسلمين، وقال لمن معه: الستم تعلمون أن هذه القرية من مصر ؟ قالوا: بلى قال: فإن أمير
المؤمنين عهد إلي وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع ؛ ولم يلحقني كتابه حتى
دخلنا ارض مصر، فسيروا وامضوا على بركة الله عز وجل.
وقد قيل: إن عمرو بن العاص كان بفلسطين فقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن عمر،
وكتب إليه يعلمه، فكتب عمر غليه فأتاه كتابه وهو دون العريش، فلم يقرأ كتابه حتى بلغ
العريش فقراهن فإذا فيه:
من عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: أما بعد، فإنك سرت إلى مصر ومن معك، وبها
جموع الروم؛ وإنما معك نفر يسير، ولعمري لو كانوا بكل أمتك ما كانوا لذلك، وماسرت بهم،
فإن تم تكن بلغت مصر فارجع.
فقال عمرو: الحم دلله، أية أرض هذه ؟ قالوا: من مصر فتقدم كما هو. ويقال:بل كان
عمرو في جنده بقيساريه، فكتب إلى عمر بن الخطاب، وعمر إذ ذاك بالجابية، وهو يستأذنه
على المسير إلى مصر، وأمر أصحابه فتنحوا من منزلتهم كأنهم يريدون أن يتحولوا من منزل
إلى منزل، فسار بهم ليلاً، فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا فعله، ورأوا أن قد غرر،
فرفعوا ذلك إلى عمر، فكتب إليه:
إلى العاصي ابن العاص، أما بعد، فإنك قد غررت بمن معك، فإن أدركك كتابي ولم تدخل
مصر فارجع، وإن أدركك وقد دخلت فامض، واعلم أني ممدك.
ويقال: إن عمر رضي الله عنه كتب إلى عمرو بعد فتح الشام: أن أندب الناس إلى المسير
معك، فمن خف معك فسر به. وبعث بالكتاب مع شريك بن عبدة، فندبهم عمرو،
وأسرع في الخروج، ثم دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه على عمر، فأخبره عمر بذلك
فقال: يا أمير المؤمنين، إن عمراً في إقدام وحب للإمارة، فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا

جماعة؛ فيعرض المسلمين للتهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون أم لا!
فندم عمر على كتابه إلى عمرو، وكتب إليه أن ينصرف إن كان لم يدخل ارض مصر على
ما تقدم.
قالوا: ونفرت راشدة وقبائل من العرب مع عمرو، فسار بهم، فأدركه عيد النحر بالعريش،
فضحى هناك. ولما بلغ المقوقس مسير عمرو إلى مصر، توجه إلى الفسطاط، وكان يجهز
الجيوش على عمرو، وكان على القصر رجل من الروم، يقال له: الأعيرج والياً تحت يد
المقوقس.
وتقدم عمرو فكان أول موضع قوتل به الفرما، قاتله الروم هناك قتالاً شديداً.
قال: وكان بالإسكندرية أسقف للقبط يقال له: أبو ميامين، فلما بلغه قدوم عمرو كتب إلى
القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة، وأن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو.
فيقال: إن القبط الذين كاوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً، ثم سار عمرو من الفرما لا
يدافع إلا بالأمر الخفيف، حتى نزل بلبيس فقاتلوه بها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه، ثم
مضى حتى أتى أم دمين فقاتلوه بها قتالاً شديداً، وأبطأ عليه الفتح، فكتب إلى عمر
يستمده، فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف، فقاتلهم، وجاء من لخم - قيل: هو خارجة
بن حذافة إلى - عمر، فقال له: اندب معي خيلاً حتى آتى من ورائهم عند القتال، فأخرج
معه خمسمائة فارس، فسار بهم من وراء الجبل حاتى دخلوا مغار بني وائل قبيل الصبح،
وكانت الروم قد خندقوا خندقاً، وجعلوا له أبواباً، وبثوا في أفنيتها حسك الحديد، فالتقى
القوم حين أصبحوا، وخرجت الخيل من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن، وهو القصر
الذي يقال له: بابليون.
ذكر حصار القصر
وما قيل في كيفية الاستيلاء عليه وانتقال الروم و القبط إلى الجزيرة.
قال: ولما انهزموا إلى القصر حصرهم عمرو بن العاص ومن معه حيناً، وقاتلهم قتالاً
شديداً صباحا، ثم كتب إلى عمر يستمده، فأمده بأربعة آلاف رجل، على كل الف منهم

رجل وكتب إليه قد أمددتك بأربعة آلاف على كلف ألف رجل: الزبير بن العوام والمقداد
بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وسلمه بن مخلد، ومنهم من جعل بدل سلمة خارجة بن
حذافة.
وقال عمر له في كتابه: أعلم أن معك اثني عشر الفاً، ولا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة.
وقيل: إنه لما أشفق عمر، أرسل الزبير في اثني عشر ألفاً، فلما قدم تلقاه عمرو، ثم أقبلا،
فركب الزبير وطاف بالخندق، وفرق الرجال حوله، وألح عمرو إلى القصر، ونصب عليه
المنجنيق، وأبطأ الفتح. فقال الزبير: إني أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك على
المسلمين، فوضع سلما إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام، ثم صعد، وأمرهم أنهم
إذا سمعوا التكبير أن يجيبوه جميعاً، فلم يشعر الروم إلا والزبير على الحصن يكبر وبيده
السيف، وتحامل الناس على السلم حتى خشي عمرو أن ينكسر بهم، فنهاهم، ولما
صاروا بأعلى الحصن كبروا جميعاً، وأجابهم المسلمون من خارج الحصن، فما شك أهل
الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعاً، فهربوا، فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن
ففتحوه، واقتحمه المسلمون؛ فحينئذ سأل المقوقس الصلح على نفسه ومن معه؛ على أ ن
يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم، فأجابهم عمرو إلى ذلك.
وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر، والله تبارك وتعالى أعلم.
قال ابن عبد الحكم: وقد سمعت في فتح القصر وجهاً آخر، ورواه بسنده إلى خالد بن
يزيد، عن جماعة من البابعين، يزيد حديث بعضهم على حديث بعض، قالوا: لما حصر
المسلمون بابليون، وبه جماعة من الروم، وأكابر القبط وعليهم المقوقس، فقاتلهم شهراً، فلما
رأى القوم الجد من المسلمين تنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط ورؤسائهم، وخرجوا
من باب القصر القبلي، ودونهم جماعة يقاتلون العرب، فلحقوا بالجزيرة.
قال: وهي موضع الصناعة اليوم، وأمروا بقطع الجسر، وذلك في زمن زيادة النيل، وتخلف

الأعيرج بالقصر بعد المقوقس، ثم تحول إلى الجزيرة في السفن. والله أعلم.
إرسال المقوقس إلى عمرو في طلب الصلحك
وجواب عمرو له واجتماع المقوقس وعبادة بن الصامت
وما وقع بينهما من الكلام وقبول المقوقس الجزية.
قال: وأرسل المقوقس إلى عمرو يقول: إنكم قد ولجتم بلادنا، وألححتم على قتالنا، وطال
مقامكم في أرضنا؛ وإنما أنتم عصبة يسيرة، وقد أظلتكم الروم ومعهم من العدد والسلاح،
وقد أحاط بكم هذا النيل، وإنما أنتم اساري في أيدينا، فابعثوا إلينا رجالاً منكم يسمع
منهم؛ فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب، وينقطع عنا وعنكم
هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم؛ فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه، ولعلكم أن تندموا
ونحو ذلك من الكلام.
فلما أتت رسل المقوقس عمراً حبسهم عنده يومين وليلتين؛ حتى خاف عليهم المقوقس
وقال لأصحابه: أترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم، ويستحلون ذلك في دينهم؟ وإنما أراد
عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين، ثم ردهم عمرو. وأجابه مع رسله: إنه ليس بيني
وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما أن دخلتم الإسلام وكنتم إخواننا، وكان لكم مالنا،
وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون. وإما أن جاهدنا كم
بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم؛ وهو خير الحاكمين.
فلما جاءت رسل المقوقس إليه، قال: كيف رأيتم هؤلاء؟
قالوا: رأينا قوماً، الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة،
ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة؛ إنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على الركب،
وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم. ولا السيد فيهم من العبد، وإذا
حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشعون في
صلاتهم.
فقال المقوقس: والذي يحلف به، لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها، وما يقوى على قتال
هؤلاء أحد؛ ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم، إذا

أمكنتهم الارض وقووا على الخروج من موضعهم. ثم رد رسله إلى المسلمين، أن ابعثوا
إلينا رسلاً منكم، تعاملهم وتتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم.
فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر، أحدهم عبادة بن الصامت، وأمره أن يكون متكلم
القوم، وألا يجيبهم إلى شيء دعوة إليه إلا إلى أحدى هذه الثلاث خصال.
فلما دخلوا على المقوقس تقدم عبادة، فهابه المقوقس لسواده، فقال:
نحن أعنى هذا الأسود. وقدموا غيره يكلمني. فقالوا جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً
وعلماً، وهو سيدنا وخيرنا، والمقدم علينا، وإنما نوضع جميعاً إلى قوله ورأيه، وقد أمره
الأمير دونتا بما أمره به، وأمرنا ألا نخالف رايه وقوله، قال: وكيف رضيتم أن يكون هذا
الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم، قالوا: إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من
أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً، وليس ينكر السواد فينا.
فقال المقوقس لعباده: تقدم يا أسود وكلمني برفق، فإني أهاب سوادك،و إن اشتد كلامك
علي ازددت لذلك هيبة، فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالك، وإن فيمن خلفت من
أصحابي الف رجل كلهم أشد سواداً مني، وأفظع منظراً؛ ولم سمعتهم ورأيتهم لكنت
أهيب لهم منك لي، وأنا قد وليت وأدبر شبابي، وإنى بحمد الله مع ذلك ما أهاب مائة
رجل من عدوى لو استقبلوني جميعاً، وكذلك أصحابي، وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد في
سبيل الله واتباع رضوانه، وليس غزونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلبا للاستكثار
منها؛ إلا أن الله عز وجل أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً، وما يبالى أحدنا
أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهماً؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها
يسد به جوعته لليله أو نهاره، وشملة يلتحفها. فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه؛ وإن
كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله تعالى، واقتصر على هذا الذي بيده، وبلغه ما
كان في الدنيا؛ لأن الدنيا ليست بنعيم، ورخاؤها ليس برخاء، وإنما النعيم والرخاء في

الآخرة؛
وبذلك أمرنا ربنا عز وجل، وأمرنا به نبينا، وعهد ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما
يمسك جوعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله في رضا ربه، وجهاد عدوه.
فلم يسمع المقوقس ذلك منه، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط؟ لقد
هبت منظره، وإن قوله لا هيب عندي من منظره، إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب
الأرض، ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها.
ثم أقبل على عباده فقال: أيها الرجل الصالح، قد سمعت مقالتك، وما ذكرت عنك وعن
أصحابك، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت، وما ظهرتم على من كان إلا لحبهم الدنيا
ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده، قوم معروفون
بالنجدة والشدة، لا يبالى أحدهم من لقي ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن
تطيقوهم لضعفكم وقلتكم، وقد أقمتم بين أظهرينا أشهراً، وأنتم في ضيق وشدة من
معاشكم وحالكم، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم، وقلة مابأيديكم، ونحن تطيب
أنفسنا أن نصالحكم، على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين، ولأميركم مائة دينار،
ولخليفتكم ألف دينار،و تقبضونها تنصرفون إلى بلادكم، قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به.
فقال عبادة: يا هذا، لا تغرن نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم
وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوى عليهم؛ فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا بالذي
يكسرنا عما نحن فيه؛ إن كان ما قلتم حقاً؛ فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم، وأشد
تحريضاً عليهم؛ لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه؛ إن قتلنا عن آخرنا كان أمكن
لنا في رضوانه وجنته، وما من شيء أقر لا عيننا ولا أحب إلينا من ذلك، وإنا منكم
حينئذ لعلى إحدى الحسنيين:
إما تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا؛ وإنها
لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا، وإن الله عز و جل قال لنا في كتاله: (كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساءً أن يرزقه الله الشهادة وألا يرده إلى بلده،
ولا إلى أرضه، ولا إلى أهله وولده، ليس لأحد منا هم فيما خلفه، وقد استودع كل منا
ربه أهله وولده، و إنما همنا ما أمامنا.
وأما قولك: أنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، وفنحن في أوسع السعة؛ لو كانت
الدنيا كلها ملك لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه؛ فانظر الذي تريد فبينه لنا؛
فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث، فاختر ايها
شئت، ولا تطمع نفسك بالباطل، بذلك أمرني أميري، وبها أمره أمير المؤمنين،و هو عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا.
إما أجبتم إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل الله تعالىغيره، وهو دين أنبيائه ورسله
وملائكته. أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه؛ حتى يدخل فيه، فإن فعل فإن له
مالنا، وعليه ما علينا، وكان أخانا في دين الله. فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد
سعدتم في الدنيا والآخرة، ورجعنا عن قتالكم، ولم نستحل أذاكم، ولا التعرض لكم، وإن
أبيتم إلا الجزية، فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، نعاملكم على شيئ نرضى به
نحن وأنتم في كل عام أبدا، ما بقينا وبقيتم، ونقاتل من ناوأكم وعرض لكم في شيء من
أرضكم وبلادكم وأموالكم، نقوم بذلك إن كنتم في ذمتنا،وكان لكم به عهد الله إلينا، وإ،
أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمو بالسيف حتى نموت عن آخرنا، وأة نصيل ما نريد
منكم، هذا ديننا الذي ندين الله تعالى له، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره، فانظروا
لأنفسكم.
فقال له القوقوس: هذا مالا يكون أبداً، ما تريدون إلا أن تتخذونا خولاً أو نكون لكم
عبيداً ما كانت الدنيا.
فقال عبادة: هو ذاك، فاختر ماشئت. قال: أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الخصال؟
فرفع عبادة يديه فقال: لا ورب هذه السماء، ورب هذه الأرض، وربنا ورب كل شيء،
مالكم عندنا خصلة غيرها، فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال: قد فرغ القوم، فما تريدون؟ فقالوا: أو يرضى
أحد بهذا الذل! أما ماأرادوا من دخولنا في دينهم فهذا مالا يكون أبداً؛ أن تترك دين
المسيح بن مريم،وندخل في دين غيره ولا نعرفه. وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا
عبيداً أبداً، فالموت أيسر من ذلك، لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان
أهون علينا.
فقال المقوقس لعباده: قد أبى القوم، فما ترى؟ فراجع صاحبك على أن نعطيكم من
مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون.
فقام عبادة وأصحابه، فقال المقوقس لمن حوله: أطيعوني وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه
الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة، ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ماهو أعظم
كارهين.
قالوا: وأي خصلة تجيبهم إليها؟ قال: إذا أخبركم؛ أما دخولكم في غير دينكم فلا آمركم
به، وأما قتالكم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم، ولن تصبروا صبرهم، ولابد من الثالثة.
قالوا: أفنكون لهم، آمنين على أنفسكم، وأموالكم وذراريكم، خيراً لكم من أن تموتوا عن
آخركم، وتكونوا عبيداً تباعون وتمزقون في البلاد، مستعبدين أبداً في البلاد. أنتم وأهلوكم
وذراريكم.
قالوا: فالموت أهون علينا. فأمروا بقطع الجسر بين الفسطاط والجيزة، وبالقصر من القبط
والروم جمع كثير، فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال؛ حتى ظفروا بمن في القصر، فقتلوا
منهم خلقاً كثيراً، وأسروا من أسروا، وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة.
هذا والمسلمون قد أحدق بهم الماء من كل وجه، لا يقدرون على أن
يتقدموا نحو الصعيد ولا غيره من المدائن والقرى، والمقوقس يقول لأصحابه: ألم أعلمكم
هذا وأخافه عليكم؟ ما تنتظرون؟ فوالله لنجيبنهم إلى ما أرادوا طوعاً، أو لنجيبنهم إلى
ما هو أعظم منه كرهاً، فأطيعوني من قبل أن تندموا؛ فعند ذلك أذعنوا إلى الجزية ورضوا
بها على صلح يكون بينهم يعرفونه.

فأرسل المقوقس إلى عمرو يقول له: إنى لم أزل حريصاً على إجابتك إلى خصلة من تلك
الخصال التي ارسلت إلي بها، فأبى ذلك على من حضرني من الروم والقبط، فلم يكن لي أن
أفتات عليهم في أموالهم، وقد عرفوا نصحي لهم، وحبى صلاحهم، ورجعوا إلى قولي،
فأعطني أماناً أجتمع أنا وأنت في نقر نم أصحابي وأصحابك؛ فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك
لنا جميعاً وإن لم يتم رجعنا إنى ما كنا عليه.
فاستشار عمر و أصحابه في ذلك فقالوا: لا تجبهم إلى شيء من الصلح ولا الجزية حتى
يفتح الله علينا، وتصير كلها لنا فيئاً وغنيمة كما صار القصر لنا وما فيه.
فقال عمرو: قد علمتم ما عهد إلى أمير المؤمنين في عهده، فإن أجابوا إلى خصلة من
الخصال الثلاث التي عهد إلى فيها أجبتهم إليها، وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا
وبين ما نريد من قتالهم. فاجتمعوا على عهد بينهم، واصطلحوا على أن يفرض على جميع
من بمصر أعلاها واسفلها من القبط دينارين عن كل نفس: شريفهم ووضيعهم، ومن بلغ
الحلم منهم، ليس على الشيخ الفاني، ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم، ولا النساء شيء،
وعلى ان المسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من
المسلمين، أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام، مفترض ذلك عليهم، وأن لهم
ارضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها، فشرط هذا كله على القبط خاصة،
وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية، وفرض عليه الديناران، رفع ذلك
عرفائهم بالإيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى منهم بمصر أكثر من ستة آلاف ألف نفس،
فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف دينار في كل سنة.
وروى عن يحيى بن ميمون الحضرمي، قال بلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف.
قال: وشرط المقوقس للروم أن يخيروا، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا المقام أقام
على ذلك لازماً له، مفترضاً عليه ممن أقام بالإسكندرية، وما حولها من أرض مصر كلها،
ومن أراد الخروج منها إلى ارض الروم خرج، وعلى أن للمقوقس الخيار في الروم خاصة،

حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل، فإن قبل ذلك ورضية جاز عليهم، وإلا كانوا
جميعاً عليه، وكتبوا به كتاباً، وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه بالأمر كله. فكتب
إليه يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل، وأمره بقتال المسلمين بالروم إن إبى القبط القتال،
وكتب إلى جماعة الروم بمثل ذلك.
فجمع المقوقس الروم وقال: أعلموا يا معشر الروم أنى والله لا أخرج مما دخلت فيه، بعد أن
ذكر لهم شجاعة العرب وصبرهم وجلدهم وحبهم الموت وغير ذلك من حالهم، ثم قال:
والله إنى لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى قولي ورأيي، وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني؛ وذلك
أنى قد عاينت ورأيت، وعرفت ما لم يعاين الملك، ولم يره ولم يعرفه. أما يرضى أحدكم أن
يكون آمناً في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة!
ثم أقبل المقوقس على عمرو بن العاص فقال له: إن الملك قد كره ما فعلت، وعجزني،و
كتب إلى وإلى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك، وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك، أو تظفر
بهم، ولم أكن أخرج مما دخلت فيه، وعاقدتك عليه؛ وإنما سلطاني على نفسي ومن
أطاعني، فقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم، ولم يأت من قبلهم نقض.
وأما الروم فأنا منهم بريء، وأنا أطلب إليك أن تعطيني ثلاث خصال، قال عمرو: وما
هي؟ قال:
لا تنقض القبط، وأدخلني معهم، واولزمني ما ألزمتهم، وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على
ماعاهدتك عليه، فهم مقيمون لك على ماتحب.
وأما الثانية، فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً
وعبيداً؛ فإنهم أهل ذلك؛ فإنى نصحتهم فاستغشوني.
أما الثالثة: فأطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم يدفنوني في أبي يحنس بالإسكندرية.
فأجابه عمرو إلى ما طلب على أن يقيموا له الجسرين جميعاً، والجسور ما بين الفسطاط
إلى الإسكندرية، ويقيموا لهم الأنزال والضيافة والأسواق، ففعلوا ذلك، وسارت القبط
أعواناً للمسلمين على الروم.
مسير عمرو لقتال الروم وما كان من الحروب بينهم.

إلى أن فتحت الإسكندرية:
قال: واستعدت الروم واستجاشت، وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم، فيها جمع
من الروم عظيم بالعدة والسلاح، فخرج إليهم عمرو بن العاص، ومن معه، وذلك حين أمكنه
الخروج، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق، وأقاموا الجسور
والأسواق، وخرج عمرو فلم يلق من الروم أحداً حتى بلغ ترنوط، فلقي بها طائفة من الروم،
فقاتلوه قتالاً خفيفاً، فهزمهم، ومضى بمن معه حتى لقي جمع من الروم بكوم شريك، فاقتتلوا
به ثلاثة أيام، ثم فتح الله على المسلمين، وانهزم الروم.
وقيل: بل لما انهزموا من ترنوط، بعث عمرو بن العاص شريك ابن سمى في آثارهم، وكان
على مقدمة عمرو، فأدركهم شريك عند الكوم، فقاتلهم، فمن الناس من يقول: إنه هزمهم،
ومنهم من يقول: إنه قاتلهم إلى الكوم، فاعتصم به، وأحاطت به الروم، فأمر شريك أبا ناعمة
ملك بن ناعمة الصدفي، وهو صاحب الفرس الأشقر الذي يقال لهك أشقر صدف، وكان لا
يجارى، فانحط عليهم من الكوم، وطلبته الروم فلم تدركه، فأنى عمراً فأخبره، فاقبل نحو
الروم فانهزموا، وبالفرس الأشقر هذا سميت خوخة الأشقر التي بمصر؛ وذلك أنه نفق فدفنه
صاحبه هناك، فسمي المكان به.
قال: ثم التقى عمرو والروم لسليطس، فاقتتلوا بها قتالاً شديداً، ثم هزمهم الله. ثم التقوا
بالكريون فاقتتلوا هناك بضعة عشر يوماً، وكان ابنه عبد الله بن عمرو على المقدمة،
ففشت فيه الجراحة وصلى عمرو بالناس صلاة الخوف، بكل طائفة ركعة وسجدتين. ثم
فتح الله على المسلمين، وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة، وأتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية
فتحصن بها الروم، وكانت عليهم حصون منيعة، حصن دون حصن، فنزل المسلمون ما بين
حلوة إلى قصر فارس، إلى ماوراء ذلك، ومعهم رؤساء القبط، يمدونهم بما احتاجوا من
الأطعمة والأعلاف.
هذا ورسل ملك الروم تختلف إلى الإسكندرية في المراكب، والأمداد تأتيهم من قبله.
وكان يقول لئن ظهرت العرب على الإسكندرية كان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم؛ لأنه

ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية، ونجهز الملك ليباشر القتال بنفسه، وأمر
ألا يتخلف عليه أحد من الروم. وقال: مابقاء ما بقاء الروم بعد الاسكندرية! فلما فرغ من
جهازه أهلكه الله فمات وكفى الله المسلمين مؤنته.
وكان موته في سنة تسع عشرة، فكسر الله بموته شوكة الروم، ورجع جمع كبير ممن كان
توجه لإعانة أهل الإسكندرية، فاستأسدت العرب عند ذلك، وألحت بالقتال، فقاتلوا قتالاً
شديداً، فبرز رجل من الروم، وبرز له مسلمة بن مخلد، فصرعه الرومي وألقاه عن فرسه،
وأهوى إليه ليقتله حتى حماه رجل من أصحابه، وكان مسلمة لا يقام له، ولكن غلبته
المقادير، فشق ذلك على المسلمين.
وكان مسلمة ثقيل البدن، كثير اللحم، فاشتد غضب عمرو، وقال: مابال الرجل المسته
الذي يشبه النساء يتعرض إلى مداخل الرجال ويتشبه بهم ! فغضب مسلمة من ذلك ولم
يراجعه، ثم اشتد القتال حتى اقتحم المسلمون حصن الإسكندرية، وقاتلوا فيه، ثم
جاشت الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن، إلا أربعة، متهم عمرو بن العاص،
ومسلمة بن مخلد، فأغلقوا الحصن عليهم، والتجئوا إلى ديماس من حمامات الروم، فأنزل الروم
رومياً يتكلم بالعربية، فقال لهم: إنكم قد سرتم أساري في أيدينا، فاستأسروا ولا تقتلوا
أنفسكم.
ثم قال لهم: أن في أيدي أصحابكم منا رجالاً أسروهم، ونحن نعطيكم العهود بكم
أصحابنا، ولا نقتلكم، فأبوا عليهم.
ثم قال لهم الرومي: فهل لكم إلى خصلة وهي نصف فما بيننا وبينكم، أن تعطونا العهد
ونعطيكم مثله؛ على أن يبرز منا رجل، ومنكم رجل، فإن غلب صاحبنا صاحبكم
استأسرتم لنا، وأمكنتمونا من أنفسكم، وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم.
فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه.
فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجدته وشدته، فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة
وقال: أنا أكفيكإن شاء الله، فقال عمرو: دونك؛ فربما فرجها الله بك. فبرز مسلمة للرومي

فتجاولا ساعة، ثم أعان الله مسلمة فقتله، وكبر وكبر اصحابه، ووفى لهم الروم بماء
عاهدوهم عليه، ففتحوا لهم باب الحصن، فخرجوا، والروم لا يدرون أم أمير القوم فيهم، ثم
بلغهم ذلك، فاسفوا على ما فاتهم منه، وندم عمرو واستحيا من مقاله لمسلمة ما قال،
فاستغفر له عمرو.
قال: ولم أبطأ الفتح على عمر، كتب إلى عمرو:
أما بعد، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، وأنكم تقاتلونهم منذ سنتين؛ وما ذاك إلا
لما أخذتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قوما إلا بصدق
نياتهم. وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعملتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على
ماكنت أعرف؛ إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس
وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الاربعة في صدور
الناس، ومر الناس جميعاً أن تكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند
الزوال يوم الجمعة؛ فإنها ساعة نزول الرحمة، ووقت الإجابة، وليعج الناس إلى الله ويسألوه
النصر. ففعلوا ففتح الله عليهم.
قال: ويقال:
إن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد في قتال الروم، فقال له مسلمة: أرى أن تنظر
إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعقد له على
الناس، فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيكه. فقال عمرو: وما ذاك؟ قال: عبادة بن
الصامت. فدعا عمرو عبادة، فأتاه وهو راكب على فرسه، فلما دنا منه أراد النزول، فعزم
عمرو عليه ألا يفعل، وقال: ناولني سنان رمحك، فناوله عبادة إياه، فنزع عمرو عمامته عن
رأسه وعقد له وولاه قتال الروم.
فتقدم عبادة فصاف الروم وقاتلهم، ففتح الله على يديه الإسكندرية من يومه ذلك، وكان
حصارهم الإسكندرية اربعة عشر شهراً، خمسة أشهر في حياة هرقل، وتسعة أشهر بعد
موته، وفتحت يوم الجمعة مستهل المحرم، سنة عشرين، وقتل من المسلمين على الإسكندرية
في طول هذه المدة اثنان وعشرون رجلاً.

ذكر الفتح الثاني وما وجد بالإسكندرية
وعده من ضربت عليه الجزية قال: ولما فتحت، الإسكندرية هرب الروم منها في البر
والبحر، فخلف عمرو من أصحابه بها ألف رجل، ومضى في طلب من انهزم من الروم في
البر، فرجع من كان هرب منهم في البحر إلى الإسكندرية، فقتلوا من كان بها من المسلمين
إلا من هرب منهم وبلغ ذلك عمراً، فكر راجعاً إليها، فأباه رجل يقال له ابن بسامة، كان
بواباً بالإسكندرية، فسأل عمراً أن يؤمنه على نفسه وارضه وأهل بيته ويفتح له الباب،
فأجابه عمرو إلى ذلك، ففتح له ابن بسامة، فدخل عمرو، وكان مدخله من ناحية القنطرة
التي يقال لها قنطرة سليمان، وكان مدخله الأول من باب المدينة الذي من ناحية كنيسة
الذهب، ووفي عمرو لابن بسامة.
وبعث عمرو إلى عمر بن الخطاب معاوية بن حديج بشيراً بالفتح، فقال معاويةك ألا تكتب
معي كتاباً؟ فقال عمرو:
وما أصنع بالكتاب! ألست رجلاً عربياً تبلغ الرسالة، وما رأيت وحضرت! فقدم على
عمر فأخبره الخبر، فخر ساجداً، وجمع الناس وأخبرهم، ثم كتب عمرو بعد ذلك إلى
عمر:أما بعد فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها؛ غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية،
بأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للملوك.
قال بان عبد الحكم: لما فتح عمرو الإسكندرية وجد فيها أثني عشر ألف بقال يبيعون
البقل الأخضر.
قال: ورحل منها في الليلة التي دخل فيها عمرو بن العاص، او في الليلة التي خافوا فيها
دخوله سبعون ألف يهودي.
قال: وقال حسين بن شفي بن عبيد: كان بالإسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا
عشر ديماساً، أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس، كل مجلس منه يسع جماعة نفر. وكان
عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف من الرجال، فلحق بارض الروم أهل القوة، وركبوا
السفن، وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار، فحمل فيها ثلاثون ألفاً مع ماقدروا عليه

من المال والمتاع والأهل، وبقي من بقي من الأساري ممن بلغ الخراج، فأحصى يومئذ ستمائة
ألف سوى النساء والصبيان، فاختلف الناس على عمرو في قسمهم، وكان أكثر الناس
يريدون قسمها.
فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه في ذلك، فكتب إليه عمر: لا تقسمها، وذرهم يكون
خراجهم فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم، فأقرها عمرو، وكانت مصر كلها
صلحاً بفريضة دينارين على كل رجل لا يزاد على احد منهم في جزية رأسه أكثر من ذلك
إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع، إلا الإسكندرية، فإنهم كانوا يؤدون الجزية
والخراج على قدر مايرى من وليهم؛ لأن الإسكندرية فتحت عنوة من غير عهد ولا عقد،
ولم يكن لهم صلح ولا ذمة.
قال: وكانت قرى من مصر قاتلت المسلمين، وظاهروا الروم عليهم، وهي: بلهيب، وقرية
الخيس، وسلطيس، وقرسطا، وسخا. فسبوا، وفوقعت سباياهم بالمدينة، فردهم عمر بن
الخطاب إلى قراهم، وصيرهم وجماعة القبط ذمة وكتب بردهم.
وقيل: إنما كتب عمر في أهل سلطيس خاصة يقول: من كان منهم في أيديكم، فخيروه بين
الإسلام، فإن أسلم فهو من المسلمين، له مالهم، وعليه ماعليهم، وإن اختار دينه فخلوا بينه
وبين قريته، وأن تجعل القرى التي ظاهرت مع الإسكندرية ذمة المسلمين، يضربون فيها
الخراج.
من قال أن مصر فتحت عنوة.
قال: وقد ذهب آخرون إلى أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد.
روى عن سفيان بن وهب الخولاني، قال: لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام،
فقال: أقسمها يا عمرو، فقال عمرو: والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين. فكتب
إلى عمر، فأجابه أن أقرها حتى يغزو منه حبل الحبلة.
وقيل: إن الزبير صولح على شيء أرضى به.
وروى ابن لهيعة بسنده إلى عمرو بن العاص أنه قال: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد
من قبط مصر على عهد، إن شئت قتلت، وإن شئت خمست، وإن شئت بعت إلا أهل
انطابلس؛ فإن لهم عهداً نوفي لهم به.

وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد، وأن
عمر بن الخطاب حبس درها وضرعها؛ أن يخرج منه شيء نظراً للإسلام وأهله.
وعن عروة بن الزبير: أن مصر فتحت عنوة.
وعن عبد الملك بن جنادة قال: كتب حيان بن شريح-وكان من أهل مصر من موالي
قريش - إلى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم. فسأل
عمر عراك بن مالك، فقال عراك: ما سمعت لهم بعهد ولا عقد.
فكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان، أن يجعل جزية مولى القبط على أحيائهم.
وعن عبد الله بن بكير قال: خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في سفينة،
فاحتاج إلى رجل يجذف به، فسخر رجلاً من القبط، فكلم في ذلك فقال: إنهم بمنزلة
العبيد إن احتجت إليهم.
وعن أبن شهاب أنه قال: كان فتح مصر، بعضها بعهد وذمة، وبعضها عنوة، فجعلها عمر
بن الخطاب جميعاً ذمة، وحملهم على ذلك، ومضى ذلك فيهم إلى اليوم.
اخبار الاسكندرية وبنائها وما اتفق في ذلك.
من الإعاجيب.
لما رأيت جماعة من المؤرخين اقتصروا في أخبار الإسكندرية عند ذكرهم لفتوحها على
ماذكرت أو نحوه، ومنهم من اختصر ذلك، واقتصر على مجرد الفتحن ولم يتعرضوا إلى
ماسواه من أخبارها، آثرت أن أضم إلى ما شرحته من أخبار فتحها ذكر أخبار بنائها،
وسببه وما شاهدوه بأبنيتها من العجائب، وكيف تحيل على وضعها حتى تمت، ودفع
ظلمة الضرر عن سكانها لما ادلهمت، لأن مثل هذا الثغر العظيم الذي شاع في الآفاق ذكره
واشتهر، وحمد من التجأ إليه ممن نبت به الغربة وعاقبه السفر، وحقق باختياره صدق
الخبر وتيقن الخبر، لا يقتصر فيه إلى هذه النبذة التي ذكرناها، واللمعة التي أوردناها؛ بل يتعين
بسط القول فيه وأن يتكلم المؤلف إذا انتهى إليه بملء ما فيه.
وربما أعترض على معترض لم
يطالع مجموع ما ألفت، ولا وقف على جملة ما صنفت، فيقول: كيف اقتصر على فتوح

مصر على مجرده وهي أصل بلاده، وقاعدة عباده، وبسط القول في الإسكندرية وهي على
الحقيقة من مضاتها، وولاية من جملة ولاياتها! وقد تجول فيه خيل الاعتراض، ويعدل عن
الانشراح إلى الانقباض، ويتوهم أن ذلك عن عجز أو قصر، وإن بسط العذر فيقول: عن
ملال وضجر. وليس الأمر - ولله الحمد - كذلك؛ لأنا ذكرنا أخبار مصر في كتابنا هذا في
اربعة موضع سلفت منه، فذكرنا خصائصها وما فضلت به على غيرهافي الباب الثاني من
القسم الخامس من الفن الأول، وكل ذلك في السفر الأول من كتابنا في خصائص البلاد،
وذكرنا اخبار نيلها في الباب السابع من القسم الرابع من الفن الأول من الانهار، وذكرنا
أخبار ما بها من المباني القديمة والآثار العظيمة، في الباب الثالث من القسم الخامس من
الفن الأول. وذكرنا أخبار من ملكها من ملوك الأمم قبل الطوفان وبعده، وما بنوه بها من
المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني، وما وضعوه بها من
العجائب والطلمسات والحكم، وماأثاروا من المعادن وما دبروه من الصنعة وما شقوه
وانبطوه من الأنهار، وغير ذلك من أخبارها وعجائبها، وذلك في الباب الثاني من القسم
الرابع م الفن الخامس، وهو في السفر الثاني عشر، والثالث عشر من هذا الكتاب، فلا
اعتراض بعد ذلك على ولا تقصير تنتسب نسبته إلى.
ولنأخذ الآن في أخبار الإسكندرية، قال أبو الحسن على بن عبد الله المسعودي رحمه الله
في كتابه المترجم(بمروج الذهب).
ذكر جماعة من أهل العلم أن الإسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده، سار يختار
أرضاً صحيحة الهواء، والتربة والماء، فانتهى إلى موضع الإسكندرية، فأصاب في موضعها
أثار بنيان وعمداً كثيرة من الرخام، وفي وسطها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند
وهو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد: (إنا شداد بن عاد، شددت بساعدي البلاد،
وقطعت عظيم العماد، من الجبال والأطواد، وأنا بنيت إرم ذات العماد، والتي لم يبن مثلها في
البلاد، وأردت أن أبني هاهنا كإرم، وأنقل إليها كل ذي قدم وكرم، من جميع العشائر والأمم،

وذلك إذ لاخوف ولا هرم، ولا اهتمام ولا سقم، فأصابني ما أعجلني، وعما أردت إليه
قطعني مع وقوع ما أطال همي وشجني، وقل نومي وسكني، فارتحلت بالأمس عن داري، لا
لقهر ملك جبار، ولا خوف جيش جرار، ولا عن رغبة ولا صغار؛ ولكن لتمام الأقدار،
وانقطاع الآثار،وسلطان العزيز الجبار، فمت رأى أثري، وعرف خبري، وطول عمري، ونفاذ
بصري، وشدة حذري، فلا يغتر بالدنيا بعدي)...
وكلام كثير يرى فيه فناء الدنيا، ويمنع من الاغترار بها، والسكون إليها، لم يذكره
المسعودي.
قال: فنزل الأسكندر مفكراً يتدبر هذا الكلام ويعتبر، ثم بعث بحشر الصناع من البلاد،
خط الأساس، وجعل طولها وعرضها أميالاً، وأمر بنقل الرخام والمرمر والأحجار من
جزيرة صقلية، وبلاد إفريقية، وأقريطيش، وأقاصي بحر الروم، وجزيرة رودس وغيرها،
فنقلت في المراكب، وأمر الصناع والفعلة أن يدوروا بما رسم لهم من أساس المدينة، وعمل
على كل قطعة من الأرض خشبة قائمة، وجعل من الخشبة إلى الخشبة حبالاً منوطة
بعضها ببعض، وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام كان أمام مضربه، وعلق على العمود
جرساً عظيماً مصوتاً،وأمر الناس والقوام على االصناع والبنائين والفعلة، أنهم إذا سمعوا
صوت ذلك الجرس أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها. وأحب
الأسكندر أن يجعله في وقت يختاره، وطالع سعد يأخذه، فخفق الإسكندر يوماً برأسه،
فأخذته سنة في حال ارتقابه للوقت.
فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير فحركه، وخرج صوت الجرس، وتحركت
الحبال، وخفق ما عليها من الأجراس الصغار، وكان قد عمل ذلك بحركات الحبال، وخفق
ما عليها من الأجراس الصغار وكان قد عمل ذلك بحركات فلسفية.
فلما سمع الصناع حس أصوات الجرس وصنعوا الأساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج
بالتحميد والتقديس، فاستيقظ الإسكندر من رقدته، وسأل عن الخبر، فأخبر به، فقال:

أردت أمرا والله أراد غيره، ويأبى الله إلا مايريده، أردت طول بقائها، وأراد الله سرعة
فنائها وخرابها، وتداول الملوك إياها.
قال: ولما أحكم بناؤها، وثبت أساسها، وجن الليل عليهم، خرجت دواب من البحر
أتت على جميع ذلك البنيان، فقال الإسكندر حين أصبح: هذا بدء الخراب في عمرانها،
وتحقق مراد الباري في زوالها. وتطير من فعل الدواب، وتكرر ذلك من فعل الدواب في كل
يوم، والإسكندر يوكل به من يحرسه، وهو يصبح خراباً، فقلق لذلك، وراعه ما رأى، ففكر
ما الذي يصنع! وأي حيلة يعمل في رفع أذى الدواب عن المدينة، فستحت له الفكرة ليلة،
فلما اصبح أمر الصناع أن يتخذوا تابوتاً من الخشب طوله عشرة أذرع في عرض خمسة
أشبار، وجعل في جامات من الزجاج، وطليت بالقار وغيره من الأطلية التي تمنع الماء أن
يدخل التابوت، وجعل فيه مواضع للحبال، ودخل فيه ومعه رجلان من كتابه ممن له علم
بإتقان التصوير، وأمر أن يستر عليه، وعليهم باب التابوت، ويطلة بتلط الأطلية، وأمر
بمركبين، فعلق التابوت بينهما وجعف في أسفله من الخارج مثقلات الرصاص والحدي،
وسد حباله إلى المركبين، وأخرجهما إلىلا اللجة، وسمر بعضها بخشب إلى بعض بئلا
يفترقان وارخوا التابوت في البحر، فاستقر تب 4قرارة، فنظر من تلك الجامات إلى دواب
البحر وحيواناته؛ فإذا بصور شياطين على أمثال الناس، رؤوسهم كرؤوس السباع، وفي
أيديهم الفئوس والمقامع والمناشير، يحاكون بذلك صناع المدينة، فأثبت الإسكندر ومن معه
تلك الصور، وأحكموها في القراطيس على هيئاتها وأشكالها وقدودها، ثم حرك الحبال،
فرفعه من بالمركب.
فلما خرج أمر المصورين بتصوير تلك الصور، وصنعها من النحاس والحديد والحجارة،
فعملت تماثيلها، ثم نصبها على الأعمدة بشاطئ البحر، وأمر بالبناء فبنى، فلما جن الليل،
وظهرت تلك الدواب من البحر، نظرت إلى أشكال صورها على العمد فرجعت إلى البحر
ولم تعد، فتم بناء الإسكندرية، وشيدت، فأمر أن يكتب على أبوابها (هذه الاسكندرية،

أردت أن ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسرور، والثبات على الدهور، فلم يرد
الباري ملك السموات والأرض ومفنى الأمم أن أبنيها كذلك، فبنيتها وأحكمتها، وشيدت
سورها، وآتى بي الله من كل شيء علما وحكماً، وسهل لي وجوه الأسباب، فلم يتعذر
على في العالم شيء مما أردته، ولا أمتنع على شيء مما طلبته، لطفاً من الله عز وجل
وصنعا لي، وصلاحاً لعباده من أهل عصري، والحمد لله رب العالمين، لا إله إلا الله هو رب
كل شيء. ورسم هذه الكتابة كل ما يحدث ن العمران والخراب، وما يؤول أمرها إليه إلا
آخر وقت دثور العالم.
وكان بناؤها طبقات، وتحتها قناطر مقنطرة تدورها، ويسير تحتها الفارس، وبيده رمح لا
يطيق به حتى يدور جميع أبراجها وقناطرها، وعمل لتلك العقود والأبرج مخاريق للضياء،
ومنافذ للهواء.
قال:
وكان الإسكندرية تضيء بالليل من غير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمرن وأسواقها
وأزقتها وشوارعها مقنطرة بها لئلا يصيب أهلها المطر.
قال: وكان عليها سبعة اسوار من أحجار مختلفة الألوان، بينها خنادق، بين كل خندق
وسور فصل.
قال: وبما علق فيها شقاق الحرير الأخضر لاختطاف بياض السور أبصار الناس لشدة
بياضه، فلما سكنه أهلها كانت آفات البحر تخطف أهل المدينة بالليل، فيصبحون وقد فقد
منهم العدد الكثير، فأهم ذلك الإسكندر، فاتخذ الطلمسات على أعمدة هنالك، تدعى
المسال، وهي باقية إلى هذا العصر، فامتنع الدواب من التعرض إلى أهلها بعد ذلك،
فأمنوا.
وأما المنارة فقد ذكرناها في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول من السفر
الاول، فلاحاجة إلى إعادة ذكرها ثانياً.
نعود إلى أخبار فتوح مصر إن شاء الله.
تحول عمرو بن العاص من الإسكندرية:
إلى الفسطاط واختطافه
قال ابن لهيعة: إن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية ورأى بيوتها وبناءها، قم أن

يسكنها، وقال: مساكن قد لقيناها. فكتب إلى عمر يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول:
هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ إذا جرى النيل.
فكتب عمر إلى عمرو: إني لاأحب أن ينزل المسلمون منزلاً يحول بيني وبينهم الماء في شتاء
ولا صيف. فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط؛ وإنما سميت الفسطاط لأن
عمرو بن العاص لما توجه إلى الإسكندرية، أمر بنزع فسطاطه، فإذا فيه يمام قد فرخ.
فقال عمرو: لقد تحرم منا بمتحرم، فأمر به فأقر في موضعه، وأوصى به صاحب القصر.
فلما قفل المسلمون من الإسكندرية قالوا: أين ننزل؟ قالوا: الفسطاط - يريدون فسطاط
عمرو، وكان مضروباً في موضع دار عمرو بن العاص الت عمرت بعد - واختلط عمر
والمسجد الجامع العمري، وكان ما حوله حدائق وأعناب، فنصبوا الحبال حتى استقامت
لهم، ووضعوا أيديهم، فلم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا القبلة، واتخذ عمرو في المسجد
منبراً.
فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
أما بعد، فإنه بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين، أما يحسبك أن تقوم
قائماً، والمسلمون تحت قدميك! فعزمت علك لما كسرته.
قال: واختلط الناس بعد ذلك. فكتب عمرو إلى عمر: إنا قد أختططنا لك داراً عند
المسجد الجامع.
فكتب إليه عمر: أني لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر! وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين،
ففعل، فكان يباع بها الرقيق.
قال: ولما اختط المسلمون تزكوا بينهم وبين البحر والحصن فضاء لتغريق دوابهم وإبادتها،
فلم يزل كذلك حتى ولي معاوية ابن أبي سفيان، فاشترى دور قوم منهم، وأقطعهم من ذلك
الفضاء، فسميت القطائع، وبناها أولئك دورا لهم بدل دورهم.
قال: واختطت همدان ومن والاها الجيزة، فكتب عمرو إلىعمر يعرفه أمر الخطط.
فكتب إليه عمر يقول له: كيف رضيت أن تفرق اصحابك!
ولم يكن ينبغي لك أن ترضى لأحد من أصحابك، أن يكون بينك وبينه بحر لا تدري ما

يفجؤهم. فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ما تكره، فأجمعهم إليك، فإن أبوا
عليك وأعجبتهم موضعهم، فابن عليهم من في المسلمين حصناً.
فعرض عمرو ذلك عليهم، فأبوا، وأعجبهم موضعهم بالجزيرة، فبنى لهم عمرو بن العاص
الحصن الذي بالجيزة، في سنة إحدى وعشرين، وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين.
والله سبحانه وتعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.
خبر أصل النيل وكيف كانت عادة القبط.
وإبطال عمرو تلك العادة
قال ابن لما فتح عمرو بن العاص مصر أتاه أهلها حين دخل بؤونة من أشهر القبط، فقالوا:
أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك ؟ قالوا: إذا كان لثنتي
عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر من أبوابها فأرضيناها، وجعلنا
عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذ االنيل. فقال لهم عمرو: إن
هذا لم يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله.
فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى، لا يجرى كثيراً ولا قليلاً ؛ حتى هموا بالجلاء، فلما رأى
عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلكن فكتب إليه: قد أصبت، إن
الإسلام يهدم ما كان قبله، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي.
فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة؛ فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى
نيل أهل مصر:
أما بعد، فإن كنت تجري ن قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك،
فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.
فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء، فأصبحوا
وقد أجرى الله عز وجل النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة، وانقطعت تلك السنة السيئة عن
أهل مصر.
ما قرر في أمر الجزية من الخراج
قال: وكانت فريضة مصر لحفر خلجانها، وإقامة جسورها، وعمارة قناطرها، وقطع
جزائرها مائة ألف وعشرين ألفاً، معهم الطور والمساحي والأداة يعتقبون ذلك لا يدعونه

شتاء ولا صيفاً.
ثم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو أن يختم على رقام أهل الذمة
بالرصاص، ويظهر مناطقهم، ويجزوا نواصيهم، ويركبوا على الأكف عرضاً، وألا يضربوا
الجزية إلا على من جرت عليه المواسي، ولا يضربوا على النساء، ولا على الولدان، ولا
يدعوهم يتشبهون بالمسلمين في لبوسهم.
قال: ولما استوسق لعمر بن العاص الأمر، وأقر قبط مصر على جباية الروم، وكان جبايتهم
بالعدل: إذا عمرت القرية، وكثر أهلها زيد عليهم، فإذا قل أهلها وخربت نقصوا. فكانوا
يجمعون خراج كل قرية وما فيها من الأرض العامرة. فيبدرون فيخرجون من الأرض فدادين
لكنائسهم وحماماتهم، ثم يخرج منهم عدد لضيافة المسلمين.
ونزول السلطان، فإذا فرغوا، نظروا إلى ما في كل قرية من الصناع والأجراء فقسموا عليهم
بقدر احتمالهم؛ فإن كانت فيها جالية قسموا عليها بقدر احتمالها، وقلما كانت تكون إلا
للرجل المنتاب أو المتزوج، ثم ينظر ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الأرض، ثم
يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم، فإن عجز عنه على الاحتمال، وإن
كان منهم من يريد الزيادة، أعطى ما عجز عنه أهل الضعف فإن تشاحوا قسموا ذلك على
عدتهم، وكانت قسمتهم على قراريط، الدينار بأربعة وعشرين قيراطاً، يقسمون هذه الأرض
على ذلك.
قال: وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (انكم ستفتحون أرضاً يذكر
فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً).
قال: وجعل عليهم لكل فدان نصف إرد قمحاً، وويبتين من شعير إلا القرط فلم تكن عليه
ضريبة، والويبة يومئذ ستة أمداد كأنه يريد بذلك البدار.
قال: وروى عن الليث بن سعد رحمه الله، أن عمرو بن العاص جبى مصر أثني عشر ألف
ألف دينار.
وقال غير الليث: جباها المقوقس قبله بسنة عشرين ألف ألف دينار. قال الليث: وجباها
عبد الله بن سعد حين استعمله عليها عثمان أربعة عشر ألف ألف دينار.

فقال عثمان لعمرو: يا أبا عبد الله: درت بعدك اللقحة بأكثر من درها الأول. فقال عمرو:
أضررتم بولدها.
وكتب عمر إلى عمرو أن يسأل المقوقس عن مصر، من أي شيء تأتي عمارتها وخرابها؟
فسأله عمرو، فقال: تأتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة، أن يستخرج خراجها في أبان
واحد، عند فراغ أهلها من زرعهم، ويرفع خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من
عصر كرومهم، وتحفر في كل سنة خلجها، وتسد ترعها وجسورها. ولا يقبل محل أهلها،
يريد البغي، فإن فعل هذا فيها عمرت، وإن فعل بخلاف هذا خربت، والله سبحانه وتعالى
أعلم بالصواب.
خبر المقطم
روى عن الليث بن سعد، قال:سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعه سفح المقطم
بسبعين الف دينار، فعجب عمرو من ذلك. وقال أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب
بذلك إلى عمر، فكتب إليه، أسأله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط بها
ماء ولا ينتفع به؛ فسأله، فقال: إنا لنجد صفتها في الكتب، أن فيها غراس الجنة. فكتب
بذلك إلى عمر فكتب عمر إلى عمرو: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فأقبر فيها من
مات قبلك من المسلمين،ولا تبعه بشيء، فكان أول رجل دفن فيها رجل من المعافر يقال له:
عامر.
قالوا: والمقطم ما بين القصير إلى مقطع الحجارة، وما بعد ذلك فمن اليحموم.
وقد اختلف في القصيرن فقال ابن لهيعة: ليس بقصير موسى النبي عليه السلام؛ ولكنه
موسى الساحر.
وقال كعب الأحبار: هو قصير عزيز مصر، كان إذا جرى النيل يترفع فيه. ويقال: بل كان
موقداً يوقد فيه لفرعون إذا هو ركب من منف إلى عين شمس، وكان على المقطم موقد
آخر؛ فإذا رأوا النار علموا بركوبه، فأعدوا له مايريد، وكذلك إذا انصرف والله تعالى أعلم،
وحسبنا الله ونعم الوكيل.
خبر خليج أمير المؤمنين

وهذا الخليج كانت السفن تسير فيه من مصر إلى بحر القلزم، تحمل الطعام والأصناف إلى
مكة والمدينة.
وكان من خبره على ماروى عن الليث بن سعد أن الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في
خلافة عمر بن الخطاب في عام الرمادة، فكتب إلى عمرو: من عبد الله أمير المؤمنين، إلى
العاصي ابن العاص.
سلام عليك، أما بعد؛ فلعمري يا عمرو ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك أن أهلك أنا
ومن معي، فيا غوثاه، ثم ياغوثاه! يردد قوله.
فكتب إليه عمرو:
لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من عمرو بن العاص
أما بعد. فيا لبيك ثم يا لبيك، وقد بعثت إليك بعير أولها عنك وآخرها عندي، والسلام
عليك ورحمة الله.
وبعث إليه بعير عظيمة، فكان أولها بالمدينة، وأخرها بمصر يتبع بعضها بعضاً، فلما
قدمت على عمر وسع بها على الناس، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وماحولها بعيراً بما
عليه من الطعام. وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص أن
يقسموها على الناس، ويدفعوا إلى اهل كل بيت بعيراً بما عليه، وأن يأكلوا الطعام، وينحروا
البعير فيأكلوا لحمة، ويأتدموا شحمه، ويحتذوا جلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام
لما أرادوا. فوسع الله بذلك على الناس، فلما رأى ذلك عمر حمد الله، وكتب إلى عمرو أن
يقدم عليه، هو وجماعة أهل مصر، فقدموا عليه.
فقال عمر: يا عمرو، إن الله تعالى قد فتح على المسلمين مصر، وهي كثيرة الخير والطعام،
وقد ألقى ف روعي لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم، أن أحفر خليجاً
من نيل مصر حتى يسيل في البحر، فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة، فإن
حمله على الظهر يتعذر، ولا نبلغ منه ما نريد، فانطلق أنت وأصحابك، فتشاوروا في ذلك
حتى يعتدل فيه رأيكم، فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من اهل مصر، فثقل ذلك عليهم،
وقالوا: نتخوف أن يدخل في هذا ضرر على مصر، فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين
وتقول له: إن هذا الأمر لا يعتدل ولا يكون،و لا نجد إليه سبيلاً.

فرجع عمرو بذلك إلى عمر، فلما ره ضحك وقال: والذي نفسي بيده لكأني أنظر أليك يا
عمرو، وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرت به، فثقل ذلك عليهم، وقالوا لك كذا وكذا.
للذي كان منهم فقال: صدقت والله يا أمير المؤمنين، لقد كان الامر على ماذكرت.
فقال عمرو: يا عمرو، انطلق بعزيمة منى حتى تجد في ذلك، ولا يأتي عليك الحول حتى
تفرغ منه إن شاء الله تعالى.
فانصرف عمرو، ثم احتفر الخليج الذي كان في حاشية الفسطاط الذي يقال له: خليج
أمير المؤمنين، فساقه من النيل إلى القلزم، فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن، فحمل فيه
ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة، فنفع الله بذلك أهل الحرمين، سمى خليج أمير
المؤمنين، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام إلى زمن عمر بن عبد العزيز، ثم ضيعه الولاة بعد ذلك
فترك وغلب فيه الرمل، فانقطع، فصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية طحا القلزم.
قال: ويقال: إن عمرو بن العاص قال لعمر بن الخطاب.لما قدم عليه:
ياأمير المؤمنين، قد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الإسلام، فلما
فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج، واستد، وتركته التجار؛ فإن شئت أن تحفره فننشئ به
سفنا يحمل فيها الطعام إلى الحجاز فعلته. فقال له عمر: نعم، فافعل.
فلماذكر عمر ذلك لأصحابه كرهوه على ما تقدم، فعزم عمر على عمرو أن يحفره فحفره.
ويقال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كتب إلى عمر بما كتب واستغاثه، كتب
عمرو إليه:
أما بعد، فيالبيك ثم يا لبيك، أتتك عير أولها عند وآخرها عندي، مع أني أرجو أن أجد
السبيل إلى أن أحمل إليك في البحر. ثم إن عمر ندم على كتابه في الحمل إلى المدينة، وقال:
إن أمكنت عمر من هذا خرب مصر ونقلها إلى المدينة، فكتب إليه:
إني نظرت في أمر البحر، فإذا هو عسر لا يلتأم ولا يستطاع.
فكتب إليه عمر: إلى العاصي
بن العاص:

قد بلغني كتابك، تعتل في الذي كنت كتبت إلى به من أمر البحر، وأيم الله لتفعلن أو
لأقلعنك بأذنك ولأبعثن من يفعل ذلك.
فعرف عمرو أنه الجد من عمر، ففعل، فبعث إليه عمر ألا تدع بمصر شيئاً من طعامها
وبصلها وعدسها وخلها إلا بعثت إلينا منه.
ويقال: إنما دل عمرو بن العاص على الخليج رجل من قبط مصر، أتاه فقال له: أرأيت إن
دللتك على مكان تجري فيه السفن حتى تنتهي إلى المدينة ومكة، أتضع عني الجزية. وعن
أهل بيتي؟ قال نعم، وكتب إلى عمر، فقال: افعل. والله سبحانه وتعالى أعلم.
الخبر عن فتح الفيوم
روى عن سعيد بن غفير وغيره، قالوا: لما تم الفتح للمسلمين، بعث عمرو بن العاص جرائد
الخيل إلى القرى التي حولها، فأقامت بالفيوم سنة لم يعلم المسلمون بمكانها؛ حتى أتاهم
رجل فذكرها لهم، فبعث عمرو معه ربيعة بن حبيش بي عرفطة الصدفي، فلما سلكوا في
المجابة لم يروا شيئاً، فهموا بالانصراف فقال: لا تعجلوا، سيروا، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى
طلع لهم سواد الفيوم، فهجموا عليها، فلم يكن عند أهلها قتال، وألقوا بأيديهم. قال: ويقال:
بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الفرس الأشقرعلى فرسه ينفض المجابة، ولا
علم له بما خلفها من الفيوم، فلما رأى سوادها رجع إلى عمرو، فأخبره بذلك.
ويقال: بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث إلى الصعيد، فسار حتى أتى القيس
فنزل بها، وبه سميت، وفذكر ذلك لعمرو.
فقال ربيعة بن حبيش: كفيت، فركب فرسه، فأجاز عليه البحر، وكانت انثى، فأتاه
بالخبر، ويقال: إنه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى إلى الفيوم. والله تعالى أعلم،
وحسبنا الله ونعم الوكيل.
فتح زويلة
وطرابلس الغرب.وبرقة وحصن سبرت.
كان فتح زويلة في سنة إحدى وعشرين؛ وذلك أن عمرو بن العاص بعث عقبة بن نافع
العقري إليهان فافتتحا صلحاً، وما بين برقة وزويلة سلماً للمسلمين. وقيل:

فتحها في سنة عشرين، والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمدلله وحده.
ثم سار عمرو بن العاص من مصر في سنة اثنتين وعشرين إلى برقة، فصالح أهلها على
الجزية، وأن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا بيعه، فلما فرغ من برقة سار إلى طرابلس الغرب،
فحاصرها شهراً، فلم يظفر بها، وكان قد نزل شرقيها، فخرج رجل من بني مدلج يتصيد في
سبعة نفر فسلكوا غرب المدينة، فلما رجعوا اشتد عليهم الحر، فأخذوا على جانب البحر
ولم يكن السور متصلاً بالبحر، وكانت سفن الروم في مرساها تقابل بيوتهم، فرأى المدلجي
وأصحابه مسلكاً في البحر إلى البلد، فدخلوا منه، وكبروا، فلجأ الروم إلى سفنهم؛ لأنهم
ظنوا أن المسلمين قي دخلوا المدينة، فنظر عمرو ومن معه، فرأى السيوف في المدينة،
وسمعوا الصياح، فأقبل الجيش حتى دخل المدينة، فلم يفلت من الروم إلا بما خف حمله في
مراكبهم.
وكان أهل حصن سبرت قد اطمأنوا، فجهز إليهم جيشاً كثيفاً، فصبحوها وقد فتح أهلها
الباب، وسرحوا مواشيهم فدخلها المسلمون مغالبة وغنموا ما في الحصن، وعادو إلى
عمر.
ثم سار عمرو إلى برقة وبها لواتة، وهم من البربر، فصالحه أهلها على ثلاثة عشر ألف
دينار يؤدونها جزية، وشرطوا أن يبيعوا من أرادوا بيعه من اولادهم في جزيتهم.
قال المؤرخ: وكان سبب مسير البربر إليها وإلى غيرها من بلاد الغرب؛ أنهم كانوا بنواحي
فلسطين، فلما قتل ملكهم جالوت، ساروا نحوا الغرب، وتفرقوا، فسارت زناتة ومغيلة، وهما
قبيلتان من البربر، فسكنوا الجبال، وسكنت لواتة برقة، وتعرف قديماً بأنطابلس - وقيل
فيها: أنطابلس - وانتشروا فيها حتى بلغوا السوس،و نزلوا ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت
نفوسة مدينة سبرت، وجلا من كان بها من الروم على صلح يؤدونه لمن غلب على بلادهم.
انتهت الفتوحات في خلافة عمر رضي الله عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم، وحسبنا الله
ونعم الوكيل.
غزوات الروم

كان أول من غزا أرض الروم من المسلمين أبو بحرية عبد الله ابن قيس في سنة عشرين،
وقيل: أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسي، فسلم وغنم، ثم غزاها معاوية بن أبي
سفيان في سنة اثنتين وعشرين، ودخلها في عشرة آلاف فارس من المسلمين.
وفي سنة ثلاث وعشرين غزا معاوية الصائفة، ومعه عبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري
وأبو ذر وشداد بن اوس.
وفيها فتح معاوية رضي الله عنه عسقلان على صلح.
ما اتفق في خلافته
غير الفتوحات والغزوات.
سنة ثلاث عشر: في هذه السنة، توفي الأرقم بن أبي الأرقم يوم مات أبو بكر الصديق
رضي الله عنهما، وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفياً بداره بمكة
أول ما أرسل صلى الله عليه وسلم.
سنة أربع عشرة: في هذه السنة أمر عمر رضي الله عنه بالقيام في شهر رمضان في
المساجد، وجمعهم على أبي كعب، وكتب إلى الأمصار بذلك.
وفيها ضرب عمر رضي الله عنه ابنه عبد الله وأصحابه في شراب شربوه، وضرب أيضاً
أبا محجن الثقفي في الشراب.
وفيها حج عمر رضي الله عنه بالناس.
وكان العمال على مكة: عتاب بن أسيد وفي قول، وعلى اليمن يعلى ابن منية، وعلى
الكوفة سعد بن أبي وقاص، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح، وعلى البحر عثمان بن أبي
العاص، وقيل: العلاء بن الحضرمي، وعلى عمارة حذيفة بن محصن.
وفيها مات أبو قحافة. والد أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، ومات سعد بن عبادة
الأنصاري، وكان أسن من أسلم ممن بني هاشم رضي الله عنه.
فرض العطاء
وعمل الديوان
سنة خمس عشرة: وفي هذه السنة فرض عمر رضي الله عنه للمسلمين الفروض، ودون
الدواوين، وأعطى العطايا على السابقة في الإسلام لا على البيوت.
قال: ولما فرض العطايا أعطى صفوان بن امية والحارث بن عشام وسهيل بن عمرو في أهل

الفتح أقل مما أعطى من قبلهم، فامتنعوا من أخذه، وقالوا: لا نعترف أن يكون أحد أكرم
منا، فقال: إنى إنما أعطيتهم على السابقة في الإسلام لا في الأحساب، فقالوا: نعم إذن،
وأخذوا.
وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام، فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك
الدروب. وقيل: ماتا في طاعون عمواس.
وقيل: لما أراد عمر وضع الديوان، قال له علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه وعبد الرحمن
بن عوف رضي الله تعالى عنهم: أبدأ بنفسك. فقال: لا، بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله
عليه وسلم، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس، وبدأ به، وجعل له خمسة وعشرين ألفاً،
وقيل: فرض له اثني عشر ألفاً ثم فرض لأهل بدر لكل منهم خمسة آلاف، وألحق بهم أربعة
لم يكونوا منهم وهم: الحسن والحسين. أبو ذر وسلمان رضي الله تعالى عنهم.
وفرض لمن بعد بدر إلى الحديبية لكل منهم أربعة آلاف، وفرض لمن بعد الحديبية إلى قتال
الردة، لكل منهم ثلاثة آلاف، كان منهم من شهد الفتح.
وفرض لأهل الأيام قبل القادسية، وأهل الشام، في ألفين ألفين. وفرض لأهل البلاء منهم في
ألفين وخمسمائة، فقيل له: لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام ! قال: لم أكن لألحقهم بدرجة
من لم يدركوا. وقيل له: قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره، وقاتلهم عن فنائه، فقال:
من قربت داره أحق بالزيادة، لأنهم كانوا ردءاً للحتوف، وشحى للعدو، فهلا قال المهاجرون
مثل قولكم حين سوينا بين السابقين منهم والأنصار! فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم!
وهاجر إليهم المهاجرون من بعد. والله أعلم.
وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً.
وفرض للروادف التي في خمسمائة خمسمائة، وللروادف الثلث في ثلثمائة، سوى كل طبقة في
العطاء، قويهم وضعيفهم، عربيهم وعجميهم. وفرض للروادف الربع فيها مائتين وخمسين.
وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين.
وأعطى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهن عشرة آلاف عشرة آلاف
إلا من جري عليها الملك. فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القسمة، فسو بيننا؛ ففعل، وفضل عائشة رضي
الله عنها بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، فلم تأخذها.
وجعل لنساء أهل بدر خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعدهم إلى الحديبية أربعمائة
أربعمائة، ونساء من بعدهم إلى الأيام ثلثمائة ثلثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم
سوى بين النساء بعد ذلك.
وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثم جمع ستين مسكيناً وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما
أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبين، ففرض لكل إنسان منهم ولعياله جريبين في الشهر.
وقال عمر رضي الله عنه قبل موته: لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف،
ألف يجعلها الرجل في أهله، وألف يتزودها معه، وألف يتجهز بها، وألف يرتفق بها، فمات
قبل أن يفعل.
وقال له رجل عند فرض العطاء: يا أمير المؤمنين، لو كنت تركت في بيوت الأموال عدة
لكون إن كان فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك، فإنى الله شرها، وهي فتنة لمن بعدي،
بل أعد لهم ماأعد الله ورسوله، طاعة الله ورسوله، هما عدتنا التي بهما أفضينا إلى
ماترون؛ فإذا كان المال ثمن دين أحدكم هلكتم.
وقال عمر رضي الله عنه للمسلمين:
إنى كنت أمرأ تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم هذا ما ترون أنه يحل
لي في هذا المال؟ فأكثر القوم، وعلي رضي الله عنه ساكت، فقال: ماتقول يا علي؟
فقال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف، ليس لك غيره. فقال القوم: القول ما قال
علي. فأخذ قوته، واشتدت حاجة عمر رضي الله عنه. فاجتمع نفر من الصحابة منهم
عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فقالوا: لو قلنا لعمر في زيادة يزيدها إياه في رزقه؟ فقال
عثمان رضي الله عنه: هلموا فلنستبري ما عنده من وراء وراء. فأتوا حفصة ابنته
فأعلموها الحال، واستكتموها ألا تخبر بهم عمر. فلقيت عمر في ذلك، فغضب وقال: من
هؤلاء لاسؤنهم؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم. قال: أنت بيني وبينهم، ما أفضل ما أقتني

رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما
للوفد والجمع، قال: فاي الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبز شعير، فصببنا عليه
وهو حار أسفل عكة لنا، فجعلتها دسمة حلوة، فأكل منها، فقال:
أي ط كان يبسط عندك كان أوطأ؟ قالت:
كساء ثخين كنا نرقعه برقعة في الصيف فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه، وتدثرنا بنصفه.
قال: يا حفصة فأبلغيهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فوضع الفضول مواضعها،
وتبلغ بالترجية، فوالله لأضعن الفضول مواضعها، ولأتبلغن بالترجية؛ وإنما مثلي ومثل
صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد تزود فبلغ المنزل، وتبعه الآخر فسلك
طريق فأفضى إليه، ثم أتبعه الثالث؛ فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما، وإن سلك
غير طريقهما لم يجامعهما.
سنة ست عشرة: وفي هذه السنة حج عمر رضي الله عنه بالناس، وفيها غرب عمر
رضي الله عنه أبا محجن الثقفي إلى ناصع.
وفيها حمى الربذة بخيل المسلمين.
وفيها ماتت مارية أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليها عمر،
ودفنها بالبقيع؛ وذلك في المحرم.
وفيها كتب عمر التاريخ بمشورة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
وفيها حج عمر بالناس، واستخلفعلى المدينة زيد بن ثابت. والله تعالى أعلم بالصواب،
وإليه المرجع والمآب، وهو حسبي ونعم الوكيل.
بناء الكوفة والبصرة
سنة سبع عشرة ك في هذه السنة اختطت الكوفة والبصرة، وتحول سعد بن أبي وقاص
من المدائن إلى الكوفة، وكان سبب ذلك أن سعداً أرسل عمر بما فتح الله عليه، فلما رأى
الوفد سألهم عن تغير الوانهم وحالهم؛ فقالوا: وخومة البلاد غيرتنا فأمرهم أن يرتادوا منزلاً
ينزله الناس.
وقيل: بل كتب حذيفة إلى عمر: إن العرب قد نزفت بطونه، وخفت أعضاؤها، وتغيرت
ألوانها. وكان مع سعد، فكتب عمر إلى سعد: أخبرني ما الذي غير ألوان العرب

ولحومهم؟ فكتب إليه: إن الذي غيرهم وخومة البلاد، وأن العرب لا يوافقها إلا ما وافق
إبلها من البلدان. فكتب إليه أن أبعث سلمان وحذيفة فيرتادوا منزلاً برياً بحرياً، ليس بيني
وبينكم بحر ولا جسر، فارسلهما سعد.
فخرج سلمان حتى أتى الأنبار، فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة -
وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة - وكل رملة وحصباء
مختلطين فهو كوفة - فاتياً عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرقة، ودير أم عمرو، ودير سلسلة
وخصائص خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة، فنزلا وصليا، ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزلاً
مباركاً. فلما رجعا إلى سعد بالخبز، وقدم كتاب عمر أيضاً عليه، كتب سعد إلى القعقاع
بن عمرو وعبد الله بن المعتمر، أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده، ففعلا. فارتحل
سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة، فلما نزلها سعد كتب إلى
عمر: إنى قد نزلت بكوفة، منزلاً بين الحيرة والفرات، برياً بحرياً، ينبت الحلفاء والنصى،
وخيرت المسلمين بينها وبين المدائن، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة. ولما
استقروا بها عرفوا أنفسهم، ورجع إليهم ما كانوا فقدوا من قوتهم. واستأذن أهل الكوفة في
بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فاستقر منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل
الكوفة بعد ثلاث نزلات فيها قبلها. فكتب إليهم عمر: إن العسكرة أشد لحربكم، وأذكر
لكم، وما أحب أن أخالفكم، فابتني أهل المصرين بالقصب.
ثم إن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكانت الكوفة أشد حريقاً، وكان الحريق في شوال.
فبعث سعد نفراً منهم إلى عمر يستأذنه في البنيان باللبن، فقدموا عليه بخبر الحريق،
واستأذنوه، فقال: أفعلوا، ولا يزيد بناء أحدكم عن ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا بالبنيان، وألزموا
السنة تلزمكم الدولة.
فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى أهل البصرة بمثل ذلك، وكان على تنزيل
الكوفة أبو هياج بن مالك، وعلى تنزيل البصرة عاصم بن الدلف أبو الجرباء، وقدر المناهج

أربعين ذراعاً، ومابين ذلك عشرين ذراعاً، والأزقة سبعة أذرع، والقطائع سبعين ذراعاً.
وأول شيء خط فيهما مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزع، فرمى في كل ناحية
بسهم، وأمر أن يبني ماوراء ذلك. وبني ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام
من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلو على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان، وبنوا
لسعد داراً بحياله، وهي قصر الكوفة، بناه روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، وجعل
الأسواق على سنة المساجد، من سبق إلى مقعد فهو له، حتى يقوم منه إلى بيته، ويفرغ من
بيعه.
قال: وبلغ عمر أن سعداُ قال:
وقد سمع أصوات الناس من السوق: سكتوا عنى التصويت، وإن الناس يسمونه قصر
السعد. فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأمره أن يحرق باب القصر، ثم يرجع، ففعل
وبلغ سعداً ذلك، فقال: هذا رسول أرسل لهذا ! فاستدعاه، فابى أن يدخل إليه، فخرج
إليه سعد، وعرض عليه نفقة، فأبى أن يأخذها، وأبلغه كتاب عمر إليه وفيه:
بلغني أنك اتخذت قصراً جعلته حصناً، ويسمى قصر سعد، وبينك وبين الناس باب،
فليس بقصرك؛ ولكنه قصر الخيال، أنزل منه مما يلي بيوت الأموال، وأغلقه، ولا تجعل على
القصر باباً يمنع الناس من دخوله.
فحلف له سعد ما قال الذي قالوا، ورجع محمد، وأبلغ عمر قوله، فصدقه.
وكانت ثغور الكوفة أربعة: حلوان وعليها القعقاع بن عمرو، وما سبذان وعليها ضرار بن
الخطاب، قرقيسياء وعليها عمرو بن مالك، أو عمرو بن عقبة بن نوفل، والموصل وعليها
عبد الله بن المعتمر.
وكان بها خلفاؤهم إذا غابوا عنها.
وولى سعد الكوفة بعدما اختطت ثلاث سنين ونصفاً، سوى ماكان بالمدائن قبلها، والله
تعالى أعلم.
عزل خالد بن الوليد
وفي هذه السنة عزل خالد بن الوليد عما كان عليه من التقدم على الجيوش، وسبب ذلك

أنه أدرب هو وعياض بن غنم، فأصابا أموالاً عظيمة، وكانا توجهها من الجابية بعد رجوع
عمر إلى المدينة.
وقيل: إن مسير خالد مع عياض كان لفتح الجزيرة، فبلغ الناس ما أصاب خالد فانتجعه
رجال وكان فيهم الأشعث بن قيس، فأجازه بعشرة آلاف، ودخل خالد الحمام؛ قيل: حمام
آمد، فتدلك بغسل فيه خمر، فكتب إليه عمر:
بلغني أنك تدلكت بخمر، والله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه منه، فلا تمسها أجسادكم.
فكتب إليه: إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر. فكتب إليه عمر: إن آل المغيرة ابتلوا
بالجفاء، فلا أماتكم الله عليه.
فلما فرق خالد في الذين انتجعوه الأموال، سمع بها عمر، فكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح
مع البريد أن يقيم خالداً ويعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته حتى يعلمكم من أين أجاز
الأشعث، أمن ماله أم من إصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من ماله فقد أسرف، وإن زعم
أنها من إصابة، فقد أقر بخيانة. وأعزله على كل حال، وأضمم إليك عمله.
وكان خالد على قنسرين من قبل أبي عبيدة، فكتب أبو عبيدة إلى خالد، فقدم عليه، ثم
جمع الناس وجلس على المنبر، وقام البريد قبالة خالد، فسأل خالد من أين أجاز
الأشعث؟ فلم يجبه، وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم.
فقال بلال: إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ونزع عمامته فلم يمنعه، ووضع قلنسوته،
وأقامه وعقله بعمامته، وقال له: أمن مالك أجزت؟ أم من إصابة أصبتها؟ فقال: لا، بل من
مالي، فأطلقه، وأعاد قلنسوته، ثم عممه بيده، ثم قالك نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخم ونخدم
مواليناً.
قال: فأقام خالد متحيراً لا يدري: أمعزول هو أم غير معزول! ولم يشافهه أبو عبيدة بذلك
تكرمه له.
فلما تأخر قدومه على عمر ظن الذي كان، فكتب إلى خالد بالإقبال إليه، فرجع خالد إلى
قنسرين فخطب الناس، وودعهم، ثم رجع إلى حمص ففعل مثل ذلك، ثم سار إلى المدينة.
فلما قدم على عمر شكاه وقال: شكوتك إلى المسلمين، وبالله إنك في أمري لغير مجمل، فقال

له عمر: من أين هذا الثراء؟ فقال:
من الأنفال والسهمان، ما زاد على ستين ألفاً فلك.
فقوم عمر ماله، فرآه عشرين ألفاً، فجعلهاعمر في بيت المال،
ثم قال: يا خالد، والله إنك
على لكريم، وإنك إلي لحبيب. وكتب إلى الأمصار: إنى لم أعزل خالداً عن سخطة ولا
خيانة، ولكن الناس فخموه وفتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه،
فأحببت أن يعلموا أن الله هو
الصانع، ولا يكونوا بعرض فتنة، وعوضه عما أخذ منه. والله تعالى أعلم، وحسبنا الله
ونعم الوكيل.
بناء المسجد الحرام
وفي هذه السنة اعتمرعمر بن الخطاب رضي الله عنه وبنى المسجد الحرام، ووسع فيه،
وأقام بمكة عشرين ليلة، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال
حتى اخذوا، وكانت عمرته في شهر رجب، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت،
واستأذنه فإذن لهم وشرط عليهم، أن ابن السبيل أحق بالظل والماء.
عزل المغيرة بن شعبة
وفي هذه السنة عزل عمر رضي الله عنه المغيرة بن شعبة عن البصرة، واستعمل عليها أبا
موسى الأشعري، وكان سبب ذلك أنه كان بينه أو بين أبي بكرة منافرة، وكانا متجاورين
بينهما طريق، وكانا في مشربتين، في كل واحدة منهما كوة مقابلة للأخرى، فاجتمع إلى أبي
بكرة نفريتحدثون في مشربته، فهبت الريح، ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليرده، فبصر
بالمغيرة، وقد فتحت الريح باب كوته، وهو بين رجلي أمرأة، فقال للنفر:
قوموا وانظروا، فنظروا، وهم: أبو بكرة ونافع بن كلدة، وزياد بن أبيه، وهو أخو أبي بكرة
لأمه، وشبل بن معبد البجلي، فقال لهم:
اشهدوا. قالوا: ومن هذه ؟ قال:
أم جميل بنت الأفقم، وكانت من بني عامر بن صعصعة، زكانت تغشى المغيرة والأمراء.
وكان بعض النساء يفعلن ذلك ف زمانها، فلما قامت عرفوها.
فلما خرج المغيرة إلى
الصلاة منها أبو بكرة.
وروى أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني في كتابه يسند رفعه إلى أنس بن مالك وغيره:

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول: أين يذهب الأمير؟ فيقول:
آتي حاجة. فيقول له: حاجة ماذا! إ، الأمير يزار ولا يزور. قال: وكانت المرأة التي يأتيها
جاره لأبي بكرة.
قال: فبينا أبو بكرة في غرفة له مع أخويه نافع، وزياد ورجل آخر يقال له: شبل بن معبد،
وكانت غرفة جارته تحت غرفة أبي بكرة، فضربت الريح باب المرأة ففتحته، فنظر القوم؛
فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال أبو بكرة: هذه بلية ابتليتم بها، فانظروا، فنظروا؛ فإذا أبو
بكرة نزل، فجلس حتى خرج إليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له: إنه قد كان من أمرك ما
قد علمت، فاعتزلنا.
قال: وذهب ليصلي بالناس الظهر، فمنعه أبو بكرة، فقال: والله ما تصلي بنا وقد فعلت ما
فعلت. فقال الناس: دعوه فليصل، فإنه الأمير. ثم تقاربوا في الرواية فقاموا: وكتبوا إلى
عمر، فبعث أبا موسى أميراً على البصرة، وأمره بلزوم السنة، فقال: أعني بعدة من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم في هذه الأمة كالملح. قال: خذ من
اخترت، فأخذ تسعة وعشرين رجلاً، منهم أنس بن مالك، وعمران بن حصين، وهشام ابن
عامر، وخرج بهم فقدم البصرة، ودفع كتاب إمرته إلى المغيرة وفيه:
أما بعد: فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميراً، فسلم إلي ما في يدك، والعجل.
فرحل المغيرة ومعه أبو بكرة والشهود، فقدموا على عمر، فقال له المغيرة:
سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني، أمستقبلهم أم مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة فعرفوها؟
فإن كانوا مستقبلي فكيف لم أستتر!
وإن كانوا مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر في منزلي على أمرأتي! والله ما أتيت إلا
أمرأتي، وكانت تشبهها.
فشهد أبو بكرة أنه رآه على أم جميل، يدخله كالميل في المكحلة، وأنه رآهما مستدبرين،
وشهد شبل ونافع مثل ذلك.
وأما زياد فإنه قالك رأيته جالساً بين رجلي أمرأة، فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان، واستين

مكشوفتين، وسمعت حفزانا شديداً.
قال: هل رأيت الميل في المكحلة؟ قال: لا، قال: هل تعرف المرأة ؟ قال: لا، ولكن
أشبهها.
قال: ففتح، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد، فقال المغيرة: أشفني من الأعبد. قال: اسكت
أسكت الله نأمتك، أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك.
وفي هذه السنة تزوج عمر أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وهي بنت فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم، ودخل بها في ذي القعدة.
وحج عمر رضي الله عنه بالناس في هذه السنة.
وفي هذه السنة أسلم كعب الأحبار.
وفيها، في ذي الحجة حول عمر رضي الله عنه المقام إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً
بالبيت.
سنة ثمان عشرة: وفيها استقضى عمر شريح بن الحارث الكندي على الكوفة، وكعب بن
سور على البصرة، وكعب هذا ممن اسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره،
وكان لولايته القضاء سبب نذكره.
ولاية كعب بن سور
قضاء البصرة.
حكى عن الشعبي، أنه كان جالساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاءت امرأة
فقالت: ما رأيت رجلاً قط أفضل من زوجي، إنه ليبيت ليلة قائماً، ونهاره صائماً في اليوم
الحار ما يفطر، فاستغفر لهاعمر، وأثنى عليهما، وقال: مثلك اثني بالخير وقاله، فاستحيت
المرأة وقامت راجعة.
فقال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين، قال أعدت المرأة على زوجها إذ جاءتك تستعديك
! فقال: أكذلك أرادت؟ قال: نعم، قال: ردوا على المرآة، فردت. فقال لها: لا بأس بالحق
أن تقوليه، إن هذا زعم أنك جئت تشتكين أنه يجتنب فراشك، قالت أجل، إني امرأة
شابة، وإني أبتغي ما تبتغي النساء، فأرسل زوجها فجاء، فقال لكعب: أقض بينها، فقال:
أمير المؤمنين أحق أن يقضي بينها، فقال: عزمت عليك لتقضين بينها؛ فإنك فهمت من
أمرهما مالم أفهم!
قال: فإني أرى أن لها يوما من أربعة أيام؛ وكان زوجها له أربع نسوة، فإذا لم يكن له غيرها

فإنى أقضى لها بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن، ولها يوم وليلة.
فقال عمر: والله جاء رأيك الأول أعجب إلى من الآخر، أذهب فأنت قاض على أهل
البصرة. فلم يزل قاضياً على البصرة إلى أن قتل يوم الجمل؛ وذلك أنه لما اصطف الناس
للقتال خرج وبيده المصحف فنشره، وجال بين الصفين يناشد الناس في دمائهم، فأتاه سهم
غرب فقتله.
وقد قيل: إن المصحف كان في عنقه، وعليه برنس وبيده عصا وهو آخذ بخطام الجمل،
فأتاه فقتله.
وروى أبو عمر بن عبد البر رحمه الله بسنده إلى محمد بن سيرين، قال: جاءت امرأة إلى
عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت إن زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، فقال ما
تريدين؟ أتريدين أن أنهاه عن صيام النهار، وقيام الليل! قال ثم رجعت إليه فقالت مثل
ذلك، فأجابها بمثل جوابه، ثم جاءت الثالثة فقالت له كما قالت، فأجابها بمثل جوابه.
وكان عنده كعب بن سور، فقال كعب: إنها امرأة تشتكي زوجها.
فقال عمر: أما إذا فطنت لها فاحكم بينهما، فقام كعب: وجاءت يزوجها فقالت:

يا أيها القاضي الفقيه أرشده ألهى حليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي وتعبده نهاره وليله ما يرقده
ولست من أمر النساء أحمده فامض القضا يا كعب لا تردده

فقال الزوج:

إنى امرو قد شفني ما قد نزل في سوره النور وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جلل فردها عنى وعن سوء الجدل

فقال كعب:

إن السعيد بالقضاء من فصل ومن قضى بالحق حقاً وعدل
إن لها عليك حقاً يا بعل من أربع واحدة لمن عقل
امض لها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: أيها الرجل إن لك أن تتزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام،
ولأمرأتك هذا اليوم، ومن أربع ليال ليلة، فلا تصل في ليلتها إلا الفريضة.فبعثه عمر قاضياً
على البصرة. والله تعالى أعلم.
عام الرمادة

وفي هذه السنة أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط، وهو عام الرمادة، وكانت
الريح تسفي تراباً كالرماد، فسمى لذلك عام الرمادة، واشتد الجوع حتى كان الوحش يأوى
إلى الإنس، وكان الرجل يذبح الشاه فيعافها من فيحها، وأقسم عمر لا يذوق سمناً ولا لبناً،
ولا لحماً؛ حتى يحيا الناس.وكتب إلى الأمراء المقيمين بالأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن
حولها، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه
عمر قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها وانصرف إلى عمله، وتتابع الناس، واستغنى أهل
الحجاز.وأرسل عمرو بن العاص الطعام من مصر في البر والبحر، فصار الطعام في المدينة
كسعر مصر.واستسقى عمر رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم؛ وذلك أن أهل البيت من مزينة، قالوا لصاحبهم وهو بلال بن الحارث قد
هلكنا، فاذبح شاة، فقال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتى ذبح فسلخ عن عظم أحمر،
فنادى يامحمداه! فأرى ف المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه، فقال أبشر
بالحياة، أنت عمر فأقرأه منى السلام، وقل له: إني عهدتك، وأ،ت في العهد شديد العقد،
فالكيس الكيس يا عمر.فجاء بلال حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذن لرسول الله
صلى الله عليه وسلم، فأتى عمر فأخبره ففزع وقال: رأيت مسا؟قال: لا. قال: فأدخله،
فأدخله فأخبره الخبر، فخرج عمر فنادى في الناس، وصعد المنبر، قال: نشدتكم الله الذي
هداكم للإسلام، هل رأيتم شيئاًتكرهو؟ قالوا: اللهم لا، ولم ذاك؟ فأخبرهم ففطنوا ولم
يفطن عمر، فقالوا: إنما استبطأناك في الاستسقاء، فاستسق بناك فنادى في الناسن فخرج
وخرج معه العباس ماشياً، فخطب وأوجز، وصلى، ثم جثا لوكبتيه وقال: اللهم عجزت
عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك،
اللهم فاسقنا، وأحي العباد والبلاد.وأخذ بيد العباس، وإن دموع العباس تتحادر على
لحيته، فقال: اللهم إننا نتقرب إليك بعم نبيك، وبقية آبائه، وأكبر رجاله، فإنك تقول - وقولك

الحق: " وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة "
فحفظتهما بصلاح أبيهما، فاحفظ
اللهم نبيك في عمه، فقد دنونا إليك مستشفعين ومستغفرين،
ثم أقبل على الناس؛ فقال:
استغفروا ربكم إنه كان غفاراً.والعباس يقول وعيناه تذرفان،
ولحيته تجول على صدره:
اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة، ولا تدع الكبير بدار مضيعة؛
فقد ضرع الصغير، ورق
الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى.اللهم
فأغنهم بغناك قبل أن يقنطوا
فيهلكوا؛ فإنه لا يبشر إلا القوم الكافرون.فنشأت طريرة من
سحاب، فقال الناس: ترون،
ترون! ثم مشت فيها ريح، ثم هدرت ودرت، فوالله ما برحوا
حتى اعتلقوا الحذاء،
وقلصوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يمسحون أركانه،
ويقولون: هنيئاً لك ساقي الحرمين
!فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في ذلك:

بعمي سقي الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً إليه، فما إن رام حتى أتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

طاعون عمواس
وتسمية من مات فيه.وفي هذه السنة كان طاعون عمواس
بالشام، وعمواس قرية بين الرملة
وبيت المقدس. وقال ابن عبد البر: وقيل:إن ذلك لقولهم: عم
واس. قال الأصمعي.
مات فيه خمسة وعشرون ألفاً، منهم: أبو عبيدة بن الجارح،
وأسمه عامر بن الجراح. وقيل
عبد الله بن عامر بن الجراح. قال أبو عمر: والصحيح أن اسمه
بن عبد الله ابن الجراح بن
هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة القرشي الفهري.
شهد بدراً وما بعدها من المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهاجر
الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، وكان نحيفاً معروف الوجه،
طوالا أجنأ
وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان رضي الله عنه من
كبار الصحابة وفضلائهم،
وأهل السابقة منهم.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل أمة أمين، وأمين
هذه الأمة أبو عبيدة بن
الجراح.

وقد تقدم في أثناء السيرة النبوية خبر وفد نجران، وسؤالهم أن يبعث معهم ما يحكم بينهم،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ائتوني العشية أبعث معكم القوى الأمين"، فبعثه
معهم.
وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فقالوا: أبعث معنا رجلاً يعلمنا. فأخذ بيد أبي عبيدة، وقال: هذا أمين هذه
الأمة.
وقال أبو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، يعني عمر
وأبا عبيدة.
وقال له عمر رضي الله عنهما، إذ دخل عليه الشام، وهو أميرها: كلنا غيرته الدنيا
غيرك.
وكانت سنة يوم توف ثمانياً و خمسين سنة، وكانت وفاته رضي الله عنه بالأردن، وصلى
عليه معاذ بن جبل، ونزل في قبره هو وعمرو ابن العاص، والضحاك بن قيس.
وقبر أبي عبيدة بالقرب من قربة عميا من غور الشام معروف هناك، قد زرته أنا غير مرة
رضي الله عنه.
ومنهم: معاذ بن جبل، وهو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن
عدي بن كعب بن عمرو بن إدي بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم
بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي.
وقد نسبه بعضهم في نسب بني سلمة بن سعد بن علي، قال ابن اسحاق: معاذ بن جبل
من بني جشم بن الخزرج، وإنما ادعته بنو سلمة، لأنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن
قيس لأمه.
قال الواقدي وغيره: كان معاذ بن جبل طوالاً، حسن الشعر عظيم العينين، أبيض، براق
الثنايا، لم يولد له قط.
وقال ابن الكلبي، عن أبيه: إنه ولد له عبد الرحمن بن معاذ. مات بالشام في الطاعون
أيضاً، فانقرض بنو إدي بموته.
وقيل: إن عبد الرحمن قاتل مع أبيه يوم اليرموك. ومعاذ بن جبل أحد السبعين الذين

شهدوا بيعة العقبة، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم.بينه وبين عبد الله بن
مسعود، قاله الواقدي، وقال: هذا مالاخلاف عندنا فيه.
وقال ابن اسحاق: آخي رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين جعفر بن أبي طالب.
شهد معاذ بدراً والمشاهد كلها، وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى الجند
من ارض اليمن، يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض
الصدقات من العمال الذين باليمن، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قسم اليمن
على خمسة رجال: خالد بن سعيد على صنعاء، والمهاجر بن أبي أمية على كندة، وزياد
بن لبيد على حضرموت، ومعاذ بن جبل على الجند، وأبي موسى الأشعري على زبيد
وزمعة وعدن والساحل.
وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وجهه إلى اليمن، بم تقضي؟ قال: بما في
كتاب الله عز وجل. قال: فإن لم تجده؟ قال بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
قال: فإن لم تجده؟ قال:
بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد؟ قال:
أجتهد برأيي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الحمد لله الذي وفق رسول الله لما
يحب رسول الله "
وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده عن كعب بن مالك، قال: كان معاذ بن جبل شابا
جميلاً، من أفضل شباب قومه، سمحاً، لا يمسك؛ فلم يدان حتى أغلق ماله كله من الدين،
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فطلب إليه أن يسأل غرماءه أن يضعوا له، فأبوا، ولو
تركوا لأحد من أجل أحد لتركوا لمعاذ بن جبل من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ماله كله في دينه، حتى قام معاذ بغير شيء، حتى
إذا كان عام فتح مكة، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى طائفة من أهل اليمن ليجبره
فمكث معاذ باليمن أميراً.
وكان أول من أتجر في مال الله هو، فمكث حتى أصاب وحتى قبض رسول الله صلى الله

عليه وسلم. فلما قدم قال عمر لابي بكر: أرسل إلى هذا الرجل فدع له مايعيشه، وخذ
سائره منه، فقال أبو بكر رضي الله عنه:
إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجبره، ولست بآخذ منه شيئاً؛ إلا أن
يعطيني. فانطلق عمر إليه إذ لم يطعه أبو بكر، فذكر ذلك لمعاذن فقال معاذك إنما أرسلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجبرني، ولست بفاعل، ثم أتى معاذ عمر وقال: قد
أطعتك، وأنا فاعل ما أمرتني به، إني رأيت في المنام أني في حومة ماء؛ قد خشيت الغرق
فخلصني منه يا عمر.
فأتى معاذ أبا بكر، فذكر ذلك لهن وحلف له أنه لا يكتمه شيئاً فقال أبو بكر: لا آخذ
منك شيئاً، قد وهبته لك، فقال: هذا خير حل، وطاب، فخرج معاذ عند ذلك إلى الشام.
قال أبو عمر: كان عمر قد استعمله في الشام حين مات أبو عبيدة ولما ماتأبو عبيدة،
استعمل عمر بن الخطاب معاذ بن جبل على الشام، فمات من عامه؛ وذلك في الطاعون،
فاستعمل موضعه عمرو بن العاص.
وقال المدائني: مات معاذ بناحية الأردن في طاعون عمواس في سنة ثماني عشرة، وهو بن
ثمان وثلاثين.
وقال غيره: كان سنة يوم مات ثلاثاً وثلاثين سنة.
وقبر معاذ بغور الشام، بالقرب من قرية القصير من شرقيها معروف هناك، قد زرته غير
مرة، وبينه وبين قبر أبي عبيدة نحو مرحلة.
ومنهم يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف، كان أفضل
بني سفيان، وكان يقال له يزيد الخير. أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنيناً، واستعمله أبو بكر
رضي الله عنه تعالى عنه وأوصاه، وخرج يشيعه راجلاً.
وروى أبو بشر الدولابي: أنه مات سنة تسع عشرة بعد أن افتتح قيسارية.
ومنهم الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، وهو
أخو أبي جهل لأبويه.
أسلم بوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حنيناً، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مائة من الإبل، وأعطى المؤلفة قلوبهم، ثم خرج إلى الشام ف خلافة عمر رضي الله عنه

راغباً في الرباط والجهاط فتبعه أهل مكة يبكون فراقه، فقال: إنها النقلة إلى الله تعالى، وما
كنت لأوثر عليكم أحداً، فلم يزل بالشام يجاهد حتى مات في طاعون عمواس.
وقال المدائني: إنه قتل يوم اليرموك، في شهر رجب سنة خمس عشرة، والله سبحانه وتعالى
أعلم.
ومنهم سهيل بن عبد شمس بن عبد ود بن نضر بن مالك بن جبل بن عامر بم لؤي بن
غالب القرشي العامري. يكنى أبا يزيد، وكان أحد الأشراف من قريش وسادتهم، وهو
الذي عاقد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية و قاضاه كما تقدم.
أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وثال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب في
سهيل بن عمرو: " دعه فعسى أن يقوم مقاماً نحمده"، فكان المقام الذي قامه في الإسلام أنه
لما ماج أهل مكة عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتد ارتد من العرب، قام
سهيل خطيباً فقال: والله إني لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس من طلوعها إلى
غروبها، فلا يغرنكم هذا عن أنفسكم، - يعني أبا سفيان - فإنه يعلم من هذا الأمر ما
أعلم؛ ولكنه قد جثم على صدره بحسد بني هاشم.
وأتى في خطبته بمثل ما جاء به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالمدينة. وروى ابن
المبارك عن جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: حضر الناس باب عمر بن الخطاب،
وفيهم سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب، واولئك الشيوخ من قريش، فخرج آذنه فجعل
يأذن لأهل بدر، لصهيب وبلال: فقال أبو سفيان:
ما رأيت كاليوم قط؛ إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا! فقال سهيل: أيها
القوم: إنى والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم،
دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم.
أما والله لما سبقوا كم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون
عليه، ثم قال: أيها القوم، إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل إلى ماسبقوكم
إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسى أن الله يرزقكم شهادة ثم. نفض ثوبه فقام ولحق

بالشام.
وقال المدائني:
إنه قتل باليرموك، والله تعالى أعلم.
ومنهم: عتبة بن سهيل، وعامر بن غيلان الثقفي، مات وأبوه حي، ومات غير هؤلاء،
رحمهم الله تعالى.
قدومه إلى الشام
بعد الطاعون.
قال: لما هلك الناس بالطاعون، كتب أمراء الأجناد إلى عمر رضي الله عنه بما في أيديهم
من المواريث، فجمع الناس واستشارهم وقال لهم: قد بدا لبي أن أطوف على المسلمين في
بلدانهم؛ لأنظر في آثارهم، فأشيروا على، وكما أراد أن يبدأ بالعراق، فصرف كعب الأحبار
رأيه عن ذلك، فخرج إلى الشام، واستخلف على المدينة على بن أبي طالب، وجعل طريقه
على أيله، فلما دنا منها ركب بعيره وعلى رحلة فرو مقلوب، وأعطى غلامه مركبه، فلما
تلقاه الناس قالوا: أين أميرا المؤمنين؟ قال: أمامكم - يعن نفسه - فسارو أمامه، وانتهى هو
إلى أيله فنزلها.
وقيل للمتلقين: قد دخل أمير المؤمنين، فرجعوا، وأعطى عمر الأسقف بها قميصه وقد
تخرق ظهره؛ ليغسله ويرقعه، ففعل وأخذه ولبسه، وخلط له الأسقف قميصاً غيره، فلم
يأخذه فلما قدم إلى الشام قسم فيها الأرزاق، وسمى الشواتي والصوئف، وسد فروج الشام
ومسالحها،وأخذ يدور بها، واستعمل عبيد الله بن قيس على السواحل من كل كورة،
واستعمل معاوية على دمشق وخراجها بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان، وعزل
شرحبيل بن حسنة، وقام بعذره في الناس، وقال: إني لم أعزله عن سخطة، ولكني أريد
رجلاً أقوى من رجل، وكان شرحبيل على خيل الأردن، فضم ذلك إلى معاوية.
قال: ولما قدم عمر رضي الله عنه تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما رآه عمر قال: هذا
كسرى العرب، فلما دنا منها قال: أنت صاحب الموكب العظيم!
قال: نعم، يا أمير المؤمنين،
قال: مع ما بلغني من وقوف ذي الحاجات ببابك ! قال: مع ما يبلغك م ذلك، قال: ولم تفعل

هذا؟ قال: نحن بأرض، جواسيس العدو بها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما
يرهبهم، فإن أمرتني فعلن، وإن نهيتني أنتهيت. فقال عمر: يا معاوية، ما اسألك عن شيء
ألا تركتني في مثل رواجب الفرس، لئن كان ماقلت حقاً، إنه لرأي لبيب، وإن كان باطلاً إنه
لخدعة أريب. قال: فمرني يا أمير المؤمنين. قال: لا آمرك ولا أنهاك.
قال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين، ما أحسن ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه.
قال:
لحسن مصادره وموارده جشمنا ما جشمناه.
وروى أبو عمر بن عبد البر: أن عمر بن الخطاب رزق معاوية على عمله بالشام عشرة
آلاف دينار في كل سنة.
قال المؤرخ: واستعمل عمر رضي الله عنه عمرو بن عنبسة على الأهراء، وقسم مواريث
أهل عمواس، فورث بعض الورثة من بعض، وأخرجها إلى الأحياء، من ورثة كل منهم،
ورجع عمر إلى المدينة في ذي القعدة من السنة.
قال: ولما كان بالشام وحضرت الصلاة قال له الناس: لو أمرت بلالاً فأذن ! فأمره، فأذن،
فما بقي أحد ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته،
وعمر أشدهم بكاء، وبكى من لم يدركه لبكائهم.
وحج عمر رضي الله عنه بالناس في هذه السنة.
سنة تسع عشرة: في هذه السنة سالت حرة ليلى وهي بالقرب من المدينة ناراً، فأمر عمر
بالصدقة، فتصدق الناس، فانطفأت. وفيها مات أبي بن كعب.
وقيل: مات سنة عشرين
وقيل اثنتين وعشرين. وقيل: اثنتين وثلاثين، والله تعالى أعلم.
وحج عمر رضي الله عنه بالناس في هذه السنة.
سنة عشرين من الهجرة: في هذه السنة عزل عمر رضي الله عنه قدامة بن مظعون عن
البحرين، وولى عثمان بن أبي العاص.
وقيل: بل استعمل أبا هريرة على البحرين، واليمامة، وقيل: استعمل أبا بكرة على البحرين
واليمامة.
وكان سبب عزل قدامة، أن الجارود بن المعلى سيد عبد القيس قدم على عمر من
البحرين، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن قدامة شرب فسكر، وإني رأيت حداً من حدود لله حقاً على أن
أرفعه إليك فقال عمر:
من يشهد معك؟ فقال: أبو هريرة، فدعا أبا هريرة فقال بم تشهد؟ قال: لم أره يشرب،
ولكن رأيته سكران يقئ. فقال عمر: لقد تنطعت في الشهادة.
ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين، فقدم، فقال الجارود: أقم على هذا حد الله
فقل عمر: ما أراك إلا خصماً، وما شهد أحد بعد إلا رجلاً واحداً.
فقال الجارود: إني أنشدك الله! فقال عمر: لتمسكن عني لسانك وإلا سؤتك. فقال: يا
عمر، أما والله ماذاك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوءني! ثم قال: ياعمر:، إن
كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فسلها، وهي امرأة قدامة.
فأرسل عمر إلى هند ابنة الوليد ينشدها، فأقامت الشهادة على زوجها، فقال عمر
لقدامة: إني حادك، فقال: لو شربت كما يقولون ما كان لكم أن تجدوني، فقال عمر: لم ؟
قال قدامة: قال الله عز وجل:" ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
إذا ما اتقوا وآمنوا ".
فقال عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرمه عليك، ثم أقبل عمر
على الناس فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: ما نرى أن تجلده ما كان مريضاً،
فسكت على ذلك أياما، ثم أصبح يوماً قد عزم على جلده، فقال لأصحابه: ما ترون في
جلد قدامة؟ فقالوا: ما نرى أ، تجلده ما كان وجعاً، فقال عمر: لأن يلقى الله تحت
السياط أحب إلى من أن ألقاه وهو في عنقي. ائتوني بسوط تام، وأمر بقدامة فجلد،
فغاضب قدامة عمر وهجره، فلم يزل كذلك حتى حج عمر وقدامة معه، فلما قفلا من
حجهما، ونزل عمر بالسقيا نام، فلما استيقظ قال: عجلوا على بقدامة، فوالله لقد أتاني آت
في منامي فقال: يالم قدامة فإنه أخوك.
فلما أتوه أبي أن يأتي، فأمر عمر به إن أبي أن يجروه إليه، فجاءه فاستغفر له عمر وكلمه،
فكان ذلك أول صلحهما.
حكاه أبو عمر: قال: وكان قدامة خال عبدالله وحفصة ابني عمر رضي الله عنهم.

إجلاء يهود خيبر

وفي هذه السنة أجلى عمر رضي الله عنه يهود خيبر، وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما فتح الله عليه خيبر، دعا أهلها فقال لهم: إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال
على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقركم على ما أقره الله عز وجل. فقبلوا
ذلك واشترط عليهم، أنا متى شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، وقد تقدم ذكر ذلك مستوفي
في السيرة النبوية، في غزاة خيبر.

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرهم أبو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرهم عمر رضي الله عنه بعده إلى هذه السنة.

ثم بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: " لا
يجتمعه في جزيرة العرب دينان"، ففحص عن ذلك حتى أتاه الثبت، فأرسل إلى يهود فقال:
إن الله قد أذن لي في إجلائكم، وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا
يجتمعن بجزيرة العرب دينان، فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد فليتجهز للجلاء، فأجلى من لم يكن عنده عهد
من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن إسحاق: حدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خرجت
أنا والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعهدها، فلما قدمنا تفرقنا في
أموالنا.

قال عبد الله: فعدا على تحت الليل شيء وأنا نائم على فراشي، فنزعت يداي من فرقي،
فلما أصبحت استصرخت على صاحباي، فأتياني فسألاني: من صنع بك هذا ؟ فقلت:
لا أدري، فأصلحاني ثم قدما بي على عمر، فقال: هذا عمل اليهود.

ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل
يهود خيبر على أ،ا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر، فقدعوا يديه كما
بلغكم، مع عدوتهم على الأنصاري قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس هناك عدو غيرهم،

فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج اليهود، فأخرجهم.
قال: وركب عمر في المهاجرين والأنصار، واخرج معه جبار ابن صخر بن أمية - وكان
خارص أهل المدينة وحاسبهم - وزيد ابن ثابت، وهما قسما خيبر على أهلها على أصل
جماعة السهمان التي كانت عليها.
وفيها أيضاً أجلي نصارى نجران إلى الكوفة.
وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة، وكانت تطرفت بلاد الشام، فأصيب
المسلمون، فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً أبداً - يعني للغزو.
وقيل: كان ذلك في سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه.
عزل سعد
بن أبي وقاص عن الكوفة.
ومن ولي بعده في هذه السنة.
سنة إحدى وعشرين: وفي هذه السنة عزل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي
وقاص عن الكوفة؛ حين شكاه أهلها، وولى عمار بن ياسر الصلاة، وعبد الله بن مسعود
بيت المال، وعثمان ابن حنيف مساحة الأرض، ثم عزل عماراً؛ لأن أهل الكوفة شكوه،
فاستعفى.
وأعاد سعداً على الكوفة ثانية، ثم عزله، وولى جبير بن مطعم، ثم عزله قبل أن يخرج
إليها، وكان سبب عزله أن عمر رضي الله عنه ولاه، وقال له: لا تذكره لأحد، فسمع المغيرة
بن شعبة أن عمر خلا بجبير بن مطعم، فأرسل امرأته إلى امرأة جبير لتعرض عليها طعام
السفر، فقالت: نعم، جيئيني به.
فلما علم المغيرة جاء إلى عمر، فقال: بارك الله لك فيمن وليت. وأخبره الخبر، فعزله،
وولى المغيرة بن شعبة الكوفة، فلم يزل عليها إلى أن قتل عمر:
وقيل: إن عمر رضي الله عنه لما أراد أن يعيد سعداً إلى الكوفة أبى عليه، وقال: أتأمرني
أن أعود إلى قوم يزعمون أنى لا أحسن أن أصلي، فتركه وولى خالد بن الوليد.
وقيل: في سنة اثنتين وعشرين، قيلك كانت وفابه بحمص، ودفن في قرية على ميل منهما.
وقيل: بل توفي بالمدينة.

ولما حضرته الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدي موضع شبر ألا
وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، ثم هاأنذا أموت على فراشي كما يموت العير! فلا نامت
أعين الجبناء. حكى أبو عمر: انه لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبر
خالد بن الوليد، أي حلقت رأسها.
قال المؤرخ: وكان الأمراء في هذه السنة على الأمصار، عمير بن سعد على دمشق
وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة. ومعاوية بن أبي سفيان على البلقاء والأردن وفلسطين
والسواحل وأنطاكية وقلقية ومعرة مصرين، والعمال على بقية الأمصار من ذكرنا.
وفيها ولد الحسن البصري والشعبي. وفيها مات العلاء ابن الحضرمي أمير البحرين،
فاستعمل عمر رضي الله عنه مكانه أبا هريرة.
وحج عمر رضي الله عنه بالناس، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت.
سنة اثنتين وعشرين: في هذه السنة ولد يزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، وكان
عماله على الأمصار من ذكرنا إلا الكوفة والبصرة؛ فإن عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة،
وعلى البصرة أبو موسى.
سنة ثلاث وعشرين: وفي هذه السنة حج عمر رضي الله عنه بالناس، وحج معه أزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي آخر حجة حجها.
فيها كان مقتل عمر رضي الله عنه وأرضاه بمنه وكرمه.
مقتل عمر
بن الخطاب ومدة خلافته.
قد اختلف في تاريخ مقتل رضي الله عنه، فقال الواقدي: لثلاث بقين من ذي الحجة سنة
ثلاث وعشرين، وقال الزبير: لأربع بقين من ذي الحجة.
وروى عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: قتل عمر بوم الأربعاء لأربع بقين من ذي
الحجة.
وكانت خلافته رضي الله تعالى عنه عشر سنين ونصفاً وخمس ليال وعمره ثلاث وستون
سنة على الصحيح.
وقتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة؛ وذلك أن عمر رضي الله عنه خرج بوما يطوف في
الأسواق، فلقيه أبو لؤلؤة فيروز- وكان نصرانياً، وقيل: مجوسياً - وقد ذكرنا ما كان يقوله لما

قدم سبي نهاوند: أكل عمر كبدي، فلما لقيه قال: يا أمير المؤمنين، أعدني على المغيرة بن
شعبة ؛ فإنه يكلفني خراجاً كثيراً، قال: كم يحملك؟ قال: مائتي درهم في الشهر:وقيل: إنه
قال: درهمان في كل يوم، قال: وما صناعتك؟ قال: نجار نقاش حداد، قال: فما أرى
خراجك كثيراً على ما تصنع من الأعمال، وقد بلغني أنك تقول. لو أردت أن أصنع رحا
نطحن بالري لفعلت. قال: نعم، قال: فاعمل لي رحا. قال: إن سلمت لأعملن لك رحا
يتحدث بها أهل المشرق والمغرب.
فقال عمر: قد أوعدني العلج الآن، ثم انصرف عمر إلى منزله. فلما كان من الغد جاء
كعب الأحبار إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين أعهد فإنك ميت في ثلاث، قال: وما يدريك؟
قال: أجده في كتاب التوراة، قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا؛
ولكني أجد صفتك وحليتك. قال: وعمر لا يجد وجعاً، ثم جاءه من الغد وقال: بقي
يومان، ثم جاءه من غد الغد وقال: قد مضى يومان، وقد بقي يوم.
فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجلاً، فإذا استوت كبر، ودخل
أبو لؤلؤة في الناس، وفي يده خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات،
إحداهن تحت سرته، وهي التي قتلته، قتل معه كليب بن بكير الليثي وجماعة غيره.
روى أنه طعن معه اثنا عشر رجلاً، وقيل: ثلاثة عشر مات منهم ستة، فلما وجد عمر
حر السلاح سقط، وأمر عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس وهو طريح، فاحتمل، فأدخل
بيته ودعا عبد الرحمن، فقال: إنى أريد أن أعهد إليك، قال: أتشير علي بذلك؟ قال: عمر
اللهم لا، فقال: والله لا أدخل فيه أبداً قال: فهبني صمتاً؛ حتى أعهد إلى النفر الذين توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض، ثم دعا علياً، وعثمان، والزبير وسعداً،
وقال: انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً، فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم.
أنشدك الله ياعلي، إن وليت من أمور الناس شيئاً على ألا تحمل بني هاشم على رقاب
الناس.

أنشدك الله يا عثمان، إن وليت من أمور الناس شيئاً ألا تحمل بني أبي معيط على رقاب
الناس.
أنشدك الله يا عثمان، إن وليت من أمور الناس شيئاً ألا تحمل أقاربك على رقاب الناس.
قوموا فتشاوروا، ثم أقضوا أمركم، وليصل بالناس صهيب، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري
فقال: قم على بابهم فلا تدع أحدا يدخل إليهم، وأوص الخليفة من بعدي بالأنصار الذين
تبوءوا الدار والإيمان، أن يحسن إلى محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم، وأوص الخليفة
بالعرب؛ فإنهم مادة الإسلام، أن تؤخذ من صدقاتهم حقها، فتوضع في فقرائهم، وأوص
الخليفة بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم.
اللهم بلغت! لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة، ثم قال لأبنه عبد الله:
أنظرمن قتلني؟ فقال: قتلك أبو لؤلؤة، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل
سجد لله سجدة واحدة، وأرسل عبد الله ابنه إلى عائشة، فاستأذنها أن يدفن مع النبي
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، ثم قال: يا عبد الله، إن اختلف القوم
فكن مع الأكثر، فإن تساووا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف.
يا عبد الله، ائذن للناس، فدخل عليه المهاجرون والأنصار، فجعلوا يسلمون عليه، فيقول
لهم: هذا عن ملأ منكم؟ فيقولون: معاذ الله! ودخل كعب الأحبار مع الناس، فلما رآه
عمر رضي الله تعالى عنه قال:

وأوعدني كعب ثلاثاً أعدها ولا شك أن القول ما قاله كعب
ومابي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

قال: ولما طعن أبو لؤلؤة عمر، ومنطكعن معه، رمي عليه رجل من أهل العراق برنساً، ثم
نزل عليه، فلما رأى أنه لا يستطيع أن يتحرك، وجأ نفسه فقتلها.
قال أبو عمر بن عبد البر: ومن أحسن شيء يروي في مقتل عمر وأصحه ما رواه بسنده
إلى عمرو بن ميمون، قال: شهدت عمر يوم طعن ومات، وما منعني أن أكون في الصف
المقدم إلا هيبته - وكان رجلاً مهيباً - فكنت في الصف الذي يليه، فأقبل عمر، فعرض له

أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، ففاجأ عمر قبل أن تستوي الصفوف، ثم طعنه ثلاث
طعنات، فسمعت عمر وهو يقول: دونكم الكلب فإنه قد قتلني، وماج الناس وأسرعوا إليه،
فجرح ثلاثة عشر رجلاً، فانكفأ عليه رجل من خلفه فأحتضنه، وحمل عمر، فماج الناس
بعضهم في بعض حتى قال قائل: الصلاة يا عباد الله، طلعت الشمس.
فقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بنا بأقصر سورتين في القرآن، "إذا جاء نصر الله
والفتح" "و إنا أعطيناك الكوثر"، واحتمل عمر، ودخل الناس عليه، فقال: يا عبد الله بن
عباس، أخرج فناد في الناس: أعن ملأ منكم هذا ؟ فقالوا: معاذ الله! والله ما علمنا ولا
أطلعنا. وقال: أدعوا إلى الطبيب فدعى الطبيب فقال: أي الشراب أحب إليك؟ فقال:
النبيذ فسقي نبيذا فخرج من بعض طعناته، فقال الناس: هذا دم، هذا صديد، فقال:
اسقوني لبناً، فسقى لبناً، فخرج من الطعنة، فقال له الطبيب: لا أري أن تمسي، فما كنت
فاعلاً فافعل.
وروى أبو عمر أيضاً بسنده إلى عوف بن عوف بن مالك الأشجعي: أنه رأى في المنام،
كأن الناس جمعوا، فإذا فيهم رجل فرعهم فهو فوقهم بثلاثة أذرع.
قال: فقلت: من هذا ؟ فقالوا: عمر. قلت: ولم ؟ قالوا: لأن فيه ثلاث خصال، لأنه لا
يخاف في الله لومة لائم، وأنه خليفة مستخلف، وأنه شهيد مستشهد.
قال: فأتى أبو بكر فقصها عليه، فأرسل إلى عمر فدعاه ليبشره، فجاء عمر فقال لي أبو
بكرك اقصص، قال ك فلم بلغت خليفة مستخلفن درني عمر وانتهرني، وقال: اسكت،
تقول هذا وهو حي!
قال: فلما كان هذا بعد، وولى عمر، مررت بالمسجد وهو على المنبر، فدعاني وقال:
اقصص علي رؤياك، فقصصتها، فلما قلت: إنه لا يخاف في الله لومة لائم قال: إني لأرجو أن
يجعلني الله منهم، قال: فلما قلت: " خليفة مستخلف" قال: قد استخلفني الله، وأسأله أن يعينني على ما ولاني، فلما أن ذكرت: " شهيد مستشهد"،
قال:

أني لي بالشهادة وأنا بين أظهركم تغزون ولا أغزو! ثم قال: بلى يأتي الله بها إن شاء، يأتي
الله بها إن شاء.
وقد روي معمر عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم: أن النبي
صلى الله عليه وسلم رأى على عمر قميصاً أبيض، فقال: أجديد قميصك هذا، أم
غسيل؟ قال: بل غسيل قال: " ألبس جديداً، وعش حميداً، مت شهيداً، ويرزقك الله قرة
عين في الدنيا والآخرة"، قال: وإياك يا رسول الله.
وروي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ناحت الجن على عمر قبل أن يقتل بثلاث،
فقالت:

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت له الأرض تهتز العضاة بأسوق
جزي الله خيراً من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائق من أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته بكف سبنتي أزرق العين مطرق

والله سبحانه وتعالى أعلم.
قصة الشورى
قال: وقيل لعمر: لو استخلفت يا أمير المؤمنين؟ قال: لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته،
وقلت لربي إن سألني: سمعتك وسمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى
أبي حذيفة حياً لاستخلفته، وقلت لربي إن سألني: سمعت نبيك يقول: " إن سالماً شديد
الحب لله".
فقال له رجل: أدّلك على عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله ! ما أردت بهذا ويحك!
كيف استخلف من عجز عن طلاق امرأته! لاأرب لنا في أموركم، ما حمدتها فأرغب
فيها لأحد من أهل بتي، إن كان خيراً قد أصبنا منه، وإن كان شراً قد صرف عنا،
بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد، ويسأل عن أمة محمد! أما لقد جهدت
نفسي، وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا أجر ولا وزر، إني لسعيد. انظر فإن
استخلفت، فقد استخلف من هو خير مني، وإن أترك فقد ترك من هو خير مي، ولن يضيع

الله دينه.
فخرجوا، ثم راجوا فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو عهدت عهداً!
فقال: قد كنت أجمعت بعد
مقالتي أن أنظر فأولي رجلاً أمركم، وهو أحراكم أن يحملكم
على الحق - وأشار إلى علي
- فرهقتني غشية، فرأيت رجلاً دخل الجنة، فجعل يقطف كل
غضة ويانعة فيضمه إليه،
ويصيره تحته، فعلمت أن الله بالغ أمره، فما أردت أن اتحملها
حياً وميتاً.
عليكم هؤلاء الرهط الذين قالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم: إنهم من أهل الجنة،
وهم: علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد، والزبير بن العوام،
وطلحة بن عبيد الله،
فلتختاروا منهم رجلاً، فإذا ولوا والياً فاحسنوا موازرته وأعينوه،
وخرجوا.
فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم، إني أكره الخلاف، قال: إذن
ترى ما تكره، فلما أصبح
عمر دعا علياً، وعثمان، وسعداً، وعبد الرحمن، والزبير، فقال:
إني نظرت فوجدتكم
رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو عنكم راض. إني لا أخاف الناس عليكم إن
استقمتم؛ ولكني أخافكم
فيما بينكم، فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة عائشة بإذنها،
فتشاوروا فيها. ووضع
رأسه وقد نزفه الدم، فدخلوا فتناجوا؛ حتى ارتفعت أصواتهم.
فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله! إن أمير المؤمنين لم يمت
بعد، فسمعه عمرك فانتبه،
وقال: أعرضوا عن هذا، فإذا أنا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، وليصل
بالناس صهيب، ولا يأتين
اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر عبد الله بن عمر
مشيراً، ولا شيء له من
الأمر، وطلحة شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة
فأحضروه، وإن مضت الأيام
الثلاثة قبل قدومه فامضوا لأمركم. ومن لي بطلحةظ فقال
سعد بن أبي وقاص: أنا لك به،
ولا يخالف إن شاء الله تعالى.
فقال عمر رضي الله عنه: أرجوا ألا يخالف إن شاء الله، وما
أظن أن يلي هذا الأمر إلا
أحد هذين الرجلين: علي أو عثمان.
فإن ولي عثمان، فرجل فيه لين، وإن ولي علي ففيه دعابة
وأحر به أن يحملهم على الحق،

وإن تولوا سعداً فأهلها هو وإلا فليستعن به الوالي، فإني لم أعزله عن ضعف ولا جناية،
ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف! فاسمعوا منه.
وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة، إن الله تعالى طالما أعز بكم الإسلام، فاختر
خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم.
وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى
يختاروا رجلاً.
وقال لصهيب: صل بالناس ثلاثة أيام، وأدخل هؤلاء الرهط. بيتاً، وقم على رؤوسهم، فإن
اجتمع خمسة وأبي واحد فأشدخ رأسه بالسيف، وإن أنفق أربعة وأبى اثنان فاضرب
رؤوسهما، وإن رضي اثنان رجلاً، واثنان رجلاً، فحكموا عبد الله بن عمر، فإن لم ترضوا
بحكمة فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع
فيه الناس، فخرجوا، فقال علي لقوم معه من بني هاشم: إن أطع فيكم قومكم لم تؤمروا
أبداً، وتلقاه عمه العباس فقال: عدلت عنا، قال: وما علمك؟
قال: قرن بي عثمان، وقال:
كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم عبد
الرحمن، فسعد لا يخالف ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليها أحدهما
الآخر، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني.
فقال له العباس: لم أدفعك في شيء إلا رجعت إلى مستأخراً لما أكره، أشرت عليك عند
وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله فيمن هذا الأمر، فأبيت، وأشرت عليك
بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورى ألا تدخل
معهم فأبيت.
احفظ عني واحدة، كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلا أن يولوك، واحذر هؤلاء الرهط؛
فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا حتى يقوم به لنا غيرنا. وآيم الله لا تناله إلا بشر لا ينفع
معه خير.
فلما مات عمر ودفن، جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور ابن مخرمة، وقيل: في بيت

المال. وقيل: في حجرة عائشة بإذنها، وطلحة غائب، وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم.
وجاء عمر بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما سعد وأقامهما، وقال:
تريدان أن تقولا مضنا وكنا في أهل الشورى! فتنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام، فقال
أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها، لا والذي ذهب بنفس عمر لا
أزيدكم عل الأيام الثلاثة التي أمر، ثم أجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون.
فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن نوليها أفضلكم، فلم يجبه
أحد، فقال: أنا أنخلع منها.
قال عثمان: أنا أول من رضي، قال:القوم: قد رضينا،وعلي ساكت، فقال: ما تقول أبا
الحسن؟ قال: أعطني وثقاً لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخص ذا رحم لرحمه، ولا تألوا
الأمة، فقال: أعطوني مواثقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير، وأن ترضوا من
اخترت لكم، وعلى ميثاق الله ألا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين قال: فأخذ منهم
ميثاقاً، وأعطاهم مثله.
فقال لعلي: تقول: إنى أحق من حضر هذا الأمر، لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه
وسلم؛ وسابقتك وحسن أثرك في الدين، ولم تبعد؛ ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك
ولم تحضر إلى هؤلاء الرهط، من تراه أحق به؟ قال: عثمان، وخلا بعثمان فقال: تقول:
شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول الله وابن عمه ولي سابقه وفضل، فأين يصرف هذا
الأمر عني؟ ولكن لو لم تحضر، أي هؤلاء أحق به؟ قال علي.
ولقي علي سعداً فقال:
أتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبرحم عمي حمزة ألا تكون مع عبد الرحمن ظهيراً لعثمان علي. ودار عبد الرحمن
ليلقى أصحاب رسول الله ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم؛
حتى إذا كانت الليلة التي صبيحتها يستكمل الأجل، أتى منزل المسور بن مخرمة فأيقظه
وقال له: لم أذق غيب هذه االليلة كثير غمض، انطلق فاجع الزبير وسعداً ؛ فدعاهما، فبدأ

بالزبير فقال له: خل عبد بني مناف، وهذا الأمر، قال: نصيبي لعلي. وقال لسعد: اجعل
نصيبك لي، فقال: إن اخترت نفسك فنعم، وإن اخترت عثمان فعلي أحب إلي، أيها الجل،
بايع لنفسك وارحنا وارفع رؤوسنا.
فقال: قد خلعت نفي على أن أختار، ولو لم أفعل لم أردها، إني رأيت روضة خضراء
كثيرة العشب، فدخل فحل ما رأيت أكرم منه، فمر كأنه سهم لم يلتفت إلى شيء منها؛ حتى
قطعها، لم يعرج. ودخل بعير يتلوه، فاتبع أثره حتى خرج منها، ثم دخل عبقري يجر خطامه
ومضى قصد الأولين، ثم دخل بعير رابع فوقع في الروضة، ولا والله لا أكون الرابع، ولا
يقوم مقام أبي بكر وعمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه.
قال: وأرسل المسور، فاستدعي علياً فناجاه طويلاً وهو لا يشك أنه صاحب الأمر، ثم
نهض، ثم أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرق بينهما الصبح، فلما صلوا الصبح جمع
الرهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين واهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء
الأجناد، فاجتمعوا حتى التحم المسجد بأهله، فقال:
أيها الناس، إن الناس قد أحبوا أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم، وقد علموا من
أميرهم، فأشيروا علي.
فقال عمار بن ياسر: إذا أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً.
فقالع المقداد بن الأسود: صدق عمار إن بايعت علياً، قلنا: سمعنا وأطعنا.
وقال ابن أبي سرح: إذا أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان.
فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدقت، إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا وأطعنا.
فشتم عمار بن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين!
فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، فقال عمار: أيها الناس، إن الله أكرمنا بنبيه، وأعزنا بدينه،
فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم!
فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يابن سمية، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها!
فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن، أفرغ قبل أن يفتن الناس، فقال عبد الرحمن: إنى
قد نظرت وشاورت، فلا تجعلن فيها أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً، ودعا علياً، فقال:
عليك عهد الله وميثاقه، لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخليفتين من بعده؟

فقال: أرجو أن أفعل، فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.
ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، فقال: نعم، فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في
يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة
عثمان، فبايعه.
وقيل: وخرج عبد الرحمن بن عوف وعليه عمامته التي عممه رسول الله صلى الله عليه
وسلم متقلداً سيفه؛ حتى ركب المنبر.
فوقف وقوفا طويلاً، ثم دعا دعاء لا يسمعه الناس، ثم تكلم فقال:
أيها الناس، إنى قد سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين
الرجلين: إما علي، وإما عثمان.
فقم إلى يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر، وأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت
مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفعل أبي بكر وعمر؟
قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذاك وطاقتي.
قال: فأرسل يده ثم نادي: قم إلى يا عثمان، فأخذ بيده، وهو في موقف على الذي كان
فيه، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم
نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان، فقال: اللهم اسمع واشهد ثلاثاً،
اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان،
قال: فازدحم الناس يبايعون
عثمان حتى غشوه عند المنبر، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من
المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتلكأ علي.
فقال عبد الرحمن: " فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتيه أجراً عظيماً"
فرجع علي يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول: خدعة، وأي خدعة!
وقيل لما بايع عبد الرحمن عثمان قال علي: ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر
جميل، والله المستعان على ما تصفون، والله ماوليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل
يوم هو في شأن.

فقال عبد الرحمن: يا علي، لا نجعل على نفسك حجة ولا سبيلاً، فخرج علي وهو يقولك
سيبلغ الكتاب أجله.
فقال المقداد: يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.
فقالع: يا مقداد: ما رأيت مثل ما أتى إلى اهل هذا البيت بعد نبيهم، وإني لأعجب من
قريش أنهم تركوا رجلاً، لا أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالعدل، ولا أعلم منه، أما والله
لو أجد أعوانا عليه!
فقال عبد الرحمن: يا مقداد، اتق الله؛ فإنى خائف عليك الفتنة.
فقال رجل للمقداد: رحمك الله! من أهل هذا البيت؟ ومن هذا الرجل؟ قال: أهل
البيت بنو عبد المطلب، والرجل علي بن أبي طالب.
فقال علي: إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر بينها: فتقول: إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وإن كانت في غيرهم تداولتموها
بينكم.
قال: وقدم طلحة في ليوم الرابع الذي بويع فيه عثمان فقيل له: بايعوا لعثمان، فقال: كل قريش
راض به؟ قالوا: نعم. فأتى عثمان فقال له عثمان: أنت على رأس أمرك، إن أبيت
رددتها.
قال: أتردها؟ قال: نعم. ثم قال أكل الناس بايعوك؟ قال، نعم
قال: قد رضيت، لا أرغب
عما أجمعوا عليه، وبايعه.
حكاه ابن الأثر في تاريخه الكامل، عن عمر وبن ميمون. وفيه زيادة عن الطبري.
وروى أبو جعفر الطبري رحمه الله في قصة الشورى، عن المسور بن مخرمة محو مات تقدم؛
إلا أنه ذكر زيادات ذكرنا بعضها في أثناء هذه القصة، ونذكر بقيتها الآن.
قال: لما دفن رضي الله عنه جمعهم عبد الرحمن وخطبهم، وأمرهم بالاجتماع وترك
التفرق.
فتكلم عثمان رضي الله عنه، فقال: الحمد لله الذي اتخذ محمداً نبياً وبعثه رسولاً
وصدقه وعده، ووهب له نصره على كل من بعد نسيا، أو قرب رحما، صلى الله عليه،
وجعلنا الله تابعين وبأمره مهتدين، فهو لنا نور ونحن بأمره نقوم، عند تفرق الأهواء، ومجادلة

الأعداء، جعلنا الله بفضله أئمة، وبطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منا، ولا يدخل علينا غيرنا
إلا من سفه الحق، ونكل عن القصد، وأحر بها يابن عوف أن تترك، وأجدربها أن تكون
إن خولف أمرك، وترك دعاؤك، فأنا مجيب وداع إليك، وكفيل بما أقول زعيم، واستغفر الله
لي ولكم.
ثم تكلم الزبير بعده، فقال: أما بعد، فإن داعي الله لا يجهل ومجيبه لا يخذل، عند تفرق
الأهواء، ولي الأعناق، ولن يقصر عما قلت إلا غوي، ولن يترك ما دعوت غليه وإلا شقي،
ولولا حدود لله فرضتن وفرائض لله حدت، تراح على أهلها، وتحيا لا تموت؛ لكان الموت
من الإمارة نجاه، والفرار من الولاية 2صمة، ولكن لله علينا إجابة الدعوة،و إظهار السنة،
لئلا نموت موتة عمية، ولا نعمي عمي جاهلية، فأنا مجيبك إلى مادعوت، ومعينك على
ماأمرت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، واستغفر الله لي ولكم.
ثم تكلم سعد فقال. الحمد لله بديئاً، بمحمد صلى الله عليه وسلم أنارت الطرق،
واستقامت السبل، وظهر الحق، ومات كل باطل، إياكم أيها النفر وقول الزور، وأمنية أهل
الغرور فقد سلبت الأماني قوما قبلكم، ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتم، فاتخذوا الله عدوا،
ولعنهم لعناً كثيراً، قال، قال الله تعالى: " لعن الذين كفروا من بني إسرائيل... ".
إلى قوله: " لبئس ما كانوا يفعلون."
إني نكبت قرني وأخذت سهمي الفالج، وأخذت لطلحة بن ابن عبيد الله ما ارتضيت
لنفسي، فأنا كفيل به، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا بن عوف، بجهد النفس،
وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل وإليه الرجوع، واستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله
في مخالفتكم.
ثم تكلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: الحمد لله الذي بعث محمداً منا نبياً،
وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن
طلب؛ لنا حق إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل، ولو طال السري. لو عهد

إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه
حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق، وصلة رحم، ولا قوة وإلا بالله.
اسمعوا كلامي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر بعد هذا المجتمع تنتضي فيه
سيوف، وتخان في العهود، حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة، وشيعة
لأهل الجهالة.
ثم قال:
فإن تك جاسم هلكت فإني بما فعلت بنو عبد بن ضخم
مطيع في الهواجر كل عي بصير بالنوى من كل نجم
فقال عبد الرحمن: أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر، ويوليه غيره؟ قال:
فأمسكوا عنه. وذكر نحو ماتقدم.
فلنرجع إلى بقية أخبار عمر رضي الله عنه.
قال: ومات عمر لأربع بقين من ذي الحجة، قاله الواقدي.
وقال غيره: يوم الأثنين الميلتين بقيتا منه، وقيل: طعن يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة،
سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد هلال المحرم، سنة أربع وعشرين في حجرة عائشة
رضي الله عنها، ورأسه قبالة كتفي أبي بكر رضي الله عنهما، وصلى عليه صهيب
الرومي. والله سبحان وتعالى اعلم بالصواب.
أولاده وأزواجه
تزوج رضي الله عنه في الجاهلية زينب بنت مظعون بن حبيب ابن وهب بن حذافة بن
جمح، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة أم المؤمنين رضي الله عنهم.
وتزوج مليكة بنت جرول الخزاعي في الجاهلية فولدت له عبيد الله ففارقها في الهدنة،
وقيل: كانت أم عبد الله وأم زيد الأصغر أم كلثوم بنت جرول الخزاعي. وكان الإسلام فرق
بينها وبين عمر.
وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي في الجاهلية، ففارقها في الهدنة أيضاً، فتزوجها بعده
عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقريبة أخت أم سلمة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم.
وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي في الإسلام، فولدت له فاطمة، فطلقها،
وقيل: لم يطلقها.

وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي في الإسلام، فولدت له عاصماً
فطلقها، وقيل: لم يطلقها.
وتزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمها فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وأصدقها أربعين ألفاً فولدت رقية وزيداً.
وتزوج لهية، امرأة اليمن، فولد له عبد الرحمن الأوسط، وقيل الأصغر. وقيل: كانت أم
ولد، وكانت عنده فكيهبة أم ولد فولدت له زينب، وهي أصغر ولد عمر.
وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وقد تقدم خبرها عند ذكر عبد الله بن أبي
بكر.
ومن أولاده رضي الله عنه: عبد الرحمن، وكنيته أبو شحمة؛ وقيل: إنه كان له ولد يقال له:
مجبر.
ولنفصل هذا الفصل لذكر شيء من أخبار من أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أولاد عمر، ومن ولد في حياته أما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فإنه أسلم مع أبيه،
وهو صغير لم يبلغ الحلم وكان أول مشاهده الخندق. وقيل: أحد؛ لأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ردد يوم بدر لصغر سنه، وشهد الحديبية، وكان رضي الله عنه من أهل الورع
والعلم، كثير الاتباع لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، شديد التحري والاحتياط في
فتواه. وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم كان
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرالحج. وقال رسول الله صلى الله وسلم لحفصة
بنت عمر: " إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل"، فما ترك بعدها قيام
الليل. وقعد عن حرب علي لما أشكلت عليه لورعه، ثم ندم على ذلك حين حضرته
الوفاة، فقال: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً إلا أنى لم أقاتل مع علي الفئة الباغية.
قال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من أبن عمر، ولا أعمل من ابن عباس.
وأفتى من الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علماً جماً.
وروى عن يوسف بن الماجشون، عن أبيه وغيره: أن مروان بن الحكم دخل في نفر على

عبد الله بن عمر بعد ما قتل عثمان، فعرضوا عليه أن يبايعوا له، فقال: كيف لي بالناس؟
قال: تقاتلهم ونقاتل معك، قال: والله لو اجتمع على أهل الأرض، إلا أهل فدك ما قاتلتهم
فخرجوا من عنده ومروان يقول:
إني أرى فتنة تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا
قال: وكانت وفاة عبد الله بمكة سنة ثلاث وسبعين، بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر أو
نحوها، وقيل: ستة أشهر، وأوصى أن يدفن في الحل، فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج،
فدفن بذي طوى بمقبرة المهاجرين.
وكان الحجاج قد أمر رجلاً فسم زج رمحه، وزحمه في الطريق، ووضع الزج في ظهر قدمه؛
ذلك أن الحجاج خطب يوماً، وأخر الصلاة، فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك، فقال
الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك. فقال: إن تفعل فإنك سفيه سلط. وقيل:
إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج فلم يسمعه.
وكان عبد الله يتقدم في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلام يقف فيها، فكان ذلك يعز على الحجاج، فأمر الحجاج رجلاً معه حزبه
مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة، لصق به ذلك الرجل، فأمر الحربة على قدمه وهو
فيغرز راحلته، فمرض منها إياماً، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال: من فعل ذلك بك يا أبا
عبد الرحمن وخرج عنه. وقيل إنه قال للحجاج: إذ قال: من فعل بك؟ قال: أنت الذي
أمرت بإدخال السلاح في الحرم، فلبث أياماً ثم مات رضي الله عنه، وصلى عليه الحجاج.
وأما عبد الرحمن الأكبر، فإنه أدرك لسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخف عنه.
وعبد الرحمن الأوسط وهو أبو شحمة هو؛ الذي ضربه عمرو ابن العاص بمصر في الخمر،
ثم حمله إلى المدينة فضربه أبوه أدب الوالد، ثم مرض ومات بعد شهر.
كذا رواه معمر عن الزهري، عن سالمن عن أبيه، وأهل العراق يقولون: إنه مات تحت
سياط عمر.
قال ابن عبد البر: وذلك غلط. وقال الزبير: أقام عليه عمر حد الشراب، فمرض ومات.

وعبد الرحمن الأصغر، هو أبو المجبر، واسم المجبر عبد الرحمن ابن عبد الرحمن بن عمر:
سمي المجبر لأنه وقع وهو غلام فتكسر، فأتى به إلى عمته حفصة أم المؤمنين، فقيل لها:
انظري إلى ابن أخيك المكسر فقالت: ليس بالمكسر ولكنه المجبر.
وقال الزبير: هلك عبد الرحمن الأصغر و ترك ابناً صغيراً، أو حملاً فسمته حفصة: عبد
الرحمن، ولقبته المجبر، وقالت: لعل الله يجبره.
وعبيد الله بن عمر ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينقل أنه روى
عنه، ولاسمع منه، وهو الذي حده عمر في شرب الخمر، وهو الذي وثب على الهرمزان
فقتله، وقتل معه نصرانياً اسمه جفينة من أهل الحيرة، وقد اتهمهما أنهما أغريا أبا لؤلؤة بقتل
عمر. وقتل أيضا ابنة لأبي لؤلؤة طفلة، ولما ضرب الهرمزان بالسيف قال: لا إله إلا الله،
فلما قتل هؤلاء أخذه سعد بن أبي وقاص وحبسه في داره، وأحضره عند عثمان. وكان
عبيد الله يقول: والله لأقتل: رجالاً ممن شرك في دم أبي، يعرض بالمهاجرين والأنصار.
قالوا: وإنما قتل هؤلاء، لأن عبد الرحمن أبي بكر قال غداة قتل عمر:
رأيت عشية أمس الهرمزان، وأبا لؤلؤة، وجفينة، وهم يتناجون، فلما رأوني ثاروا، وسقط
منهم خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، وهو الخنجر الذي ضرب به عمر، فقتلهم عبيد
الله. فلما أحضره عثمان قال: أشيروا على في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق، فقال
علي:
أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قتل عمر أمس، ونقتل ابنه اليوم!
فقال عمرو بن العاص:
إن الله قد أعفاك أن يكون لك هذا الحدث، ولك على المسلمين سلطان. فقال عثمان: أنا
وليه، وقد جعلها دية، واحتلتها في مالي.
وقيل في فداء عبيد الله غير ذلك.
قال القماذيان بن الهرمزان: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمر فيروز بأبي،
ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال له:
ما تصنع به؟ قال: أسن به، فرآه رجل، فلما أصيب عمر قال:

رأيت الهرمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله فقتله.
فلما ولي عثمان أمكنني منه، فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، وإلا أنهم يطلبون
إلى فيه، فقلت لهم: ألي قتله؟ قالوا: نعم، وسبوا عبيد الله، قلت: أفلكم منعه؟ قالوا: لا
وسبوه، فتركته لله ولهم، فحملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الناس.
والأول أصح وأشهر؛ لأعلياً لما ولي الخلافة أراد قتل عبيد الله، فهرب منه إلى معاوية
بالشام، ولو كان إطلاقه بأمر ولي الدم لم يعرض له علي رضي الله عنه.
قال أبو عمر:
وكان عبيد الله من أنجاد قريش وفرسانهم، قتل بصفين مع معاوية، وكان يومئذ على الخيل،
فرماه أبو زبيد الطائي.
وقيل: كان قد خرج في اليوم الذي قتل فيه، وجعل امرأتين له بحيث تنظران إلى فعله وهما:
أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي، وبحرية بنت هاني بن قبيصة، فلما برز شدت
عليه ربيعة فنشب بينهم فقتلوه، وكان على ربيعة يومئذ زياد بن خصفة التميمي، فقيل له:
إن هذه بحرية، فسقط عبيد الله ميتاً قرب فسطاطة، وقد بقي طنب في طنبة الفسطاط
لا وتد له، فجروه، وشدوا الطنب برجله، وأقبلت امرأتاه حتى وقفتا عليه، فبكتا
وصاحتا، فخرج زياد بن خصفة فقيل له:
إن هذه بحرية بنت هانئ.
فقال: ما حاجتك يا بنت أخي؟ فقالت: زوجي قتل، تدفعه إلي، قال:
نعم، فخذيه، فحملته على بغل، فذكر أن يديه ورجليه خطتا على الأرض من فوق البغل
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا
محمد.
عمال عمر
رضي الله عنهم وعن الأمصار
قد ذكرنا عما له في حوادث السنين، ورأينا أن نجمعهم في هذا الموضع فنقول: كان عماله
رضي الله عنهم: على مكة عتاب ابن أسيد، وعلى اليمن والطائف يعلى بن منية، وعلى
البحرين واليمامة العلاء بن الحضرمي، ثم عثمان بن أبي العاص، ثم دثامة ابن مظعون، ثم

أبا بكرة، وعلى عمان حذيفة بن محصن، وعلى البصرة - أول من كان بها - قطبة بن
قتادة السدوسي، يغزو بتلك الناحية، كما كان المثني يفعل بناحية الحيرة. ثم كتب إلى عمر
بن بكر، فسار إلى الأهواز، فقتله الأعاجم بدارس، فاستعمل عمر عتبة بن غزوان، ففتح
الأبلة، ثم سار إلى عمر، فأعاده إلى عمله، فمات في الطريق، فكانت إمارته ستة أشهر،
فاستعمل بعده أبا سبرة بن أبي رهم على أحد الأقوال، ثم المغيرة بن شعبة، ثم عزله كما
تقدم بيانه، فاستعمل أبا موسى الأشعري، ثم صرفه إلى الكوفة، واستعمل عمر بن سراقة،
ثم صرفه إلى الكوفة، وصرف أبا موسى إلى البصرة فعمل عليه ثانية، ثم صرفه و أعاده
ثالثة.
وعلى مضافات البصرة جماعة فكان على مناذر غالب الوائلي، وعلى نهر تيري حرملة بن
مريطة، وعلى سوق الأهواز حرقوص بن زهير.
وعلى الكوفة وما يليها.
أول من استعمل عليها سعد بن أبي وقاص، فكان عليها إلى سنة عشرين، فعزله لشكاية
أهلها، وأقر خليفته على الكوفة، وهو عبد الله بن عبد الله بن عتبان، ثم استعمل عمر
عمار بن ياسر بن مسعود كما تقدم، ثم المغيرة بن شعبة.
وعلى ثغور الكوفة م قدمنا ذكره، وعلى الجزيرة وما يليها عياض بن غنم، ثم ضمه عمر
إلى أبي عبيدة، واستعمل حبيب ابن مسلمة على خراج الجزيرة وعجمها، والوليد بن عقبة
على عربها، وعلى الموصل من كان على حربها ربعي بن الأفكل، وعلى خراجها عرفجة
ابن هرثمة؛ وذلك في سنة ست عشرة.
وقيل: كان على الحربو الخراج بها عتبة بن فرقد، وقيل كان ذلك إلى عبد الله بن غنم،
وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح وكان تحت يده جماعة على الأعمال، فكان خالد بن
الوليد على قنسرين وحمص، ويزيد بن أبي سفيان على دمشق ومعاوية على الأردن،
وعلقمة بن مجزز على فلسطين وعبد الله بن قيس على السواحل. فلما مات أبو عبيدة
استعمل عمر معاذ بن جبل فمات من عامه،فاستعمل يزيد بن أبي سفيان فمات، فاستعمل

معاوية على دمشق والاردن، ثم استقر في سنة إحدى وعشرين عمير بن سعد على
دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة،ومعاوية بن أبي سفيان على البلقاء والأردن
وفلسطين، والسواحل، وانطاكية، وقلقية، ومعرة مصرين.
وعلى مصر عمرو بن العاص، وكان العمال في سنة وفاته إلى آخر سنة ثلاث وعشرين.
وعلى مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعي، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي.
وعلى صنعاء يعلى بن منية، وقال الجند عبد الله بن أبي ربيعة، وعلى الكوفة المغيرة بن
شعبة، وعلى البصرة أبا موسى الأشعري، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى حمص:
عمير بن سعد، وعلى دمشق معاوية، وعلى البحرين وما والاها عثمان ابن أبي العاص
الثقفي.
كتابه
عبد الله بن خلف الخزاعي وزيد بن ثابت، وعلى بيت المال زيد ابن أرقم.
قضاته:
يزيد بن أخت النمر بالمدينة:
وأبو أمية شريح بن الحارث الكندي بالكوفة، ويقال: إن شريحاً أقام قاضياً ستين سنة إلى
أيام الحجاج، فعطل ثلاث سنين، وامتنع من الحكم، وذلك في أيام فتنة ابن الزبير. ولما ولى
الحجاج استعفاه، فأعفاه، ومات سنة سبع وثمانين وله مائة وعشرون سنة.
وقيل: مائة سنة، وليس هو في عداد الصحابة رضي الله عنهم، بل من كبار التابعين.
وعلى قضاء البصرة كعب بن سور.
وعلى قضاء مصر قيس بن العاص السهمي، ثم كعب بن سيار بن ضبة، ثم عثمان بن
أبي العاص.
وكان حاجبه برفأ مولاه، وخاتمه خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو عمر بن
عبد البر:
كان نقش خاتمة:" كفى بالموت واعظاً يا عمر."
عثمان بن عفان
هو أبو عبد الله، وقيل: أبو عمرو، وقيلك في تكنيته بابي عبد الله.
إن رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولدت له ابناً فسماه عبد الله، فاكتنى به،

ومات، ثم ولد له عمرو، فاكتنى به إلى أن مات.
وقيل: أنه كان يكنى أبا ليلى عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن
عبد مناف، ويجتمع مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، ولقب بذي
النورين، لأنه تزوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم.
وقيل للمهلب بن أبي صفرة: لم قيل: عثمان ذو النورين؟ قال: لأنه لا نعلم أن أحداً أرسل
ستراً على ابنتي نبي غيره.
وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأمها
البيضاء، أم حكيم بنت عبد المطلب، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل والله سبحانه وتعالى أعلم. بالصواب، وهو حسبي
ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد.
صفته وفضائله
كان رضي الله عنه طويل القامة، حسن الوجه وقيل: كان ربعه، ليس بالقصير ولا بالطويل،
حسن الوجه رقيق البشرة، كبير اللحية، عظيماً أسمر اللون، كثير الشعر، ضخم
الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، وكان يصفر لحيته، ولما كبر شد أسنانه بالذهب، وهو
رضي الله عنه أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ومات
وهو عنهم راض.
وله رضى الله عنه فضائل ومآثر وسابقة في الإسلام
وقال علي رضي الله عنه: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا واتقوا
وأحسنوا، والله يحب المحسنين.
واشترى رضي الله عنه بئر رومة، وكانت ركية ليهودي، يبيع للمسلمين ماءها،فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: " من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين، يضرب بدلوه في
دلائهم، وله بها مشرب في الجنة؟ " فأتى عثمان اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها،
فاشترى منه نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت
جعلت على نصيبي يومين، وإن شئت على يوم ولك يوم، قال:لا، بل لك يوم ولي يوم. فكان

إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى اليهودي ذلك، قال: أفسدت
على ركبتي، فاشتر النصف الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يزيد في مسجدنا؟ فاشترى عثمان رضي الله عنه موضع خمس سوار، فزاده في المسجد.
وجهز رضي الله عنه جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً، وأتم الألف بخمسين فرساً.
وعن قتادة رضي الله عنه، قال: حمل عثمان ما في جيش العسرة على ألف بعير، وسبعين
فرساً.
وعن محمد بن بكير: أن عثمان رضي الله عنه، كان يحيى الليل: أن عثمان رضي الله
عنه، كان يحيى الليل يركعه يقرأ فيها القرآن. وروى أنه كان يصوم الدهر رضي الله عنه.
بيعة عثمان
رضي الله عنه.
بويع له بالخلافة كما تقدم في قصة الشورى، وقد اختلف في يوم بيعته، وهو مرتب على
الخلاف في تاريخ وفاة عمر رضي الله عنهما، فقيل: في يوم السبت غرة المحرم، سنة أربع
وعشرين. ولم يذكر أبو عمر بن عبد البر غيره.
وقيل: يوم الأثنين لليلة بقيت من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، فاستقبل بخلافته شهر
المحرم، سنة أربع وعشرين، قاله أبو جعفر.
قال: وقيل: لعشر خلون من المحرم معد مقتل عمر بثلاث ليال.
قال: استخلف وقد دخل وقت العصر، وقد أذن مؤذن صهيب، واجتمعوا في ذلك بين
الأذان والإقامة، فخرج فصلى بالناس، وزادهم مائة مائة، ووفد أهل الأنصار، وهو أول من
صنع ذلك.
قال: وقيل: لما بايع أهل الشورى عثمان رضي الله عنهن خرج وهو أشدهم كآبة، فأتى
منبر النبري صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله واثني عليه وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم قال: أيها الناس، إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير
ما تقدرون علي، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور " فلا
تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور؟ واعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا؛
فإنه لا يغفل عنكم.

أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها، ومتعوا بها طويلاً! ألم تلفظهم! رموا
بالدنيا حيث رمى الله بها. واطلبوا الآخرة؛ فإن الله عز وجل قد ضرب لها مثلاً والذي
هو خير، فقال:" واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء..." إلى قوله: "
والباقيات الصالحات خير عن ربك ثوابا وخير أملا"
وكان أول كتاب كتبه إلى عماله:
أما بعد؛ فإن الله تعالى أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وأن
صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، ولم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة، ولا
يكونوا رعاة؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء.
ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم مالهم، وتأخذوهم
بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدة الذي
تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء.
كان أول كتاب كتبه إلى أمراء الأجناد في الفروج:
أما بعد، فإنكم حماة المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر رضي الله عنه ما لم يغب
عنا، بل كان عن ملأ منا، ويستبدل بكم غيركم. فانظروا كيف تكونون، فإنى أنظر فيما
ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه.
ذكر الفتوحات والغزوات في خلافة عثمان
أهل الاسكندرية
وفي سنة خمس وعشرين نقض أهل الاسكندرية الصلح؛ وذلك أن الروم حضروا إليهم من
القسطنطينية، ونفذ منهم منويل الخصى، واتفقوا مع من بها من الروم، ولم يوافقهم المقوقس،
وثبت على صلحه، فثبت لذلك.
وسار عمرو بن العاص إليهم، وسار إليه الروم، واقتتلوا أشد قتال، فانهزم الروم وتبعهم
المسلمون إلى أن أدخلوهم الإسكندرية، وقتلوا منهم في البلدة مقتلة عظيمة، وقتل منويل
الخصى.
وكان الروم لما خرجوا من الإسكندرية أخذوا أموال أهل تلك القرى، من وافقهم ومن
خالفهم، فلما ظفر بهم المسلمون جاء أهل القرى الذين خالفوهم فقالوا لعمرو بن العاص: إن
الروم أخذوا اموالنا ودوابنا، ولم نخالف نحن عليكم، وكنا على الطاعة، فردع عليهم ما

غرموا من أموالهم بعد إقامة البينة.
وهدم عمرو سور الإسكندرية
غزوة أرمينية
وغيرها وما وقع من الصلح.
كان عثمان رضي الله عنه قد استعمل سعد بن أبي وقاص على الكوفة، ثم عزله،
واستعمل الوليد بن عقبة بن أبي معيط - وهو أخو عثمان لأمه - فعزل الوليد عتبة بن
فرقد عن أذربيجان، فنقضوا العهد فغزاهم الوليد في سنة خمس وعشرين، وجعل على
مقدمته ابن شبيل الأحمسي، وأغار على أهل موقان وما جاورها، ففتح وغنم وسبى،
وطلب أهل كور أذربيجان الصلح، فصالحهم على صلح حذيفة، وهو ثمانمائة ألف درهم،
فقبض المال ثم بث سراياه، وبعث سلمان بن ربيعة و الباهلي إلى أهل أرمينية في أثني
عشر ألفً فقتل وسبى وغنم، ثم انصرف وقد ملأ يده حتى أتى الوليد.
وعاد الوليد وجعل طريق إلى الموصل، ثم أتى الحديثة.
قال: ولما نزل الوليد بن عقبة الحديثة، أتاه كتاب عثمان رضي الله عنه يقول: إن معاوية
كتب إلى أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة، وقد رأيت أن يمدهم أخوانهم
من أهل الكوفة. فابعث إليهم رجلاً له نجدة وبأس في ثمانية آلاف، أو تسعة آلاف، أو
عشرة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه، والسلام.
فقام الوليد في الناس، وأعلمهم الحال، وندبهم مع سلمان ابن ربيعة الباهلي، فانتدب معه
ثمانية آلاف، فمضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم، فشنوا الغارات، فأصاب
الناس ما شاءوا، وافتتحوا حصونا كثيرة.
وقيل: إن الذي أمد حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة، كان سعيد بن العاص لما كان
على الكوفة؛ وكان سبب ذلك أن عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزى حبيب بن مسلمة
في أهل الشام أرمينية، فوجهه إليها، فأتى قاليقلا فحصرها، وضيق على من كان بها،
فطلبوا الأمان على الجلاء أو الجزية، فجلا كثير منهم، فلحقوا ببلاد الروم، وأقام حبيب بها
فيمن معه أشهراً، ثم بلغه أن بطريق أرمنياقس - وهي ملطية، وسيواس وقونية، وما ولاها

من البلاد إلى خليج القسطنطينية - واسمه الموريان، قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم.
فكتب إلى معاوية بذلك، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى سعيد بن العاص،
يأمره بإمداد حبيب، فأمده بسلمان في ستة آلاف، فأجمع حبيب على تبييت الروم،
فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكبيبة، فقالت: أين موعدك؟ فقال: سرادق الموريان،
ثم بيتهم، فقتل من وقف له، ثم أتى السرادق فوجد امرأته قد سبقته إليه، ولما انهزمت
الروم عاد حبيب إلى قاليقلا، ثم سار فيها فنزل مريالاً، فأتاه بطريق خلاط بكتاب عياض
بن غنم بأمانه فأجراه عليه، وحمل إليه البطريق ما عليه من المال.
ونزل حبيب خلاط، ثم سار منها، فلقيه صاحب مكس، وهي من البسفرجان، فقاطعه
على بلاده، ثم سار منها إلى أزدشاط وهي القرية التي يكون بها القرمز الذي يصبغ به،
فنزل على نهر دبيل، وسرح الخيول إليها وحصرها، فتحصن أهلها، فنصب عليهم
منجنيقاً، فطلبوا الأمان، فأجابهم إليه، وبث السرايا فبلغت خيله ذات اللجم؛ وإنما سميت
ذات اللجم لأن المسلمين أخذوا لجم خيلهم؛ وإنما سميت ذات اللجم لأن المسلمين أخذوا
لجم خيلهم، فكبسهم الروم من قبل أن يلجموها، ثم ألجموها وقاتلوهم فظفروا بهم.
ثم وجه سرية إلى سراج طير وبغروند، فصالحه بطريقها على إتاوة، وقدم عليه بطريق
البسفرجان، فصالحه على بلاده، وأتى السيسبان فحاربه أهلها فهزمهم، وغلب على
حصونهم. وسار جرزان، وفتح عدة حصون ومدن تجاورها صلحاً.
وسار سلمان بن ربيعة إلى أران، ففتح البيلقان صلحاً، على أن يؤمنهم على دمائهم
وأموالهم، وحيطان مدنهم، واشترط عليهم، الجزية والخراج، ثم أتى سلمان مدينة برذعة
فعسكر على الثرثور (نهر بينه وبينها نحو فرسخ) فقاتله أهلها أياماً، وشن الغارات على
قراها، فصالحوه على مثل صلح البيلقان، ودخلها، ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية،
ودعا أكراد البلاشجان إلى الإسلام، فقاتلوه، فظفر بهم، فأقرهم على الجزية، وأدى بعضهم

الصدقة وهم قليل، ووجه سرية إلى شمكور ففتحوها، وهي مدينة قديمة، ولم تزل معمورة
حتى أخر به الساوردية، وهم قوم تجمعوا لما انصرف يزيد بن أسيد عن أرمينية، فعظم
أمرهم، ثم عمرها بغا في سنة أربعين ومائتين، وسماها المتوكلية، نسبة إلى المتوكل.
وسار سلمان إلى مجمع الرس والكر، ففتح قبلة، وصالحه صاحب شكى وغيرها على
الإتاوة، وصالحه ملك شروان، وسائر ملوك الجبال فأهل مسقط والشابران، ومدينة الباب.
والله تعالى أعلم بالصواب.
غزو معاوية الروم
وفي سنة خمس وعشرين، غزا معاوية بن أبي سفيان الروم، فبلغ عمورية فوجد الحصون
التي بين انطاكية وطرسوس خالية، فجعل عندها جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة؛ حتى
انصرف من غزاته. ثم أغزى بعد ذلك يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره أن يفعل مثل
ذلك، ولما خرج هدم الحصون إلى انطاكية. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.
فتح كابل
وفي سنة خمس وعشرين بعث عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر إلى
كابل، فبلغها في قول، وكانت أعظم من خراسان ولم يزل إلى أن مات معاوية، فامتنع أهلها.
والله سبحانه وتعالى أعلم.
افريقية وفتحها
وفيها بعث عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى أطراف إفريقية غازياً بأمر
عثمان فغنم وعاد، وكتب إلى عثمان يستأذنه في غزوها، فأذن له، وعزل عمرو بن العاص
عن خراج مصر. واستعمل عبد الله بن سعد في سنة ست وعشرين، فتنازعا الأمر.
فكتب عبد الله إلى عثمان أن عمرا كسر على الخراج، وكتب عمرو إن عبد الله كسر
على مكيدة الحرب. فعزل عثمان عمرا واستقدمه، استعمل عبد الله على حرب مصر
وخراجها، وأمره أن يغزو إفريقية وقال: إن فتح الله عليك فلك خمس الخمس نفلاً.
وأمر عثمان عبد الله بن نافع بن عبد القيس وعبد الله بن نافع ابن الحارث على جند،

وسرحهما، وأمرهما بالاجتماع مع عبد الله بن سعد على صاحب إفريقية، ثم يقيم عبد
الله في عمله فخرجوا ووصلوا إلى أرض إفريقية في عشرة آلاف من شجعان الإسلام،
فصالحهم أهل إفريقية على مال يؤدونه، ولم يقدموا على دخول إفريقية والتوغل فيه لكثرة
أهلها.
ثم أرسل عبد الله إلى عثمان يستشيره في قصد إفريقية، وفتحها، فجهز إليه عثمان جماعة
من أعيان الصحابة، منهم عبد الله بن عباس وغيره، فسار بهم ابن سعد إلى افريقية.
فكان من أمر فتح إفريقية مانذكره إن شاء الله تعالى في الباب السادس من القسم الخامس
من هذا الفن في أخبار إفريقية، وبلاد المغرب بما هو أبسط من هذا القول، وهو السفر
الثاني والعشرون من هذه النسخة.
قال: لما فتحت سبيطلة وهي دار الملك، وجد فيها من الأموال مالم يكن في غيرها، فكان
سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، وسهم الراجل ألف دينار.
وبعث عبد الله بن سعد جيوشه في البلاد، فبلغت قفصة، فسبوا وغنموا، وبعث
عسكراً إلى حصن الأجم، وقد احتمى به أهل البلاد، فحصره وفتحه بالأمان، فصالحه
أهل إفريقية على الفئ، ألف وخمسمائة ألف دينار.
وسار عبد الله بن الزبير إلى عثمان بالبشارة، وتنفل بابنه الملك، ثم عاد عبد الله بن
سعد من إفريقية إلى مصر، وكان مقامه بها سنة وثلاثة أشهر، ولم يفقد من المسلمين إلا
ثلاثة عشر رجلاً، وحمل خمس إفريقية إلى المدينة، فابتاعه مروان بن الحكم بخمسمائة ألف
دينار، فوضعها عنه عثمان وهو مما أخذ عليه، وأنكره الصحابة رضي الله تعالى عنهم،
وقال في ذلك عبد الرحمن بن حنبل أحد الصحابة رضي الله عنهم:

أحلف بالله اليمين ماترك الله أمراً سدى
ولكن جعلت لنا فتنة لكي نبتلي بك أو تبتلي
دعوت الطريد فأدنيته خلافاً لما سنه المصطفى
ووليت قرباك أمر العباد خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس الغنيم ة آثرته وحميت الحمى
ومالا أتاني به الأشعري من الفئ أعطيته من دنا
فإن الأمينين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا غيلة درهماً ولا قسما درهما في هوى

قال:
ولما فتحت إفريقية أمر عثمان عبد الله بن نافع بن عبد القيس أن يسير إلى الأندلس،
فأتاها من البحر، ففتح الله تعالى على المسلمين.
وفي سنة سبع وعشرين فتحت اصطخر، وهو الفتح الثاني،
وكان فتحها الآن على يد
عثمان بن أبي العاص.
وقد ذكرنا الأول في خلافة عمر. وفيها غزا معاوية بن سفيان رضي الله عنه تعالى عنه
قبرس.
جزيرة قبرس
كان فتحها على يد معاوية بن أبي سفيان، واختلف في وقته، فقيل:
فتحت في سنة ثمان وعشرين، وقيل:
في سنة تسع وعشرين، وقيل: وفي سنة ثلاث وثلاثين
وكان قد ألح على عمر رضي الله عنه في غزو البحر، وذكر قرب الروم من حمص، وقال:
إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلاب وصياح دجاجهم.
فكتب عمرو إلى عمرو بن العاص: أن صف لي البحر وراكبه، فكتب إليه عمرو بن
العاص: أني رأيت خلقا كثيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد خرق
القلوب، وإن تحرك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على
عود، إن مال غرق، وإن نجا برق.
فلما قرأ كتاب عمرو، كتب إلى معاوية: والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً،
وقد بلغني أن بحر الشام يشرف على أطول شيء من الأرض، فيستأذن الله كل يوم وليلة في
أن يغرق الأرض، فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر، لمسلم أحب إلي مما حوت الروم،
فإياك أن تعرض علي، فقد علمت ما لقي العلاء مني.
وترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمر وقاربه، فلما كان زمن عثمان كتب معاوية إليه يستأذنه
في غزو البحر مراراً، فأجابه إلى ذلك وقال: لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم، خيرهم، فمن
اختار الغزو طائعاً، فاحمله وأعنه، ففعل.
واستعمل عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة، وسار المسلمون إلى قبرس، وسار
إليها عبد الله بن سعد من مصر، فاجتمعوا عليه فصالحهم أهلها على جزية، وهي سبعة

آلاف دينار في كل سنة، ويؤدون للروم مثلها، لا يمنعهم المسلمون من ذلك، وليس على
المسلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم. وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من
الروم، ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم، فقبلوا ذلك منهم، وعادوا عنهم.
وشهد هذه الغزاة جماعة من الصحابة، منهم: أبو ذر الغفاري، وعبادة بن الصامت، ومعه
زوجته أم حرام بنت ملحان، وأبو الدرداء شداد بن أوس.
وفي هذه الغزاة ماتت أم حرام، ألقتها بغلتها بجزيرة قبرس فاندق عنقها، وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخبرها أنها من أول من يغزو في البحر.
قال: وبقي عبد الله بن قيس على البحر، فغزا خمسين غزاة في البحر، من بي شاتيه،
وصائفة، لم ينكب أحد من جنده، وكان يدعوا الله أن يعافيه في جنده، ثم خرج هو في
قارب طليعة، فانتهى إلى المرفأ من أرض الروم، وفيه مساكين يسألون، فتصدق عليهم،
فرجعت امرأة منهم إلى قريتها، فقالت: هذا عبد الله بن قيس في المرفأ فبادروا إليه،
وهجموا عليه، فقتلوه، بعد أن قاتلهم، فأصيب وحده، ونجا الملاح حتى أتى أصحابه
فأعلمهم، فجاءوا حتى رسوا بالمرفأ وعليهم سفيان بن عوف الأزدي، فخرج إليهم
فقاتلهم.
وقيل لتلك المرأة بعد ذلك: بأي شيء عرفت عبد الله بن قيس؟ قالت: كان كالتاجر، فلما سألته أعطاني كالملك، فعرفته بهذا.
ولما كانت سنة اثنتين وثلاثين أعان أهل قبرس الروم على غزو المسلمين بمراكب أعطوهم
إياها، فغزاهم معاوية في سنة ثلاث وثلاثين ففتحها عنوة، فقتل وسبى، ثم أقرهم على
صلحهم، وبعث إليهم أثني عشر ألفا فبنوا المساجد، وبنى بها مدينة.
وقيل: كانت الغزوة الثانية في سنة خمس وثلاثين.
وفي سنة ثمان وعشرين غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم. والله تعالى أعلم،
وحسبنا الله ونعم الوكيل.
نقض أهل فارس
وغيرهم وفتح اصطخر ودرابجرد
وفي سنة تسع وعشرين نقض أهل فارس بعبيد الله بن معمر، فسار إليهم، فالتقوا على
باب إصطخر، فقتل عبيد الله، وانهزم المسلمون.

فبلغ الخبر عبد الله بن عامر أمير البصرة، فاستنفر أهل البصرة وسار إلى فارس، فالتقوا
بإصطخر، واشتد القتال، فهزم المسلمون الفرس، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفتحت إصطخر
عنوة، وأتى درابجرد، وقد غدر أهلها، ففتحها وسار إلى مدينة جور، فانتفضت إصطخر،
فلم يرجع إليها، وتمم السير إلى جور فحاصرها، وكان هرم بن حيان محاصراً لها، وكان
المسلمون يحاصرونها وينصرفون عنها فيأتون إصطخر، ويغزون نواحي كانت تنتفض
عليهم، فلم يزل عبد الله بن عامر عليها حتى فتحها.
وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام يصلي ذات ليلة، وإلى جانبه جراب له فيه خبز
ولحم، فجاء كلب فجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل خفي، فلزم المسلمون ذلك
المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة، فلما فرغ ابن عامر منها عاد إلى اصطخر
وفتحها عنوة بعد أن حاصرها ورماها بالمجانيق، وقتل بها خلقاً كثيراً من الأعاجم، وأفنى
أكثر أهل البيوتات، ووجوه الأساورة، وكانو قد لجئوا إليها.
وقيل: إن أهل إصطخر لما نطثوا عاد إليها بن عامر قبل وصوله إلى جور، فملكها عنوة،
وعاد إلى جور، وأتى درابجرد فملكها، وكان منتفضة أيضاً، ووطئ أهل فارس وطأة لم
يزالوا منها في ذل. وكتب إلى عثمان بالخبر، فكتب إليه أن استعمل على بلاد فارس هرم بن
حيان اليشكري، وهرم بن حيان العبدي، والخربت بن راشد، والترجمان الهجيمي.
وأمره أن يفرق كور خراسان على جماعة، فيجعل الأحنف بن قيس على المروين،
وحبيب بن قرة اليربوعي على بلخ، وخارجه بن عبد الله بن زهير على هراة، وأمير بن
أحمر على طوس، وقيس ابن هبيرة وقيسا السلمى على نيسابور، والله أعلم.

طبرستان

في سنة ثلاثين غزا سعد وبن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة
بن اليمان، وابن الزبير وغيرهم، ولم يغزها غيره أحد على أصح الأقوال.
وقد ذكرنا فيما تقدم في خلافة عمر رضي الله عنه فتحها، والخلاف فيه.

قال: فأتى سعيد جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة وهي كلها من
طبرستان، متاخمة جرجان على البحر، فقاتله أهلها، فصلى صلاة الخوف وحاصرهم،
فسألوه الأمان فأعطاهم، على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، واحتوى على مافي الحصن،
وفتح سعيد نامية، وليست مدينة، هي صحارى. والله أعلم.

الصواري

كانت هذه الغزوة في سنة إحدى وثلاثين، وقيل في سنة أربع وثلاثين، وكان سببها أن
المسلمين لما فعلوا بأهل إفريقية ما فعلو عند فتحها، عظم ذلك على قسطنطين ين هرقل،
فخرج في جمع لم يجمع الروم مثله مذ كان الإسلام.
قيل: خرج في خمسمائة مركب، وقيل: في ستمائة، وخرج المسلمون، وعلى أهل الشام
معاوية بن سفيان، وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فالتقوا، وقربوا السفن
بعضها إلى بعض، فاقتتلوا بالسيوف والخناجر، فأنزل الله نصرة على المسلمين، فانهزم
قسطنطين جريحاً، ولم ينج من الروم إلا الشريد، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري
بعد الهزيمة أياماً ورجع.
وأما قسطنطين فإنه وصل في مركبه إلى صقلية، فقال أهلها: أهلكت النصرانية، وأفنيت
رجالها، لو أتانا أهل المغرب لم يكن عندنا من يمنعهم، ثم أدخلوه الحمام وقتلوه. والله
سبحانه وتعالى أعلم.

ذكر مقتل يزدجرد آخر ملوك بني ساسان

قالك لما فتح عبد الله بن عامر بلاد فارس على ماقدمناهن هرب يزدجرد إلى خراسان،
فوجه عبد الله في طلبه مجاشع بن مسعود وقيل: غيره، فأتبعه إلى كرمان، وكثر الثلج
والبرج، فهلك جيش مجاشع، ورجع هو.
واختلف في قتل يزدجرد، فقيلك هرب من كرمان إلى مرو ومعه خرزاذ أخو رستم، فرجع
عنه إلى العراق، وأوصى به ما هويه مرزبان مرو، فسأله يزدجرد مالا فمنعه مخافة أهل مرو
على أنفسهم فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه، فأتوه فبيتوه وقتلوا أصحابه، فخرج
ماشياً إلى وسط المرغاب، فأوى إلى بيت رجل ينقر الأرحاء، فلما نام قتله.

وقيل: بل قتله أهل مرو، ولم يستنصروا بالترك. وقيل: غير ذلك، والله سبحانه وتعالى
أعلم، وهو حسبي.
خراسان
قال: كان أهل خراسان قد غدروا لما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونقضوا، فلما
افتتح عبد الله بن عامر بلاد فارس عاد إلى البصرة، واستخلف على إصطخر شريك بن
الأعور الحارثي، فبنى شريك مسجد إصطخر، ثم تجهزا بن عامر من البصرة، واستخلف
عليها زياد بن أبيه، وسار إلى كرمان واستعمل عليها مجاشع بن مسعود السلمي، وله
صحبة، وأمره بمحاربه أهلها، وكانوا قد نكثوا.
واستعمل عل سجستان الربيع بن زياد الحارثي، وكانوا قد أعدوا له أيضاً، ونقضوا
الصلح.
وسار عبد الله بن عامر إلى نيسابور، وعلى مقدمته الأحنف بن قيس، فأتى الطبسين،
وهما حصنان، وهما بابا خراسان، فصالحه أهلها، وسار إلى قوهستان فقاتله أهلها،
فقاتلهم حتى ألجأهم إلى حصنه، وقدم عليه ابن عامر، فصالحه أهلها على ستمائة ألف
درهم وبث سراياه ففتحت البلاد، وفتح بهق، وبشت وهي بالشين المعجمة، وليست بست
المعروفة، ثم فتح نيسابور بعد أن استولى على أعمالها، وبعد أن حاصرها اشهراً.
وكان لكل ربع منها مرزبان من القرى يحفظه، فطلب أحدهم الأمان والصلح على جميع
نيسابور، فصالحه على ألف ألف درهم، وولى نيسابور قيس بن الهيثم السلمي، وسير
جيشاً إلى نسا وبيورد ففتحوهما صلحاً، وسير سرية أخرى إلى سرخس، فقاتل أهلها، ثم
طلبوا الأمان والصلح على مائة رجل، فصالح مرزبانه على ذلك، فأحبيب إلى ذلك، وسمى
مائة رجل، ولم يذكر نفسه، فقتله، ودخل سرخس عتوة، وأتى مرزبان وس إلى عبد الله،
فصالحه على ستمائة ألف درهم.
وبعث جيشاً إلى هراة عليهم عبد الله بن خازم، وقيل غيره، فسار مرزبانها إلى ابن عامر
وصالحه على هراة، وباذ غيس وبوشنج على ألفي ألف درهم، ومائتي الف درهم.

وكانت مرو كلها صلحاً إلا قرية السنج، وهي بكسر السين مهملة، فإنها فتحت عنوة.
ووجه الأحنف بن قيس إلى طخارستان، فمر برستاق يعرف برستاق الأحنف، فصالحوه
على ثلثمائة ألف درهم، ومضى إلى مرو الروذ، فقاتله أهلها، فهزمهم، ثم صالحهم مرزبانها
على ستمائة ألف درهم.
فاجتمع أهل طخارستان الجوزجان والطالقان، والفارياب ومن حولهم، فلقوه في خلق كثير،
فالتقوا واقتتلوا، وفهزمهم المسلمون وقتلوا منهم قتلاُ ذريعاً، وعاد إلى مرو الروذ، ولحق بعض
العدو بالجوزجان، فوجه إليهم الأحنف بن قيس الأقرع بن حابس التميمي في جيش، وقال:
يا بني تميم، تحابوا وتبادلوا تعتدل أموركم، وابدءوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم
دينكم، ولا تغلوا فيسلم لكم جهادكم.
فسار الأقرع فلقي العدو بالجوزجان، فكانت بالمسلمين جولة، ثم عادوا فهزموا المشركين
وفتحوا الجوزجان عنوة، وفتح الأحنف الطالقان صلحاً، وفتح الفارياب،، وقيل بل فتحها
أمير بن أحمر.
ثم سار الأحنف إلى بلخ، وهي مدينة طخارستان، فصالحه أهلها على أربعين ألف.
وقيل: سبعمائة ألف.
فاستعمل على بلخ أسيد بن المتشمس، ثم سار إلى خوارزم، وهي على نهر جيحون، فلم
يقدر عليها، فعاد إلى بلخ.
ولما تم هذا الفتح لعبد الله بن عامر، قال الناس: ما فتح لأحد ما فتح عليك فارس،
وكرمان، وسجستان، وخراسان، فقال: لأجعلن شكري لله على ذلك؛ أن أخرج محرماً من
موقفي هذا.
فأحرم بعمرة من نيسابور.
وقدم على عثمان، واستخلف على خراسان قيس بن الهيثم، فسار قيس في ارض
طخارستان، فلم يأت بلداً منها إلا صالحه أهلها، وأذعنوا له، إلا سمنجان، فإنه فتحها
عنوة والله سبحانه وتعالى أعلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.
فتح كرمان
قال: لما سار عبد الله إلى خراسان استعمل مجاشع بن مسعود السلمي على كرمان كما

ذكرنا، وأمره أن يفتتحها، وكان أهلها قد نكثوا غدروا، ففتح همید عنوة، واستبقى أهلها
وأمنهم، وبنى بها قصراً يعرف بقصر مجاشع، وأتى السيرجان، وهي مدينة كرمان فأقام
عليها أياما يسرة، وقد تحصن أهلها فقاتلهم وفتحها عنوة، فجلا كثير من أهلها.
وقتح جيرفت عنوة، وسار في كرمان فدوخ أهلها، وأتى القفص وقد تجمع له خلق كثير من
الأعاجم الذين جلوا، فقاتلهم، فظفر بهم وظهر عليهم، وهرب كثير من أهل كرمان، فركبوا
البحر ولحق بعضهم بمكران، وبعضهم بسجستان، فأقطعت العرب منازلهم وأراضيهم،
وواحتفروا لها القنى في مواضع منعها، وأدوا العشر منها والله تعالى أعلم، وصلى الله على
سدنا محمد وصحبه وسلم.
سجستان
وكابل وغيرها
قد ذكرنا أن عبد الله بن عامر استعمل على سجستان الربيع بن زياد الحارثي، وسجستان
من الفتوحات في خلافة عمر، ولما نقض أهلها؛ سار الربيع وقطع المفازة حتى حصن زالق،
فأغار على أهلها في يوم مهرجان وأخذ الدهقان، فافتدى نفسه بأن ركز عنزة وغمرها
ذهباً وفضة، وصلحه على صلح فارس، ثم أتى بلدة يقال لها: كركوية فصالحه أهلها، وسار
إلى زرنج، فنزل على مدينة روشت بقرب زرنج، فقاتله أهلها وأصيب رجال من المسلمين،
ثم
انهزم المشركون، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأتى الربيع ناشروذ ففتحهان ثم أتى شرواذ
فغلب عليها، وسار منها إلى زرنج فنازلها، وقاتله أهلها، وأصيب رجال من المسلمين، ثم
انهزم المشركون، وقتل منهم مقتلة عظيمة.
وأتى الربيع ناشروذ ففتحها، ثم شرواذ فغلب عليها، وسار إلى زرنج فنازله أهلها
وحصرهم، فأرسل إليه مرزبا بها ليصالحه واستأمنه ليحضر عنده، فأمنه، وجلس الربيع
على جسد من أجساد القتلى، واتكأ على آخر، وامر أصحابه ففعلو مثله، فلما رآهم
المرزبان هله ذلك، فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ودخل
المسلمون المدينة.

ثم سار منها إلى سناروذ، وهو وادٍ، فعبره، وأتى القرية التي بها مربض فرس رستم
الشديد، فقاتله أهلها فظفر بهم، ثم عاد إلى زرنج وأقام بها نحو سنة، وعاد إلى ابن عامر،
واستخلف عليها عاملاً، فأخرج أهلها العامل، وامتنعوا.
فكانت ولاية الربيع سنة ونصفاً، سبى فيها أربعين ألف رأس.
وكان كاتبه الحسن البصري، فاستعمل ابن عامر بعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد
شمس على سجستان، فسار إليها، فحصر زرنج، فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم
وألف وصيف.
وغلب عبد الرحمن على مابين زرنج والكش من ناحية الهند، وغلب من ناحية الرخج
على ما بينه وبين الداون، فلما انتهى إلى بلد الداون وحصرهم في جبل الزوز، ثم صالحهم
ودخل الزوز، وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان، فقطع يده وأخذ الياقوتيين وقال للمرزبان:
دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع.
وفتح كابل، وزابلستان، وهي ولاية غزنة، ثم عاد إلى زرنج، فأقام بها حتى اضطرب أمر
عثمان، فاستخلف عليها أمير بن أحمر، وانصرف فأخرج أهلها أميراً وامتنعوا
وفي سنة اثنتين وثلاثين غزا معاوية بن أبي سفيان وضيق القسطنطينية ومعه زوجته
عاتكة بنت قرظة، وقيل: فأخته. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع
والمآب.
خروج قارن
ببلاد خراسان وقتله
في سنة اثنتين وثلاثين جمع قارن جمعاً كثيراً من ناحية الطبسين وأهل باذغيس وهراة
وقهستان، وأقبل في أربعين ألفا.
وقال قيس ين الهيثم أمير خراسان من قبل ابن عار لعبد الله بن خازم: ما ترى؟ فقال:
أرى أن تخلى البلاد؛ فإنى أميرها، ومعي عهد بن عامر؛ إن كانت حرب بخراسان فأنا
أميرها، وأخرج كتاباً كان قد افتعله، فكره قيس منازعته وخلاه والبلاد.
وأقبل إلى بن عامر فلامه، وقال: تركت البلاد خراباً، وأقبلت فقال: جاءني تعهدك.
ولما توجه قيس بن خازم إلى قارن في أربعة آلاف، أمرهم أن يحملوا الودك، فلما قربوا من

ذلك، وقرب من الودك، أمر الناس أن يدرج كل رجل منهم على زج رمحه خرقة أو قطنا، ثم
يكثروا دهنه، ثم سار حتى أمسى، فقدم أمامه ستمائة من أصحابه، ثم أتبعه، وأمر الناس
أن يشعلوا النيران في أطراف الرماح، وانتهت مقدمته إلى معسكر قارن نصف الليل
فناوشوهم، وهاج الناس على دهش، وكانوا قد أمنوا من البيات، ودنا بن خازم منهم،
فرأوا النيران يمنة ويسرة تتقدم وتتأخر، وترتفع وتتخفض، فهالهم ذلك وأهل المقدمة يقاتلونهم
ثم غشيهم بن خازم بالمسلمين، فقتل قارن وانهزم المشركون، واتبعوهم يقتلونهم كيف
شاءوا، وأصابوا سبياً كثيراً.
وكتب بن خازم بالفتح إلى بن عامر، فرضي وأقره على خراسان، فكان عليها حتى
انقضت حرب الجمل.
وقيل: لما جمع قارن اسشار قيس بن عبد الله عبد بن خازم فيما يصنع؟ فأشار عليه أن
يلحق بابن عامر، فيخبره بكثرة العدة، وقال له: إنك لا تطيق كثرة من قد أتاك، فأخرج
بنفسك ونقيم نحن بالحصون ونظاولهم حتى يأتينا مددكم.
فخرج قيس، فلما أبعد أظهر بن خازم عهداً، وقال: قد ولاني بن عامر خراسان، وسار
إلى قارن فظفر به كما تقدم.
وفي سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية حصن المرأة من أرض الروم، بناحية ملطية.
وفيها سار الأحنف بن قيس إلى خراسان، وفتح المروين: مرو الروذ ومرو الشاهجان.
انتهت الفتوحات والغزوات والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.
وإليه المرجع والمآب،
وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد.
ذكر ما وقع في خلافة عثمان
غير الغزوات والفتوحات على حكم السنين
سنة أربع وعشرين في هذه السنة كثر الرعاف بالناس، فسمي عام الرعاف
وفيها استعمل عثمان سعد بن أبي وقاص على الكوفة، وعزل المغيرة بن شعبة عنها،
فعمل سعد عليها سنة وبعض أخرى.
قيل: بل أقر عثمان عمال عمر رضي الله عنه سنة؛ لأن عمر رضي الله عنه أوصى
بذلك، ثم عزل المغيرة، واستعمل سعداً
وحج عثمان بالناس.

عزل سعد
سنة خمس وعشرين
في هذه السنة عزل عثمان سعد بن أي وقاص عن الكوفة في قول بعضهم، واستعمل الوليد
بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس، وهو أخو عثمان
لأمه، وسبب ذلك أن سعداً رضي الله عنه اقترض من عبد الله بن مسعود قرضاً، فلما
تقاضاه بن مسعود رضي الله عنه لم يتيسر له قضاؤه، فارتفع بينهما الكلام
فقال سعد: ما أراك إلا ستلقى شراً، هل أنت إلا ابن مسعود، عبد من هذيل!
فقال: أجل، والله إني لابن مسعود، وإنك لابن حمينة
وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضراً فقال: إنكما لصاحبا رسول الله صلى الله
عليه وسلم، ينظر إليكما. ثم ولى عبد الله، فخرج واستعان بأناس على استخراج المال من
سعد، واستعان سعد بأناس على إنظاره، فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا.
فكان ذلك أول ما نزع به الشيطان بين أهل الكوفة، وأول مصر نزغ الشيطان بين أهله
الكوفة.
وبلغ الخبر عثمان، فغضب وعزل سعداً، وأقر عبد الله، واستعمل الوليد بن عقبة مكان
سعد، وكان على عرب الجزيرة عاملاً لعمر، وعثمان بعده، فلما قدم الكوفة قال له سعد:
أكست بعدنا أم حمقنا بعدك! قال: لا نجز عن أبا إسحاق، كل ذلك لم يكن؛ وإنما هو الملك
يتغداه قوم ويتعشاه قوم آخرون قال سعد: أراكم والله ستجعلونها ملكاً.
وقيل: لما قدم الوليد أميرا على الكوفة، أتاه ابن مسعود فقال: ما جاء بك؟ فقال: جئت
أميراً
قال بن مسعود: ما أدري صلحت بعدنا أم فسد الناس!
وفيها ولد يزيد ين معاوية، وقيل: في سنة اثنتين وعشرين وقد تقدم.
وحج بالناس عثمان
توسيع المسجد الحرام
سنة ست وعشرين
وفي هذه السنة زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد الحرام ووسعه، وابتاع

أملاك قوم وامتنع آخرون، فهدم عليهم، ووضع الإيراد في بيت المال، فصاحوا بعثمان
فحبسهم، وقال: قد فعل بكم عمر هذا فلم تصيحوا! فكلمة فيهم عبد الله بن خالد بن
أسيد فأطلقهم.
وفيها استعمل عثمان رضي الله عنه عبد الله بن أبي سرح على مصر، وكان أخا عثمان
من الرضاعة، وعزل عمرو بن العاص.
حج عثمان بالناس
وفي سنة سبع وعشرين من الغزوات ما تقدم بيانه.
زواجه
في سنة ثمان وعشرين تزوج عثمان نائلة بنت القرافصة، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن
يدخل بها.
وفيها بنى عثمان رضي الله عنه الزوراء.
وحج بالناس عثمان رضي الله عنه في هذه السنة.
عزل أبي موسى
الأشعري في سنة تسع وعشرين
عن البصرة وعثمان بن العاص عن عمان والبحرين واستعمال عبد الله بن عامر على ذلك
قيل: كان عزل أبي موسى الأشعري عن البصرة، وعزل عثمان بن أبي العاص عن عمان
والبحرين، واستعمال عبد الله بن عامر على أعمالها في هذه السنة
وقيل: كان لثلاث سنين مضت من خلافة عثمان وكان سبب عزل أبي موسى أن أهل
إيذج والأكراد كفروا في السنة الثالثة من خلافة عثمان فنادى أبو موسى في الناس وحضهم
على الجهاد، وذكر من فضل الماشي للجهاد ما ذكر، فحمل قوم على دوابهم، وأجمعوا على
أن يخرجوا رجاله لينالوا فضل الماشي.
قال آخرون: لا نعجل حتى ننظر مايصنع، فإن أشبه قوله فعله فعلنا كما يفعل، فلما خرج
أخرج ثقله على أربعين بغلاً، فعلقوا بعنان دابته، فقالوا: احملنا على بعض هذه الفضول،
وارغب في المشي كما رغبتنا، فضربهم بسوط، وتركوا دابته، وأتوا عثمان فاستعفوه منه،
وقالوا: ما كل ما نعلم نحب أن تسألنا عنه، فأبدلنا ما سواه، فقال: من تحبون؟ فقال:
غيلان بن خرشة، وفي كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا.

أما منكم خسيس فترفعونه! أما منكم فقير فتجبرونه. يا معشر قريش حتى متى ياكل
هذا الشيخ الأشعري هذه البلاد!
فعزل عثمان أبا موسى؛ وأمر عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس بن
عبد مناف بن قصي القرشي العبشمي، وهو بن خال عثمان، وممن ولد على النبي صلى
الله عليه وسلم. وعزل أيضاً عثمان بن أبي العاص عن عمان والبحرين، واستعمل عبد
الله على ذلك كله، وكان إذ ذاك بن خمس وعشرين سنة.
واستعمل عثمان رضي اللع عنه على خراسان عمير بن عثمان بن سعد، فأثخن في
خراسان حتى بلغ فرغانة، فلم يدع دونها كورة إلا أصلحها.
واستعمل على سجستان عبد الله بن عمير الليثي، فأثخن فيها إلى كابل.
وبعث إلى مكران عبيد الله بن معمر، فأثخن فيها حتى بلغ النهر وبعث على كرمان عبد
الرحمن بن عبيس.
ثم عزل عبد الله بن عمير عن سجستان. واستعمل عبد الله بن عامر فأقره عليها سنة
ثم عزله. واستعمل عاصم بن عمرو، وعزل عبد الرحمن بن عبيس، وأعاد عدي بن
سهيل، وصرف عبد الله بن معمر إلى فارس، واستعمل مكانه عمير بن عثمان، واستعمل
على خراسان أمير بن أحمر اليشكري، واستعمل على سجستان في سنة أربع عمران بن
الفضل البرجمي.
الزيادة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم.
وفي سنة تسع وعشرين أيضاً في شهر ربيع الأول، زاد عثمان رضي الله عنه في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة
ذراعن وجعل أبوابه على ما كانت أيام عمر ستة أبواب، وبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل
عمده من حجارة فيها رصاص، والله تعالى أعلم وهو حسبي.
أتمام عثمان الصلاة
وما تكلم الناس به في ذلك
وفي هذه السنة حج عثمان رضي الله عنه بالناس، وضرب فسطاطة بمني، وهو أول
فسطاط ضرب بمني، وأتم الصلاة بها وبعرفة، فكان أول ماتكلم به الناس في عثمان ظاهراً

حين أتمها، فعاب عليه ذلك غير واحد من الصحابةن وقال علي بن أبي طالب رضي الله
عنه: ماحدث أمر، ولا قدم عهد، ولقد عهدت النبي صلى الله عليه وسلم، وأبا بكر وعمر
يصلون ركعتين، وأنت صدراً من خلافتك. فقال: رأى رأيته.
وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف، وكان معه، فجاءه وقال:ألم تصل في هذا المكان ركعتين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، وصليتهما أنت! قال:
بلى؛ ولكني أخبرت من بعض الناس أن بعض من حج من اليمن وجفاة الناس قالوا: إن
الصلاة للمقيم ركعتان، واحتجوا بصلاتي، وقد اتخذت بمكة أهلاً ولي بالطائف مال.
فقال له عبد الرحمن: ما في هذا غدر، أما قولك: اتخذت بها أهلاً، فإن زوجك بالمدينة
تخرج إذا شئت، وإنما تسكن بسكناك. أما مالك بالطائف فبينك وبينه مسيرة ثلاث
ليال. وأما قولك عن حاج اليمن وغيرهم فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل
عليه الوحي والإسلام قليل، ثم أبو بكر وعمر، فصلوا ركعتين، وقد ضرب الإسلام بجرانه.
فقال عثمان: هذا رأي رأيته.
وقيل: كان ذلك سنة ثلاثين، والله أعلم.

عزل الوليد بن عقبة
عن الكوفة وولاية سعيد بن العاص

في هذه سنة ثلاثين، عل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة، واستعمل
عليها سعيد بن العاص، وكان سبب عزله أن أهل الكوفة نسبوه أنه يشرب الخمر، وذكروا
ذلك لعثمان، فاستدعاه وطلب من ذكر ذلك عنه، فقال:
أتشهدون أنه يشرب الخمر؟ فقالوا لا فكيف قلتم عنه أنه يشربها؟ فقالوا اعتصرناها من
لحيته، وهو يقيئ الخمر، فأمر بجلده، فجلده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أربعين.
وقيل: إن الوليد سكر وصلى بأهل الصبح أربعاً، ثم التفت إليهم وقال: أزيدكم؟ فقال بن
مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم، فقال الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم؟ سكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر

وقال أيضاً

تكلم في الصلاة وزاد فيها علانية وجاهر بالنفاق

ومج الخمر في سنن المصلى ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني فما لكم وما لي من خلاق!
قالوا: ولما استعمل سعيد بن العاص، قال بعض شعرائهم:
فررت من الوليد إلى سعيد كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا
يلينا من قريش كل يوم أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشى وليس لهم ولا يخشون نار
قال: واستعمل عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية وهو والد عمرو بن
سعيد الأشدق، فسار إلى الكوفة ومعه من كان قد شخص من أهل الكوفة مع الوليد، فلما
وصلها صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: والله لقد بعثت إليكم وإني لكاره؛
ولكني لم أجد بداً إذ أمرت أن أأتمر.ألا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها، والله
لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعييني، وإني لرائد نفسي اليوم. ونزل.
وسأل عن أهل الكوفة، فعرف حالاً أهلها، فكتب إلى عثمان: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة،
والغالب على تلك البلاد روادف قدمت، وأعراب لحقت حتى لا ينظر إلى ذي شرف ولا
بلاء من نازلتها ولا نابتتها.
فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدمة، ممن فتح الله عليه تلك البلاد؛
وليكن من نزلها غيرهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق، وتركوا القيام به، وقام به
هؤلاء. واحفظ لكل منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها
يصاب العدل.
فأرسل سعيد إلى أهل الأيام والقادسية، فقال: أنتم وجوه الناس، والوجه ينبئ عن الجسد،
فأبلغونا حاجة ذي الحاجة. وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق والروادف، وجعل القراء
في سمره، ففشت القالة في أهل الكوفة.
فكتب سعيد إلى عثمان بذلك، فجمع الناس وأخبرهم بما كتب، فقالوا له: أصبت لا
تطمعهم، هم ليسوا له بأهل؛ فإنه إذا نهض في الأمور من ليس لها بأهل لها لم يحتملها
وأفسدها.
فقال عثمان: يا أهل المدينة، استعدوا واستمسكوا، فقد دبت إليكم الفتن. الله سبحانه
وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

جمع القرآن
كان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان قد توجه مدداً لعبد الرحمن بن ربيعة لحصار
الباب، وكان مع سعيد بن العاصي عامل الكوفة، فخرج معه سعيد بن العاص حتى بلغ
أذربيجان، فأقام حتى عاد حذيفة، فلما عادا ورجعا، قال لسعيد بن العاص: لقد رأيت في
سفرتي هذه أمراً لئن نزل بالناس ليختلفن في القرآن، ثم لا يقومون عليه أبداً.
قال: وما ذلك؟ قال: رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة
غيرهم، وانهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرءوا
على بن مسعود، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرءوا على أبي موسى، ويسمون
مصحفه لباب القلوب.
فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك، وحذرهم مايخاف، فوافقه أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من التابعين.
فتفاوض حذيفة، وبن مسعود، فغضب سعيد وقام، وتفرق الناس وسار حذيفة إلى
عثمان، وأخبره بما رأى، وقال: أنا النذير العريان، فأدرك الأمة.
فجمع عثمان الصحابة أخبرهم الخبر، فأعظموه، فأرسل إلى حفصة بنت عمر رضي الله
عنهما: أن أرسلى إلينا بالصحف لننسخها وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام
أبي بكر رضي الله عنهن وكانت عنده ثم عند عمر، ثم كانت عند حفصة، فأخذها
عثمان منها، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وبن عباس وسعيد بن العاص وبعد
الله بن عمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.
وقال عثمان: إن اختلفتم فاكتبوا بلغة قريش؛ فإنما نزل بلسانها.
قال زيد: فجعلنا نكتب؛ فإذا اختلفنا في شيء جمعنا في أمرنا على رأي واحد، فاختلفنا
في التابوت، فقلتك التابوه. وقال النفر القرشيون التابوت.
فأبيت أن أرجع إليهم، وأبو أن
يرجعوا إلي فرفعنا ذلك إلى عثمان، فقال: أكتبوا التابوت.
قال زيد: وذكرت آية كنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجدها عند

أحد حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري وهي: (لقد جاء رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله
إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)
قال: وكتبت أربع نسخ، فبعث نسخة إلى الكوفة، وأخرى إلى البصرة، وأخرى إلى الشام،
وأمسك واحدة لنفسه، وأعاد الصحف إلى حفصة، وأمر أن يحرق ما سوى ذلك.
وقيل: إن النسخ كانت سبعة، وأنه وجه نسخة إلى مكة، وأخرى إلى اليمن، وأخرى إلى
البحرين، والأول أصح.
قال: فعرف الناس فضل عثمان إلا أهل الكوفة، فإن المصحف لما قدم عليهم فرح به
الصحابة، وامتنع عبد الله بن مسعود ومن وافقهم. فقام بن مسعود. فيهم فقال: ولا كل
ذلك، فإنكم قد سبقتم سبقاً بيناً، فاربعوا على ظلعكم.
ولما قدم علي رضي الله عنه إلى أهل الكوفة، قام إليه رجل، وعاب عثمان بجمعة الناس
على الصحف، فنهاه، وقال: لو وليت منه ما ولى عثمان سلكت سبيله رضي الله عنهما.
وفيها زاد عثمان رضي الله عنه النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء، الله سبحانه
وتعالى أعلم.
سقوط خاتم النبي
وفيها سقط خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان في بئر أريس وهي على ميلين
من المدينة، وكانت قليلة الماء، فما أدرك قعرها بعد، ولما سقط من يده، نزحوا فيها من
الماء فما قدروا عليه، فلما أيس منه صنع خاتماً آخر على مثاله ونقشه، فكان في إصبعه
حتى قتل.
وقيل: إنه نقش عليه: " آمنت بالذي خلق فسوى"
وقيل: كان عليه " لتنصرن أو لتندمن "، والله تعالى أعلم.
خبر أبي ذر
الغفاري في إخراجه إلى الربدة
وما تكلم الناس به في ذلك ووفاة أبي ذر رضي الله عنه.
وفي سنة ثلاثين أخرج عثمان رضي الله عنه أبا ذر الغفاري، وأسمه جندب بن جنادة.
وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، منها ما أورده أبو أحمد يحيى بن جابر البلاذري، في
كتاب " جمل أنساب الأشراف" وغيره.

قال البلاذري: لما أعطى عثمان رضي الله عنه مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى
الحارث بن الحكم بن أبي العاص - وهو أخو مروان - ثلثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن
ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم: ويتلو قوله
تعالى: "واللذين يكنزون الذهب والفضة" الآية.
فرفع مروان ذلك إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر، أن انته عما يبلغني عنك، فقال: أينهاني
عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله ! فوالله لأن أرضى الله بسخط
عثمان أحب إلي ن أن أسخط الله برضاه، فأغضب ذلك عثمان، وصبر وكف عنه، ثم
قال عثمان يوما: أيجوز للإمام أي يأخذ من المال، فإذا ايسر قضى؟ فقال: كعب الأحبار:
لا بأس بذلك.
فقال: أبو ذر: يا بن اليهوديين أتعلمنا ديننا! فقال عثمان: ما أكثر ذاك لي وأولعك
بأصحابي الحق بمكتبك، وكان مكتبه بالشام، إلا أنه كان يقدم حاجا، ويسأل عثمان الإذن
له في مجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له في ذلك.
وقيل: إنه إنما صار إلى الشام لأنه رأى البناء قد بلغ سلعاً، فقال لعثمان: إني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول:" إذا بلغ البناء سلعاً فالهرب"، فأذن لي أتى الشام
فاغزو هناك. فأذن له، فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية
ثلثمائة دينار، فقالك إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها. وبنى معاوية الخضراء بدمشق،
فقال: يامعاوية إن كان هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف،
فسكت معاوية.
وكان أبو ذر يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ماهي في كتاب الله، ولا سنة
نبيه، والله إني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحيا، وصدقا مكذباً وأثره بغير تقى.
فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية: إن أبا ذر مفسد عليك الشام، فتدارك أهله إن كانت لك
بهم حاجة.
فكتب معاوية إلى عثمان فكتب إليه عثمان، فاحمل جندبا إلى على أغلظ مركب

وأوعره.
فوجه معاوية مع أبي ذر من سار معه الليل والنهار، فلما قدم المدينة جعل يقول: تستعمل
الصبيان، وتحمي الحمى، وتقرب أولاد الطلقاء!
فبعث إليه عثمان: الحق بأي أرض شئت. فقال: بمكة؟ فقال: لا، قال: فبيت المقدس؟
قال: لا: فبأحد المصرين؟ قال: لائ، قال: ولكني مسيرك إلى الربذة، فسيره إليها، فلم يزل
بها حتى مات.
وذكر البلاذري فيما حكاه كلاما كثيراً، وقع بين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب
رضي الله عنهما بسبب ذلك أغضينا عن ذكره وحكى أن أبا ذر بلغه أن معاوية يقول: إن
المال مال الله، ألا إن كل شيء فلله، وأنه يريد أن يحتجبه دون الناس، ويمحوا اسم
المسلمين:
فأتاه أبو ذر فقال: مايدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله! فقال: يرحمك الله يا أبا
ذر ألسنا عباد الله، والمال ماله قال: فلا تقله قال سأقول مال المسلمين
وكان أبو ذر يذهب إلى أن المسلم لا ينبغي أن يكون في ملكه أكثر من قوت يرمه وليلته إلا
شيء ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم، ويأخذ بظاهر القرآن: " والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله " الآية، وكان يقوم بالشام ويقول: يا معشر الأغنياء، وأسو
الفقراء، بشروا الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على
الأغنياء.
وشكا الأغنياء ما يلقون منهم إلى معاوية فأرسل معاوية إليه بألف دينار في جنح الليل،
فانفقها، فلما صلى معاوية الصبح دعا معاوية رسوله الذي ارسله إليه، فقال: اذهب إلى
أبي ذر، فقل له: أنقذ جسدي من عذاب معاوية، فإنه أرسلني إلى غيرك، وأني أخطأت
بك، ففعل ذلك. فقال له أبو ذر يا بني، قل له: والله ما أصبح عندنا من دنانيرك دينار،
ولكن أخرنا ثلاثة أيام حتى نجمعها.
فلما رأى معاوية أن فعله صدق قوله كتب إلى عثمان: إن أباذر قد ضيق علي، وقد كان

كذا وكذا، الذي يقوله الفقراء.
فكتب إليه عثمان: إن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها، ولم يبق إلا أن تثب، فلا تنكا
القرص، وجهز أبا ذر، وابعث معه دليلاً، وكفكف الناس ونفسك ما استطعت.
فبعث له بأبي ذر، فلما قدم المدينة ورأى المجالس في أصل جبل سلع قال. بشر أهل
المدينة بغارة شعواء، وحرب مذكار ودخل على عثمان فقال له: ما بال أهل الشام يشكون
ذرب لسانك فأخبره. فقال: يا أبا ذر،علي أن اقضي ما علي، وأن أدعو الرعية إلى
الاجتهاد والاقتصاد، وما علي أن أجبرهم على الزهد.
فقال أبا ذر: لا ترضوا من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف، ويحسنوا إلى الجيران والإخوان،
ويصلوا القرابات، فقال: كعب الأحبار - وكان حاضراً: من أدى الفريضة فقد قضى ما
عليه، فضربه أبو ذر فشجه، وقال: يا بن اليهودية، ما أنت و ما هاهنا!
فاستوهب عثمان كعبا شجته، فوهبه، فقال أبو ذر لعثمان: تأذن لي بالخروج من المدينة
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعا؟ فأذن له
فبلغ الربذة، وبنى بها مسجداً، وأقطعه عثمان صرمة من الإبل، وأعطاه مملوكين، وأجرى
عليه في كل يوم عطاء، وكذلك أجرى على رافع بن حديج، وكان قد خرج أيضاً من المدينة
لشيء سمعه.
قال: وكان أبو ذر يتعاهد المدينة مخافة أن يعود أعرابياً، وأخرج معاوية إليه أهله، فخرجوا
ومعهم جراب يثقل يد الرجل فقال: انظروا إل هذا الذي يزهد في الدنيا ما عنده؟ فقالت
امرأته: والله ماهو دينار ولا درهم ولكنها فلوس كان إذا خرج عطاؤه ابتاع منه فلوسا
لحوائجنا.
وروى البخاري رحمه الله في صحيحه بسنده إلى زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا
بأبي ذر - رضي الله عنه، فقلت له.
ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت في الشام، فاختلفت أنا ومعاوية في الذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله. قال: معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا

وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك كلام، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب
إلى عثمان أن أقدم المدينة،فقدمتها، فكثر على الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك،
فذكرت ذلك لعثمان رضي الله عنه فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريباً؛ فذلك الذي
أنزلني هذا المنزل، ولو أمروا على حبشياً لسمعت وأطعت.
وأقام أبو ذر بالربذة إلى سنة اثنتين وثلاثين، فمات به رضي الله عنه، ولما حضرته الوفاة
قال لابنته: استشرفي يا بنية، هل ترين أحداً؟ قالت: لا، قال: فما جاءت ساعتي بعد، ثم
أمرها فذبحت شاه ثم طبختها، ثم قال: إذا جاءك الذين يدفنوني - فإنه سيشهدني قوم
صالحون- فقولي لهم: يقسم عليكم أبو ذر ألا تركبوا حتى تأكلوا؛ فلما نضجت قدرها قال
لها: انظري، هل ترين أحداً؟ قالت: نعم، هؤلاء ركب. قال: استقبلي الكعبة، ففعلت.
فقال: بسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات. فخرجت
ابنته، فتلقتهم وقالت: رحمكم الله.اشهدوا أبا ذر قالوا: وأين هو ؟ فأشارت إليه، قالوا:
نعم، ونعمة عين، لقد أكرمنا الله بذلك.
وكان فيهم ابن سعود رضي الله عنه فبكى، وقال صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم، قال:
" يموت وحده ويبعث وحده ".
فغسلوه وكفنوه، وصلوا عليه ودفنوه، فقالت لهم ابنته:
إن أبا ذر يقرأ عليكم السلام، وأقسم ألا تركبوا حتى تأكلوا، ففعلوا، وحملوا أهله معهم
حتى أقدموهم مكة، ونعوه إلى عثمان فضم ابنته إلى عياله.
وقيل: كانت وفاته في سنة إحدى وثلاثين..
وقيل: إن بن مسعود لم يحمل أهل أبي ذر معه، إنما تركهم حتى قدم على عثمان بمكة
فأعلمه بموته، فجعل عثمان طريقه عليهم، فحملهم معه.
سنة إحدى وثلاثين
فيها حج عثمان رضي الله عنه بالناس.
وفيها مات أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وصخر ابن حرب، وهو بن ثمان
وثمانين وسنة.
سنة اثنتين وثلاثين.
وفي هذه السنة مات العباس بن عبد المطلب، وكان قد كف بصره، وله من العمر ثمان

وثمانون سنة.
ومات عبد الله بن مسعود، وصلى عليه عمار بن ياسر، وقيل: عثمان.
وتوفي عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أري أمر الأذان.
وتوفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. والله سبحانه وتعالى أعلم.
وفاة عبد الرحمن بن عوف.
وشيء من أخباره ونسبه.
هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
بن غالب القرشي الزهري.
وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الرحمن.
ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، واسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
دار الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعاً؛ إلى أرض الحبشة، ثم قدم قبل
الهجرة مهاجراً إلى المدينة، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل
عمر رضي الله عنه الشورى فيهم.
وشهد عبد الرحمن بدراً، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة
الجندل، وعممه بيده، وأسدلها بين كتفيه، وقال له: سر باسم الله، وأوصاه بوصايا الأمراء،
ثم قال: إن فتح الله عليك فتزوج بنت ملكهم أو شريفهم.
وكان الأصبغ بن ثعلبة بن ضمضم الكلبي شريفهم، فتزوج عبد الرحمن ابنته تماضر بنت
الأصبغ، فهي أم أبي سلمة الفقيه ابن عبد الرحمن، وكان له من الولد سالم الأكبر، مات قبل
الإسلام، وإبراهيم وحميد، وإسماعيل، وعروة قتل بإفريقية،وسالم الأصغر، وأبو بكر، وعبد
الله الأكبر قتل بإفريقية، والقاسم، وعبد الله الأصغر، هو أبو سلمة الفقيه، وعبد الرحمن بن
عبد الرحمن، ومصعب، وعثمان، ومحمد، ومعن وزيد، وأم القاسم ولدت في الجاهلية،
وجويرية، وهم لأمهات أولاد شتى ذكرهن الزبير بن بكار.
ولعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فضائل كثيرة، ومناقب جمة، منها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر.
وروى عنه صلى الله عليه وسلم. انه قال: " عبد الرحمن بن عوف سيد من سادات

المسلمين"
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء، وأمين في
الأرض".
كان رضي الله عنه رجلاً طويلاً، أجنأ، أبيض مشرباً بحمرة، حسن الوجه، رقيق البشرة،
لا يغير لحيته ولا رأسه.
وروى عن سهلة بنت عاصم زوجته قالت: كان عبد الرحمن أبيض العينين، أهدب
الأشفار، أقنى، طويل النابين الأعليين، وربما أدمياً شفته، له جمة، ضخم الكفين، غليظ
الأصابع، جرح يوم أحد إحدى وعشرين جراحة، وجرح في رجله، فكان يعرج منها.
وقال عمر بن عبد البر: كان عبد الرحمن تاجراً مجدوداً في التجارة وكسب مالاً كثيراً،
وخلف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على
عشرين ناضحاً فكان يأخذ من ذلك قوت أهله سنة، وخلف مالاً كثيراً جداً.
روى عمرو بن دينار، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: صالحنا أمرأة
عبد الرحمن بن عوف التي طلقها في مرضه عن ثلث الثمن، بثلاث وثمانين ألفاً.
وروى غيره أنها صولحت بذلك على ربع الثمن من ميراثه.
وحكى بن الأثير في تاريخه الكامل: أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أوصى لكل
رجل بقي من أهل بدر باربعمائة دينار، وكان عدتهم يومئذ مائة رجل، وقسم ماله على
ستة عشر سهماً، فكان كل سهم ثمانين وألف دينار.
وقال أبو عمر: وروى أنه أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً. ولما حضرته الوفاة بكى بكاء
شديداً، فسئل عن بكائه فقال: إن مصعب بن عمير كان خيراً مني، توفي على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له ما يكفن فيه، وإن حمزة بن عبد المطلب كان خيراً
مني لم نجد له كفناً، وإني أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته في حياته الدنيا، أو أخاف
أن أحتبس عن أصحابي بكثرة مالي.
وقد تقدم أن هذا المال الذي أكتسبه كان ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكانت وفاته رضي الله عنه بالمدينة. في هذه السنة.

وقيل: في سنة إحدى وثلاثين، وصلى عثمان رضي الله عنه عليه بوصية منه، ودفن
بالبقيع.
واختلف في مبلغ سنة، فقيل: توفي وهو بن خمس وسبعين، وقيل: اثنتين وسبعين، وقيل:
ثمان وسبعين. والله أعلم.
سنة إحدى وثلاثين
ذكر خبر من سار من أهل الكوفة إلى الشام وما كان من أمرهم
في هذه السنة سير عثمان رضي الله عنه نفراً من أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب
ذلك إن سعيد بن العاص لما ولاه عثمان الكوفة اختار وجوه الناس، وأهل القادسية، وقراء
أهل الكوفة، فكان هؤلاء يدخلون عليه منزله، وإذا خرج فكل الناس يدخلون عليه،
فدخلوا عليه يوماً، فبينما هم يتحدثون، قال حبيش بن فلان: ما أجود طلحة بن عبيد
الله! فقال سعيد: إن من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواد، والله لو كان لي مثله
لأعاشكم الله به عيشاً رغداً
فقال عبد الرحمن بن حبيش، وهو حدث: والله لوددت أن هذا الملطاط. لك، وهو ما
كان للأكاسرة على جانب الفرات الذي يلي الكوفة، فقالوا: فض الله فاك، والله لقد هممنا
بك، فقال أبوه: غلام فلا تجاوزه، فقالوا: يتمنى سوادنا، ويتمنى لكم أضعافه. فثار به
الأشتر وجندب وبن ذي الحنكة، وصعصعة، وابن الكواء، وكميل، وعمير بن ضابئ،
فأخذوه، فثار أبوه ليمنع عنه، فضربوهما حتى غشي عليها، وجعل سعيد يناشدهم
ويأبون، حتى قضوا منهما وطرأ، فسمعت بذلك بنو أسد، فجاءوا وفيم طليحة، فأحاطوا
بالقصر، وركبت القبائل فعادوا بسعيد، فخرج سعيد إلى الناس، فقال: أيها الناس، قوم
تنازعوا، وقد رزق الله العافية. فردهم، فتراجعوا. وأفاق الرجلان، فقالا: قاتلنا
غاشيتك، فقال: لا يغشوني أبداً، فكفأ ألستنكما ولا تجرئا الناس، ففعلا، وقعد أولئك النفر
في بيوتهم، وأقبلوا يقعون في عثمان رضي الله عنه.
وقيل: بل كان السبب في ذلك أنه كان يسمر عند سعيد وجوه أهل الكوفة، منهم: مالك
بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد وعلقمة بن قيس النخعيان، ومالك بن الأشتر، وغيرهم

فقال سعيد: إنما هذا السواد بستان قريش، فقال الأشتر: تزعم أن السواد الذي أفاءه الله
علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك! وتكلم القوم معه، فقال عبد الرحمن الأسدي، وكان
على شرطة سعيد:أتردون على الأمير مقالته! وأغلظ لهم، فقال الأشتر: من هاهنا لا
يفوتنكم الرجل، فوثبوا عليه فوطئوه وطئاً شديداً حتى غشي عليه، ثم جروا برجله فنضح
بماء فأفاق، وقال: قتلني من انتخبت، فقال: والله لا يسمر عندي أحد أبداً، فجعلوا
يجلسون في مجالسهم يشتمون عثمان وسعيداً، واجتمع إليهم الناس حتى كثروا.
فكتب سعيد وأشراف أهل الكوفة إلى عثمان في إخراجهم، فكتب إليهم أن يلحقوهم
بمعاوية، وكتب إلى معاوية: إن نفراً قد خلقوا للفتنة، فقم عليهم وانههم، فإن آنست منهم
رشداً فأقبل منهم وإن أعيوك فارددهم علي.
فلما قدموا على معاوية أنزلهم كنيسة مريم، وأجرى عليهم ما كان بالعراق بأمر عثمان
وكان يتغدى ويتعشى معهم.
فقال لهم يوماً: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفاً،
وغلبتم الأمم، وحزتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغني أنكم نقمتم قريشاً؛ لو لم تكن قريش
كنتم أذلة، إن أئمتكم لكم جنة، فلا تفترقوا عن جنتكم، وإن أئمتكم يصبرون لكم على
الجور، ويحملون عنكم المئونة، والله لتنتهن أوليبتلينكم الله بمن يسومكم ولا يحمدكم على
الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية في حياتكم وبعد وفاتكم.
فقال صعصعة: أما ما ذكرت من قريش فإنها لم تكن أكثر الناس، ولا أرفقها، ولا أمنعها في
الجاهلية فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجنة؛ فإن الجنة إن اخترقت خلص إلينا.
فقال معاوية: عرفتكم الآن، وعلمت أن الذي أغراكم على هذا قلة العقول؛ وأنت
خطيبهم، ولا أرى لك عقلاً، أعظم عليك أمر الإسلام وتذكرني الجاهلية! أخزى الله قوماً
أعظموا أمركم.
أفقهوا عني - ولا أظنكم تفقهون - أن قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله تعالى، لم

تكن بأكثر العرب ولا بأشدهم؛ ولكنهم كانوا أكرمهم أحساباً، وأمحضهم أنساباً، وأكملهم
مروءة، ولم يمتنعوا في جاهلية - والناس يأكل بعضهم بعضاً - إلا بالله، فبوأهم حرما آمنا،
يتخطف الناس من حولهم، هل تعرفون عرباً أو عجماً أو سوداً أو حمراً، إلا وقد أصابه
الدهر في بلده وحرمته؛ إلا ماكان من قريش؛ فإنهم لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل
الله خده الأسفل؛ حتى أراد الله أن يستنقذ من أكرم، واتبع دينه من هو أن الدنيا وسوء
مرد الآخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثم ارتضى له أصحاباً فكان خيارهم قريشاً، ثم
بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، فلا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله تعالى
يحوطهم في الجاهلية،
وهم على كفرهم، افتراه لا يحوطهم وهم على دينه! أف لك ولأصحابك!
أما أنت يا صعصعة، فإن قريتك شر القرى، أنتنها نبتاً، وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشر
وألامها، ألام العرب ألقابا وأصهارا، نزاع الأمم، وأنتم جيران الخط، وفعلة فارس، حتى
أصابتكم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. فأنت شر قومك، حتى إذا أبرزك الإسلام
وخلطك بالناس أقبلت تبتغي دين الله عوجاً، وتنزع إلى الذلة، ولا يضر ذلك قريشاً، ولا
يضعهم ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم غير غافل، قد عرفكم بالشر
فأغرى بكم الناس وهو صارعكم، ولا تدركون بالشر أمراً أبداً؛ إلا فتح الله عليكم شراً
منه وأخزى.
ثم أقام وتركهم، فتقاصرت إليهم أنفسهم.
فلما كان بعد ذلك أتاهم وتركهم فقال: إني قد أذنت فاذهبوا حيث شئتم، لا ينفع الله
بكم أحداً أبداً ولا يضره، ولا أنتم برجال منفعة ولا مضرة فإن أردتم النجاة فالزموا
جماعتكم، ولا يبطر الإنعام، فإن البطر لا يعتري الخيار، فاذهبوا حيث شئتم، فسأكتب إلى
أمير المؤمنين فيكم.
فلما خرجوا دعاهم وكلمهم نحو كلامه الأول، وكتب إلى عثمان أنه قدم على أقوام ليست
لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة؛ إنما همهم

الفتنة، وأموال أهل الذمة، والله متبليهم ومختبرهم، ثم فاضحهم ومخزيهم، وليسوا بالذين
ينكئون أحداً إلا مع غيرهم، فإن سعيداً ومن عنده عنهم؛ فإنهم ليسوا لأكبر من شغب أو
نكير.
قال: ولما خرجوا من دمشق قالوا: لا نرجع إلى الكوفة، فإنهم يشمتون بنا، ولكن ميلوا إلى
الجزيرة، فسمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وكان على حمص، فدعاهم وقال: ياآله
الشيطان، لا مرحبا بكم ولا أهلاً! قد رجع الشيطان محسوراً، وأنتم بعد نشاط، خسر
الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم، يا معشر من لا أدري، أعرب أم عجم! لا تقولوا لي ما
يبلغني أنكم قلتم لمعاوية: أنا ابن خالد بن الوليد، انا ابن من عجمته العاجمات، أنا بن فاقي
الرده.
والله لمن بلغني يا صعصعة أن احداً من معي دق أنفك، ثم أمضك، لأطيرن بك طيرة
بعيدة المهوى. وأقامهم شهراً، كلما ركب أمشاهم. فلما مربه صعصعة قال: يا بن
الخطيئة، اعلمت أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، مالك لا تقول لما بلغني أنك قلت
لسعيد ومعاوية! فيقولون: نتوب إلى الله، أقلنا أقالك الله، فما زالوا به حتى قال: تاب الله
عليكم.
وسرح الأشتر إلى عثمان، فقدم إليه ثانياً، فقال له عثمان؛ أحلل حيث شئت، قال: مع
عبد الرحمن بن خالد؟ فقال، ذاك إليك، فرجع إليه.
وقد حكى بعض المؤرخين من أخبارهم نحو ما تقدم، وزاد فيه: إن معاوية لما عاد إليهم
من القابلة وذكرهم، كان مما قال لهم: والله إني لا آمركم بشيء إلا قد بدأت فيه بنفسي،
وأهل بيتي، وقد عرفت قريش أن أبا سفيان كان أكرمها، وابن أكرمها؛ إلا ماجعل الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم، فإن انتخبه وأكرمه، وإني لأظن أن أبا سفيان لو ولد الناس لم يلد إلا
حازماً.
قال: صعصعة: كذبت، لقد ولدهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من
روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، وكان فيهم البر والفاجر، والأحمق والكيس.

فخرج تلك الليلة من عندهم، ثم أتاهم من القابلة فتحدث عندهم طويلاً ثم قال: أيها
القوم، ردوا خيراً أو اسكتوا، وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهاليكم المسلمين
فاطلبوه.
فقال صعصعة: لست بأهل ذلك ولا كرامة، لك أن تطاع في معصية الله عز وجل! فقال:
أليس أول ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعته وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا
تفرقوا.
قالوا: بل أمرت بالفرقة وخلاف ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم.
قال: فإني آمركم الآن، إن كنت فعلت فإني أتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته، وطاعة
نبيه، ولزوم الجماعة، وأن توقروا أئمتكم، وتدلوهم على أحسن ما قدرتم عليه.
فقال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك، فإن في المسلمين من هو أحق به منك؛ من كان
أبوه أحسن قدماً من أبيك في الإسلام وهو أحسن قدما في الإسلام من أبيك.
فقال: والله إن لي في الإسلام قدما، ولغيري كان أحسن قدما مني، ولكن ليس في زماني
أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيري أقوى مني
لم تكن عند عمر هوادة لي ولالغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي أن أعتزل عمل، ولو
رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إلى فاعتزلت عمله، فمهلاً فإن في ذلك وأشباهه ما يتمنى
الشيطان ويأمر.
ولعمري، لو كانت الأمور تقضي على رأيكم وأمانيكم، مااستقامت لأهل الإسلام يوما
وليلة، فعاودوا الخير وقولوه، وإن لله لسطوات وإني لخائف عليكم أن تتابعوا في متابعة
الشيطان، ومعصية الرحمن فيحلكم بذلك دار الهوان في العاجل والآجل.
فوثبوا عليه، وأخذوا رأسه ولحيته. فقال: مه! إن هذه ليست بارض الكوفة، والله لو
رأى أهل الشام ما صنعتم في ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمري إن
صنيعكم ليشبه بعضه بعضاً، ثم قام من عندهم.
فكتب إلى عثمان نحو ما تقدم، فكتب إليه يأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص إلى

الكوفة، فردهم، فأطلقوا ألسنتهم، فضج سعيد منهم إلى عثمان، فكتب إليه أن يسيرهم
إلى عبد الرحمن بن خالد بحمص، فسيرهم إليه، فأنزلهم وأجرى عليهم رزقاً. وكانوا:
الأشتر، وثابت بن قيس الهمذاني، وكميل بن زياد، وزيد وصعصعة ابنا صوحان، وجندب
بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق
الخزاعي، وابن الكواء.
وفيها مات المقداد بن عمرو، المعروف بابن الأسود، وتوفي الطفيل والحصين ابنا الحارث بن
عبد المطلب بن هاشم.
وحج عثمان بالناس.
سنة أربع وثلاثين
ذكر خبر يوم الجرعة وعزل سعيد وخروجه عن الكوفة واستعمال أبي موسى الأشعري
وفي هذه السنة توجه سعيد بن العاص أمير الكوفة إلى عثمان، وقد استعمل على أعماله
قبل مسيرة بسنة وبعض أخرى على أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى الري سعيد بن
قيس، وعلى همذان النسير العجلي، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماه مالك بن
حبيب، وعلى الموصل حكيم بن سلام الحراني، وعلى قرقيسيا جرير ابن عبد الله، وعلى
الباب سليمان بن ربيعة، وعلى حلوان عتيبة ابن النهاس. وجعل القعقاع بن عمرو على
الحرب، وخلت الكوفة من الرؤساء.
فخرج يزيد بن قيس وهو يريد خلع عثمان، ومعه الذين كان ابن السوداء يكاتبهم، فأخذه
القعقاع بن عمرو فقال:
إنما نستعفي من سعيد.
فتركه، وكاتب يزيد النفر الذين كانوا سيروا من الكوفة إلى الشام في القدوم عليه، فسار
الأشتر. فلم يفجأ الناس بالكوفة يوم جمعة إلا والأشتر على باب المسجد يقول:
جئتكم من عند أمير المؤمنين عثمان، وتركت سعيداً يريده على نقصان نسائكم على مائة
درهم، ورد أولى البلاء منكم إلى ألفين، ويزعم أن فيكم بستان قريش، فاستخلف الناس،
وجعل أهل الرأي ينهونهم فلا يسمعون منهم.
فخرج يزيد، وأمر منادياً ينادي: من شاء أن يلحق بيزيد لرد سعيد فليفعل، فبقي أشراف

الناس وحلماؤهم في المسجد، وعمرو بن حريث يومئذ خليفة سعيد، فصعد المنبر، فحمد
الله وأثنى عليه وأمر الناس بالاجتماع والطاعة.
فقال له القعقاع بن عمرو: أترد السيل عن أدراجه؟ هيهات! لا والله لا يسكن الغوغاء
إلا المشرفية ويوشك أن تنتضي، ثم يعجون عجيج العدان، ويتمنون ما هم فيه اليوم، فلا
يرده الله عليهم أبداً، فاصبر. قال: أصبر، وتحول إلى منزله.
وخرج يزيد بن قيس فنزل الجرعة، وهي قريب من القادسية، معه الأشتر، ووصل إليهم
سعيد بن العاص، فقالوا: لا حاجة لنا بك، فقال: إنما كان يكفيكم أن تبعثوا إلى أمير
المؤمنين رجلاً وإلى رجلاً، وهل يخرج الألف لهم عقول إلى رجل. ثم انصرف عنهم،
ومضى حتى قدم على عثمان فأخبره الخبر، وأن القوم يريدون البدل، وأنهم يختارون أبا
موسى. فولاه عثمان، وكتب إليهم:
أما بعد، فقد أمرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، والله لأقرضنكم عرضي،
ولأبذلنكم صبري، ولأصلحنكم جهدي، فلا تدعوا شيئاً أحببتموه لا يعصي الله فيه إلا
سألتموه، ولا شيئاً كرهتموه لا يعصي الله فيه إلا مااستعفيتم منه. أنزل فيه عندما أحببتم؛
حتى لا تكون لكم على الله حجة، ولنصبرن كما ما أمرنا؛ حتى تبلغوا ما تريدون.
ورجع الأمراء من قرب الكوفة، فرجع جرير من قرقيسياء، وعتيبة بن النهاس من حلوان،
وخطبهم أبو موسى، وأمرهم بلزوم الجماعة وطاعة عثمان.
فأجابوه إلى ذلك، وقالوا: صل
بنا. فقال:
لا، إلا على السمع والطاعة لعثمان، قالوا: نعم، فصلى بهم، وأتاه ولاته فولاهم. والله
سبحانه وتعالى أعلم، وهو حسبي.
الخلاف على عثمان
ومن ابتدأ بالجرأة عليه
كان أول من ابتدأ بالجرأة عليه عبد الرحمن بن عوف؛ وذلك أن أبلا من إبل الصدقة جيء
بها إلى عثمان، فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن، فأخذها وقسمها بين
الناس، وعثمان في الدار.
وكان أول من أجترأ عليه في المنطق جبلة بن عمرو الساعدي، مر به عثمان وهو في نادي

وبيده جامعة، فسلم عثمان فرد القوم، فقال جبلة: لم تردون على رجل فعل كذا وكذا! ثم
قال لعثمان: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك،أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة؛ مروان
وبن عامر وبن سعد، ومنهم من نزل القرآن بذمة، وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم
دمه.
وحكى أبو جعفر الطبري: أنه مر به وهو بفناء داره ومعه جامعة، فقال يا نعشل والله
لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء، ولأحملنك إلى حرة النار.
قال: ثم جاءه مرة أخرى، وعثمان على المنبر، فأنزله عنه
قال أبو جعفر وعن أبي حبيبة، قال: خطب عثمان الناس في بعض أيامه، فقال عمرو بن
العاص: يا أميرالمؤمنين، إنك قد ركبت نهابير، وركبنا معك، فتب نتب. فاستقبل عثمان
القبلة، وشهر يديه قال أبو حبيبة: فلم أر يوماً أكثر باكياً ولا باكية من يومئذ.
قال: ثم خطب الناس بعد ذلك، فقام إليه جهجاه الغفاري فصاح: ياعثمان، ألا إن هذه
شارف، قد جئنا بها، عليها عباءة وجامعة، فأنزل فلندرعك العباءة، ولنطرحك في
الجامعة، ولنحملنك على الشارف، ثم نطرحك في جبل الدخان.
فقال عثمان: قبحك الله، وقبح ما جئت به!
قال أبو حبيبة: ولم يكن ذلك منه إلا عن ملإ من الناس، وقام إلى عثمان شيعته من بني
أمية، فحملوه فأدخلوه الدار.
وروى عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه، قال: أنا أنظر إلى عثمان يخطب
على عصا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب عليها أبو بكر، فقال له جهجاه:
قم يا نعشل، فانزل عن هذا المنبر، وأخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى، فدخلت
شظية منها فيها، فبقي الجرح متى أصابته الأكلة، فرأيتها تدود.
ونزل عثمان وحملوه، وأمر
بالعصا فشدوها، فكانت مضببة، فما خرج بعد ذلك اليوم إلى خرجة أو خرجتين حتى
حصر، فقتل.
هذا ما كان من أمر أهل المدينة.
وأما ما كان من أهل الأمصار، فكان سبب خلافهم أن عبد الله ابن سبأ المعروف بابن
السوداء، كان يهودياً، فأسلم أيام عثمان، ثم تنقل في الحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم

بالشام، يريد إضلال الناس، فلم يقدر منهم على ذلك، وأخرجه أهل الشام فأتى مصر، فأقام
فيهم، وقال لهم:
العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمداً يرجع، ووضع لهم الرجعة، فقبلوا
ذلك معه، ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان لكل نبي وصي، وعلى وصي محمد، فمن أظلم ممن
لم يجز وصية رسول الله، ووثب على وصية! وإن عثمان أخذها بغير حق، فانهضوا في
هذا الأمر، وابدءوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر
تستميلوا به الناس. وبث دعاته، وكاتب من استفسد في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر
إلى ما عليه رأيهم.
ثم كان أهل الكوفة أول من قام في ذلك، فاجتمع ناس منهم فتذاكروا أعمال عثمان،
فاجتمع رأيهم أن يرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي، ثم العنبري، وهو الذي يدعى
عامر بن عبد القيس، فأتاه، فدخل عليه فقال: إن ناسا من المسلمين اجتمعوا ونظروا في
أعمالك، فوجدوك قد ارتكبت أموراً عظاماً، فاتق الله وتب إليه.
فقال عثمان: أنظروا إلى هذا، فإن الناس يزعمون أنه قارئ، ثم هو يجئ فيكلمني في
المحقرات، ووالله ما يدري أين الله؟ فقال عامر: بل والله إني لأدري أن الله لبالمرصاد.
فأرسل عثمان إلى معاوية، وعبد الله بن سعد، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص،
وعبد الله بن عامر، فجمعهم وشاروهم، وقال لهم: إن لكل أمير وزراء ونصحاء وإنكم
وزرائي ونصحائي، وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلى أن أعزل عمالي،
وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى مايحبون، فاجتهدوا رأيكم.
فقال بن عامر: أرى يا أمير المؤمنين أن تشغلهم بالجهاد عنك حتى يذلوا لك، ولاتكون همة
أحدهم إلا في نفسه وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته.
وقال سعيد: أحسم عنك الداء فاقطع عنك الذي تخاف، فإن لكل قوم قادة، متى تهلك
تفرقوا ولا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: هذا هو الرأي لولا مافيه.
وقال معاوية: أشير عليك أن تامر أمراء الاجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك
أنا أهل الشام.

وقال أبن سعد: إن الناس أهل طمع، فاعطهم من هذا المال، تعطف عليك قلوبهم.
ثم قام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أنك قد ركبت الناس بمثل بني أمية. فقلت
وقالوا، وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً، وامض قدماً.
فقال له عثمان: مالك قمل فروك، أهذا الجد منك! فسكت عمرو حتى تفرقوا، فقال:
والله يا أمير المؤمنين لأنت أكرم على من ذلك؛ ولكني علمت أن بالباب من يبلغ الناس قول
كل رجل منا، فأردت أن يبلغهم قولي، فيثقوا بي، فأقود إليك خيراً، وأدفع عنك شراً.
ثم رد عثمان عماله إلى أعمالهم، وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث، ورد سعيد بن العاص
إلى الكوفة، فلقيه الناس من الجرعة فردوه كما تقدم، وتكاتب أهل الأمصار، لما أفسد
أمرهم بن السوداء، وصار أهل كل مصر يكتب إلى أهل مصر الآخر بعيوب يضعونها
لولاتهم، وينالون منهم حتى ذاع ذلك في سائر البلاد، ووصل إلى المدينة.
فيقول أهل كل مصر:إنا لفي عافية مما ابتلي به هؤلاء.
ثم تكاتب نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم، بعضهم إلى بعض
في سنة اربع وثلاثين أن أقدموا فإن الجهاد عندنا، ونال الناس من عثمان، وعظموا عليه،
وليس أحد من الصحابة ينهي ولا يذب، إلا نفر، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي،
وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فاجتمع الناس، فكلموا على بن أبي طالب رضي الله
وأرضاه وكرم وجهه.
غلام علي لعثمان
وجوابه له.
قال: ولما اجتمع الناس إلى علي رضي الله عنه،وكلموه، دخل إلى عثمان فقال: إن الناس
ورائي، وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك،ولا أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلك على
أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء
فنبلغك، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وسمعت منه، ونلت صهره، وما أبنأبي قحافة بأولى بالعمل منك، ولا بن الخطاب بأولى

بشيء من الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله صل الله عليه وسلم رحماً، ولقد نلت
من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم تنالا، ولا سبقاك إلى شيء، فالله، الله في
نفسك، فإنك والله ما تبصر عن عمي، وما تعلم من جهالة، وإن الطريق لواضح بين، وإن
أعلام الدين لقائمة.
أعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل؛ هدى وهدى، وأقام سنة معلومة،
وأمات بدعة مكروهة، فو الله إن كلا لبين، وإن السنن لقائمة لها أعلام، وإن البدع لقائمة لها
أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وأضل،فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة
متروكة، وإني أحذرك الله وسطواته ونقماته، فإن عذابه شديد أليم، أحذرك أن تكون إمام
هذه الأمة الذين يقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، وتلبس أمورها وتتركهم
شيعاً؛ لا يبصرون الحق لعلو الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً.
فقال عثمان: قد علمت والله ليقولن الذي قلت، أما والله لو كنت مكان ما عنفتك ولا
أسلمتك، ولا عبت عليك، ولا جئت منكراً، أن وصلت رحماً، وسددت خلة، وآويت
ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر ولي. أنشدك الله يا علي، هل تعلم أن المغيرة بن شعبة
ليس هناك! قال:
نعم، قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومني أن وليت بن عامر في رحمه
وقرابته؟
قال علي: إن عمر كان يطأ على صماخ من ولي إن بلغه عنه حرف جلبه، ثم بلغ به
أقصى العقوبة، وأنت لا تفعل، ضعفت ورفقت على أقربائك.
قال عثمان.: وهم أقرباؤك أيضاً. قال: أجل، إن رحمهم مني لقريبة؛ ولكن الفضل في
غيرهم.
قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولي معاوية، فقد وليته؟
قال علي: أنشدك الله! هل تعلم أن عمر ولي معاوية، فقد وليته؟ قال علي؟
أنشدك الله! هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ (غلام له) ؟
قال: نعم، قال: فإن معاوية يقطع الأمور دونك، ويقول للناس: هذا أمر عثمان، وأنت تعلم

ذلك، فلا تغير عليه.
ثم خرج علي من عنده، وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر ثم قال.
أما بعد، فإن لكل شيء آفة، ولكل عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة،
طعانون يرونكم ما تحبون، يسترون عنكم ما تكرهون، ويقولون لكم ويقولون، أمثال النعام،
يتبعون أول ناعق، أحب مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصاً، ولا يردون إلا عكراً، لا
يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأمور، إلا فقد عبتم على والله بما أقررتم لابن الخطاب بمثله؛
لكن وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم،
ولنت لكم، وأوطأتكم كتفي، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي. أما والله لأنا
أعز نفراً، وأقرب ناصراً، وأكثر عدداً، وأحرى إن قلت هلم أتي إلى، ولقد أعددت لكم
أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقاً لم أكن
أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به، فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم، فإني
كففت عنكم من لو كان الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا، ألا فما تفقدون من
حقكم؟ والله ماقصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي، ولم يكونوا يختلفون عليه.
فقام مروان بن الحكم فقال: إن شئتم حكمنا والله بيننا وبينكم السيف، ونحن والله وأنتم
كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم مغارسكم تبنون في دمن الثري

فقال له عثمانك اسكت لأسكت، دعني وأصحابي، ما منطقك في هذا؟
الم أتقدم إليك ألا تنطق! فسكت مروان، ونزل عثمان

إرسال عثمان إلى الأمصار ليأتوه بأخبار عماله وما يقول الناس فيهم

قال: لما تكاتب أهل الأمصار بعيوب ولاتهم التي وضعوها، وشاع ذلك، وأتت الأخبار إلى
المدينة، أتى أهل المدينة إلى عثمان وقالوا: يا أمير المؤمنين إنا نخبرك عن الناس بما ياتينا،
وأخبروه، فاستشارهم فأشاروا أن يبعث رجالاً ممن يثق بهم إلى الأمصار، ليأتوه بأخبار

العمال، فارسل محمد بن سلمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعمار بن ياسر إلى
مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام.
وفرق رجالا سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمار، فقالوا: ما أنكرنا شيئاً ولا نكره أعلام
الناس ولا عوامهم. وتأخر عمار حتى ظنوا أنه اغتيل، فجاء كتاب عبد الله بن أبي سرح
يذكر أن عماراً قد استماله قوم وانقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم،
وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر.
فكتب عثمان إلى أهل الأمصار: إني آخذ عمالي بموافاتي في كل موسم، وقد رفع إلى أهل
المدينة أن أقواماً يضربون ويشتمون، فمن أدعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم، ليأخذ بحقه
مني أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين.
فلما قرأ كتابه في الأمصار بكى الناس بكاء شديداً، ودعوا عثمان رضي الله عنه. وقدم
عمال الامصار إلى مكة في الموسم: عبد الله عامر أمير البصرة، وعبد الله بن سعد أمير
مصر، ومعاوية أمير الشام وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص.
فقال عثمان رضي الله عنه: ويحكم! ماهذه الشكاية وما هذه الإذاعة!
إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم، وما يعصب هذا إلا بي، فقالوا: ألم تبعث؟
ألم نرجع إليك الخبرعن القوم؟ ألم ترجع رسلك ولم يشافههم أحد بشيء، والله ما صدقوا
ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، ولا يحل الأخذ بهذه الإذاعة.
فقال: أشيرواعلي.
فقال سعيد: هذا أمر مصنوع يلقى في السر فيتحدث به الناس، ودواء ذلك طلب هؤلاء،
وقتل الذين يخرج هذا من عندهم.
وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتهم الذي لهم، فإنه خير من
أن تدعهم.
وقال معاوية: قد وليتني فوليت قوما لايأتيك عنهم إلا الخير، والرجلان أعلم بناحيتيهما،
والرأي حسن الأدب.
قال عمر: أرى أنك قد لنت لهم، وتراخيت عليهم، وزدتهم على ماكان يصنع عمر، فأرى
أن تلزم طريق صاحبيك، فتشتد في موضع الشدة، وتلين في موضع اللين.

فقال عثمان: قد سمعت كل ما أشرتم به علي، ولكل أمر باب يؤتى منه.
إن هذا الأمر الذي يخاف على هذه الأمة كائن، وإن بابه الذي يغلق عليه فيكفكف بهن
اللين والمؤاتاة إلا في حدود الله، فإن فتح فلا يكون لأحد على حجة حق. وقد علم الله
أنى لم آل الناس خيراً، وأن رحا الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها. سكنوا
الناس، وهيئوا لهم حقوقهم؛ فإذا تعوطيت حقوق الله عز وجل فلا تدهنوا فيها.
وكان هذا بمكة. فلما قدم عثمان المدينة دعا علياً وطلحة والزبير، وعنده معاوية، فحمد
معاوية الله، ثم قال أنتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرته من خلقه، وولاه
أمر هذه الأمة، لايطمع فيه أحد غيركم، اخترتم صاحبكم عن غير غلبة ولا طمع، وقد
كبر وولى عمره، ولو انتظرتم به الهرم لكان قريباً؛ مع أني أرجو أن يكون أكرم على الله أن
يبلغه ذلك، وقد فشت مقالة أخفتها عليكم، فما عتبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به،
ولا تطمعوا الناس في أمركم، فوالله إن طمعوا فيه لرأيتم منها أبداً إدبارا.
فقال علي بن أبي طالب:
مالك وذاك لا أم لك! قال:
دع امي فإنها ليست بشر أمهاتكم، قد اسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم،
وأجبني عما أقول لك.
فقال عثمان: صدق ابن أخي، أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبي اللذين كانا قبلي
أنفسكما، ومن كان منهما بسبيل احتسابا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعطي قرابته، فأنا في رهط أهل عيلة، وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذلك المال لما
أقوم به فيه، فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه، فأمري لأمركم تبع.
فقالوا: أصبت وأحسنت، قد أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفاً،
وأعطيت مروان خمسة عشر ألفاً. فأخذ منهما ذلك، فرضوا وخرجوا راضين.
ولما رأى معاوية ما الناس فيه قال لعثمان: أخرج معي إلى الشام فإنهم على الطاعة قبل أن
يهجم عليك مالا قبل لك به، فقال:

لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وإن كان فيه قطع خيط عنقي،
قال: فابعث إليك جنداً منهم يقيمون معك لنائبة إن نابت المدينة،
فقال: لا أضيق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فقال: والله إنك لتغتالن،
فقال: حسبي الله ونعم الوكيل.
وخرج معاوية فمر بنفر من المهاجرين؛ فيهم علي و طلحة والزبير وعلى معاوية ثياب
سفره، فقام عليهم، فقال: إنكم قد علمتم أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون فيه حتى بعث
الله نبيه، فكانوا متفاضلين بالسابقة والقدمة والاجتهاد، فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم،
والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغلب سلبوا ذلك ورده الله إلى غيرهم، وإن الله على
البدل القادر، وإني قد خلفت فيكم شيخاً فاستوصوا به خيراً، وكاتفوه تكونوا أسعد منه
بذلك.
وودعهم ومضى إلى الشام.
فقال علي رضي الله عنه: كنت أرى في هذا خيراً.
فقال الزبير: والله ماكان قط أعظم في صدرك وصدورنا منه اليوم. والله سبحانه وتعالى
أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
سنة خمس وثلاثين
ذكر مسير من سار إلى عثمان رضي الله عنه من أهل الأمصار
قال: ولما فصل الأمراء عن المدينة، وقدموا على أمصارهم وذلك في سنة خمس وثلاثين،
وكان المنحرفون عن عثمان قد اتعدوا يوماً يخرجون فيه بالأمصار جميعاً إذا سار عنها
الأمراء، فلم يتهيأ لهم ذلك. ولما رجع الأمراء ولم يتم لهم الوثوب تكاتبوا في القدوم إلى
المدينة، لينظروا فيما يريدون ويسألوا عثمان عن أشياء، لتطير في الناس.
فخرج المصريون وفيهم عبد الرحمن بن عديس البلوي في خمسمائة.
وقيل: ستمائة، وقيل: في ألف، وفيهم كنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران السكوني،
وعليهم جميعاً الغافقي بن حرب العكي.
وخرج أهل الكوفة وفيهم زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر
الحارثي، وعبد الله بن الأصم العامري، وهم عداد أهل مصر.

وخرج أهل البصرة وفيهم حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عباد العبدي، وبشر بن
شريح القيسي، وابن المحترش،وهم بعداد أهل مصر، وأميرهم حرقوص بن زهير السعدي.
فخرجوا جيمعاً في شوال، وأظهروا أنهم يريدون الحج، فلما كانوا من المدينة على ثلاث،
تقدم ناس من أهل البصرة، فنزلوا ذا خشب، وكان هواهم في طلحة، وتقدم ناس من أهل
الكوفة فنزلوا على الأعوص وهو أهم في الزبير، وجاءهم ناس من أهل مصر وهواهم في
علي، ونزل عامتهم بذي المروة
فاجتمع نفر من أهل مصر وأتوا علياً، ونفر من أهل البصرة، وأتوا طلحة، ونفر من أهل
الكوفة فأتوا الزبير، واجتمعوا بهم فكل طردهم وأبعدهم، فعادوا إلى أصحابهم.
وقيل: إن عثمان لما بلغه نزولهم بذي خشب، جاء إلى علي وكلمة في ردهم، فقال علي:
على أي شيء أردهم؟ فقال عثمان: على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيته لي.
فركب علي ومحمد بن مسلمة وأبو المضرس وكلموهم في الرجوع، فرجعوا، فعاد علي إلى
عثمان برجوعهم، فسر بذلك.
فلما فارقه مروان بن الحكم إلى عثمان من الغد فقال له: تكلم أعلم الناس أن أهل مصر رجعوا، وأن ما بلغهم عن أميرهم كان باطلاً قبل أن يأتي
الناس من أمصارهم، ويأتيك حالا تستطيع رده، ففعل عثمان، فلما خطب الناس قال
عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان، فإنك قدركبت أموراً وركبناها معك، فتب إلى الله
نتب.
فناداه عثمان: وإنك هنالك! قملت والله جبيتك، منذ عزلتك عن العمل.
فنودي من ناحية أخرى:
تب إلى الله، فرفع راسه وقال:
الله إني أول تائب. وخرج عمرو بن العاص حتى أتى فلسطين.
وفي رواية عن علقمة بن وقاص: إن عمرو بن العاص قام إلى عثمان وهو يخطب، فقال: يا
عثمان، إنك قد ركبت بالناس النهابير وركبوها، فتب إلى الله وليتوبوا.
فالتفت إليه عثمان وقال: وإنك لهنا يابن النابغة! ثم رفع يديه واستقبل القبلة وقال:
أتوب إلى الله، اللهم أنا أول تائب إليك.

قال ابن الأثير الجزري: وقيل:
إن علياً لما رجع من عند المصريين بعد رجوعهم أتى عثمان،
فقال: تكلم كلاماً يسمعه
الناس منك، ويشهدون عليك ويشهد الله على مافي قلبك من
النزوع والإنابة؛ فإن البلاد قد
تمخضت عليك، فلا آمن أن يجيء ركب آخر من الكوفة والبصرة،
فتقول: يا علي، أركب
إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك، واستخففت
بحقك.
فخرج عثمان فخطب خطبة نزع فيها، وأعطى الناس من نفسه
التوبة، وقال:
أنا أول من اتعظ، استغفر الله مما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع
وتاب، فإذا نزلت فليأتني
أشرافكم فليروا رأيهم، فوالله لئن ردني الحق عبداً لأستن
بسنة العبد، ولأذلن ذل العبد،
وما عن الله مذهب إلا إليه، فوالله لأعطينكم الرضا، ولأنحين
مروان وذويه، ولا أحتجب
عنكم.
فرق الناس وبكوا حتى أخضلت لحاهم، وبكى هو أيضاً، فلما نزل
وجد مروان وسعيد
ونفراً من بني أمية في منزله، لم يكونوا شهدوا خطبته.
فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين، أتكلم أم أسكت؟
فقالت: نائلة ابنة الفرافصة أمراة عثمان لا، بل أصمت، فإنهم
والله قاتلوه ومؤثموه، إنه قال
مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها.
فقال لها مروان:
ما أنت وداك؟ فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ، فقالت:
مهلا يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب تكذب
عليه! وإن أباك لا يستطيع
أن يدفع عنه. أما والله لولا أنه عمه، وأنه يناله عمه لأخبرتك عنه
بما لم أكذب. قال:
فاعرض عنها مروان، وقال: يا أمير المؤمنين، أتكلم أم أسكت؟
قال:
تكلم فقال: بأبي أنت وأمي! والله لوددت أن مقالتك هذه كانت
وأنت ممتنع، فكنت أول
من رضي بها، وأعان عليها؛ ولكنك قلت ما قلت حين قد بلغ
الحزام الطبيبين، وبلغ السيل
الزبى، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل، والله لإقامة على
خطيئة يستغفر منها، أحسن من
توبه يخاف عليها، وأنت إن شئت تقر بالتوبة، ولم تقر بالخطيئة،
وقد اجتمع بالباب أمثال
الجبال من الناس.

فقال عثمان: فأخرج إليهم وكلمهم، فإنى استحي أن أكلمهم،
فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال:
ما شأنكم؟ قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب،
شاهت الوجوه! إلا من أريد، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من
أيدينا، أخرجوا عنا،
والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم منا أمر لا يسركم، ولا تحمدوا
غب رأيكم، ارجعوا إلى
منازلكم، فإنا والله مانحن بمغلوبين على ما في أيدينا.
فرجع الناس، وأتى بعضهم علياً فأخبره الخبر، فأقبل الناس
على عبد الرحمن بن الأسود
بن عبد بغوث فقال:
أحضرت خطبة عثمان؟ قال:
نعم، قال:
أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قال: نعم، فقال علي:
أي عباد الله، ياللمسلمين! إني إن قعدت في بيتي قال لي:
تركتني وقرابتي قرابتي وحقي،
وإني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيقه له
يسرقه حيث يشاء، بعد
كبر السن، وصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقام مغضبا
حتى دخل على عثمان
فقال له: أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن
دينك، وعن عقلك، مثل
جمل الظعينة. يقاد حيث يشاء ربه. والله ما مروان بذي رأي في
دينه ولا نفسه، ولا وايم
الله إنى لأراه يوردك ثم لا يصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا
لمعاتبتك، أذهبت شرفك،
وغلبت على رأيك.
فلما خرج علي دخلت على عثمان امرأته نائلة فقالت: قد
سمعت قول علي لك، وليس
يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء قال:
فما أصنع؟
قالت:
تتقي الله، وتتبع سنة صاحبيك؛ فإنك متى أطعت مروان قتلك،
ومروان ليس له عند
الناس قدر ولا هيبة ولا محبة؛ وإنما تركك الناس لمكانه، فأرسل
إلى علي فاستصلحه فإن
له قرابة منك، وهو لا يعصى.
فأرسل عثمان إلى علي فلم يأته وقال:
قد أعلمته أني غير عائد، فبلغ مروان مقالة نائلة فيه، فجلس
بين يدي عثمان فقال: ياابنة
الفرافصة، فقال عثمان:

لا تذكرنها بحرف، أسوي وجهك، فهي والله انصح لي منك، فكف مروان.
وأتى عثمان إلى علي بمنزله ليلاً وقال له: إني غير عائد، وإني فاعل، فقال له علي: بعد ما
تكلمت على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطيت من نفسك، ثم دخلت
بيتك. فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم!
فخرج عثمان من عنده وهو يقول:
خذلتني وجرأت الناس علي، فقال له علي:
والله إني لأكثر الناس ذنباً عنك؛ ولكني جئت بشيء أظنه لك رضا، جاء مروان
بأخرى، فسمعت قوله، وتركت قولي، ولم يعد علي يعمل ما كان يعمل إلى منع عثمان الماء.
فغضب غضباً شديداً حتى دخلت الروايا على عثمان رضي الله عنه. والله أعلم.
مقتل عثمان
ولم عاد المصريون وغيرهم، ظن أن الفتنة قد ركدت، والبلية قد سكنت، فلم يفجأ أهل
المدينة إلا والتكبير في نواحيها، وقد عاد القوم، فجاءهم أهل المدينة وفيهم علي، فقال: ما
ردكم بعد ذهابكم!
وقيل: إن الذي سألهم محمد بن مسلمة، فأخرجوا صحيفة في انبوبة رصاص وقالوا:
وجدنا غلام عثمان بالبويب على بعير من إبل الصدقة، ففتشنا متاعه، فوجدنا فيه هذه
الصحيفة، يأمر فيها عامل مصر بجلد عبد الرحمن بن عديس وغيره، وصلب بعضنا.
قيل وكان الذي أخذت منها الصحيفة أبو الأعور السلمي
فدخل علي محمد بن مسلمة على عثمان وأعلموه بما قال القوم، فأقسم بالله ما كتبه ولا
علم به.
فقال محمد: هذا من فعل مروان، ودخل عليه المصريون، فلم يسلموا عليه بالخلافة،
وتكلموا فذكر بن عديس ما فعل بعبد الله بن سعد بالمسلمين وأهل الذمة، وأنه استأثر
بالغنائم، فإن قيل له في ذلك قال: هذا كتاب أمير المؤمنين، وذكر أشياء مما أحدثها عثمان
بالمدينة.
وقال: خرجنا من مصر نريد قتلك، فردنا علي ومحمد بن مسلمة، وضمنا لنا النزوع عن
كل ما تكلمنا فيه، فرجعنا إلى بلادنا، فرأينا غلامك وكتابك وعليه خاتمك، تامر بجلدنا

والمثلة بنا، وطول حبسنا. فحلف أنه ما كتب ولا أمر ولا علم.
فقال محمد وعلي: صدق عثمان. قال المصريون: فمن كتبه؟ قال:
لا أدري قالوا: فيجترأ عليك، ويبعث غلامك وجمل الصدقة، وينقش على خاتمك، ويبعث
إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة وأنت لا تعلم! قال: نعم.
قالوا: ما انت إلا صادق أو كاذب فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من
قتلنا بغير حق، وإن كنت صادقاً فقد استحققت الخلع. لضعفك عن هذا الأمر، وغفلتك،
وخبث بطانتك، ولا نترك هذا الأمر بيد من يقطع الأمر دونه.
فقال: لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله؛ ولكنني أتوب وأنزع.
قالوا: قد رأيناك تتوب، ثم تعود، ولسنا منصرفين حتى نخلعك، أو نقتلك، أو تلحق
أرواحنا بالله، وإن منعك أهلك وأصحابك قاتلناهم.
فقال: أما أن أتبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إلى من ذلك، أما قتالكم من منعني فإني لا
آمر بقتل أحد بقتالكم، فمن قاتل فبغير أمري.
وكثرت الأصوات واللغط، فقام علي وأخرج القوم ومضى إلى منزله.
قال: لما رجع أهل مصر، رجع أهل الكوفة وأهل البصرة فكأنما كانوا على ميعاد واحد؛
فقال لهم علي رضي الله عنه: كيف علمتم يا أهل الكوفة، ويا أهل مصر بما لقي أهل
مصر، وقد سرتم مراحل حتى رجعتم! هذا والله أمر بليل!
فقالوا:
ضعوه كيف شئتم، لا حاجة لنا في هذا الرجل، ليعتزلنا.
قال: ثم أحاط القوم بعثمان، ولم يمنعوه من الصلاة، ولا منعوا من اجتماع الناس به.
وكتب عثمان إلى أهل الامصار يستنجدهم، ويأمرهم بالحث للمنع عنه، يعرفهم ما الناس
فيه، فخرج أهل الأمصار على الصعب والذلول.
فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبد الله بن سعد معاوية بن حديج.
وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو.
وقام بالكوفة نفر يحضون على إعانة أهل المدينة، منهم عقبة بن عمرو، وعبد الله بن أبي
أوفى، وحنظلة الكاتب وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ومن التابعين مسروق الأسود وشريح وعبد الله بن عليم وغيرهم.

وقام بالبصرة عمران بن حصين، وأنس بن مالك، وهشام بن عامر وغيرهم من الصحابة.
وقام بالشام جماعة من الصحابة والتابعين، وكذلك بمصر.
قال: ولما جاءت الجمعة التي على اثر دخولهم المدينة، خرج عثمان فصلى بالناس، ثم قام
على المنبر وقال: يا هؤلاء، الله الله، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان
محمد، فأمحوا الخطأ بالصواب.
وقام محمد بن سلمة قال:
أنا أشهد بذلك، فأقعده حكيم بن جبلة، وقام زيد بن ثابت، فأقعده محمد بن أبي قتيرة،
وثار القوم بأجمعهم: فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد،وحصبوا عثمان حتى
صرع عن المنبر مغشياً عليه، فأدخل داره، واستقتل نفر من أهل المدينة معه، منهم سعد
بن أبي وقاص، والحسن بن علي وزيد بن ثابت وأبو هريرة، فعزم عليهم عثمان بالانصراف،
فانصرفوا، وجاءه علي وطلحة والزبير يعودونه، وعنده جماعة من بني امية، منهم مروان بن
الحكم، فقالوا:كلهم لعلي: أهلكتنا وصنعت هذا الصنع! والله لئن بلغت الذي تريد لنمرن
عليك الدنيا، فقام مغضبا، وعاد هو والجماعة إلى منازلهم.
قال: وصلى عثمان بالناس في المسجد بعدما نزلوا به ثلاثين يوماً ثم منعوه الصلاة، وصلى
بالناس أميرهم الغافقي، وتفرق أهل المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتهم، لا يجلس أحد ولا
يخرج إلا بسيفه؛ ليمتنع به.
قال: وفي أثناء ذلك استشار عثمان نصحاءه في أمره، فأشاروا عليه بالإرسال إلى علي في
ردهم، ويعطيهم ما يرضيهم؛ ليطاولهم حتى تأتيه أمداده، فقال: إنهم لا يقبلون التعلل، وقد
كان مني في المرة الأولى ماكان.
فقال مروان: أعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك؛ فإنهم قوم بغوا عليك ولا عهد لهم.
فدعا عليا وقال له: قد ترى ما كان من أمر الناس، ولا آمنهم على دمي، فأرددهم فإنى
أعطيهم ما يريدون من الحق مني ومن غيري.
فقال علي: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، وقد كنت أعطيتهم عهداً فلم تف به
فلا تفردني هذه المرة فإنى معطيهم عليك بالحق.
قال: أعطهم، فوالله لأفين لهم. فخرج على إلى الناس فقال لهم: إنما طلبتم الحق وقد

أعطيتموه، وقد زعم أنه منصفكم من نفسه ومن غيره، فقال الناس: قبلنا، فاستوثق منه
لنا؛ فإنا لنا نرضى بقول دون فعل، فدخل عليه على فأعلمه، فقال: أضرب بيني وبينهم
أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإنه لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد منك. فقال له علي:
أما ما كان بالمدينة فلا أجل لك فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك. قال: نعم، فأحلني
فيما في المدينة ثلاثة أيام، فأجابه إلى ذلك.
وكتب بينهم كتاباً على رد كل مظلمة، وعزل كل عامل كرهوه، فكف الناس عنه، فجعل
يتأهب للقتال، ويستعد بالسلاح، واتخذ جنداً. فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئاً ثار
به القوم.
وخرج عمرو بن حزم إلى المصريين فأعلمهم الخبر، وهم بذى خشب، فقدموا المدينة
وطلبوا منه عزل عماله، ورد مظالمهم.
فقال: إن كنت استعمل من أردتم، وأعزل من كرهتم، فلست في شيء من الأمر، والأمر
أمركم. فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لتقتلن. فأبى عليهم، فحصروه، واشتد الحصار،
فأرسل إلى علي وطلحة والزبير فحضروا، فأشرف عليهم وقال يا أيها الناس، أجلسوا،
فجلس المحارب والمسالم، ثم قال: يا أهل المدينة، استودعكم الله، واسأله أن يحسن عليكم
الخلافة من بعدي، ثم قال: أنشدكم بالله! هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن
يختار لكم، وأن يجمعكم على خيركم! أتقولون إن الله لم يستجب لكم، وهنتم عليه، وأنتم
أهل حقه! أم تقولون: هان على الله دينه، فلم يبال من ولي، والذين لم يتفرق أهله حينئذ؟
أم تقولون: لم يكن أخذ عن مشورة، إنما كان عن مكابرة فوكل الله الأمة إذ عصته ولم
يشاوروا في الإمامة! أم تقولون:
إن الله لم يعلم عاقبة أمري
وأنشدكم بالله! أتعلمون لي سابقة خير وقدم خير قدم الله لي ما يوجب على كل من جاء
بعدي أن يعرفوا لي فضلها، فمهلاً لا تقتلوني فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة رجل زنى بعد
أحصانه، أو كفر بعد إيمانه، أوقتل نفساً بغير حق. فإنكم إن قتلتموني وضعتم السيف
على رقابكم، ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبداً.

قالوا: أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر، ثم ولوك فإن كل ما صنع الله الخيرة،
ولكن الله جعلك بلية ابتلى بها عبادة.
وأما ما ذكرت من قدمك وسلفك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كنت كذلك،
وقد كنت أهلاً للولاية، ولكن أحدثت ما علمته، ولا نترك إقامة الحق عليك مخافة الفتنة
عاماً قابلاً.
وأما قولك: إنه لا يحل إلا قتل ثلاثة، فإنا نجد في كتاب الله قتل غير الثلاثة الذين سميت،
قتل من سعى في الأرض فساداً، أو قتل من بغي، ثم قاتل على بغيه، قتل من حال دون
شيء من الحق ومنعه وقال دونه وقد بغيت ومنعت الحق وحلت دونه، وكابرت عليه، ولم
تقد من نفسكم من ظلمت، وقد تمسكنت الإمارة عليها فإن زعمت أنك لم تكابرنا عليه
فإن الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة، فلو خلعت نفسك
لانصرفوا عن القتال معك.
فسكت عثمان ولزم الدار، وأمر أهلا المدينة بالرجوع، وأقسم عليهم فرجعوا، إلا الحسن
بن علي، ومحمد بن طلحة، وعبد الله بن الزبير وأشباها لهم، واجتمع إليهم ناس كثير،
وكانت مدة الحصار أربعين يوما، فلما مضت ثماني عشرة ليلة، قدم ركبان من الأمصار
فأخبروا خبر من تهيأ لهم من الجنود، فحالوا بين الناس وبينه، ومنعوه كل شيء حتى الماء،
فارسل إلى علي سراً، وإلى طلحة والزبير، و إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم،
يقول لهم: إنهم قد منعوني الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا، فكان أولهم إجابة
علي، وأم حبيبة، فجاء علي في الناس فقال: ياأيها الناس، إن الذي تفعلون لا يشبه أمر
المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فإن الروم وفارس
لتأسر فتطعم، وتسقي.
فقالوا: لا والله ولا نعمة عين، فرمى بعمامته في الدار بأنى قد نهضت ورجع، وجاءت أم
حبيبة على بغلة لها إداوة، فضربوا وجه بغلتها فقالت: إن وصايا بني أمية عند هذا
الرجل، فأحببت أن أساله عنها لئلا تهلك أموال الأيتام والأرامل، فقالوا: كاذبة، وقطعوا

حبل البغلة بالسيف، فنفرت، وكادت تسقط عنها، فتلقاها الناس، ثم ذهبوا بها إلى
منزلها.
فاشرف عثمان يوماً، فسلم عليهم، ثم قال: أنشدكم الله، هل تعلمون أني اشتريت بئر
رومة من مالي ليستعذب بها، فجعلت رشائي فيها كرجل من المسلمين؟ قالوا: نعم، قال:
فلم تمنعوني أن اشرب منها حتى أفطر على ماء الملح!
ثم قال: أنشدكم الله!هل تعلمون أني اشتريت أرض كذا وكذا فزدتها في المسجد؟ قيل:
نعم.
قال: فهل علمتم أن أحداً منع أن يصلي فيه قبلي؟ ثم قال: أنشدكم الله! هل تعلمون أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال عني كذا وكذا أشياء في شأنه؟ ففشا في الناس، يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين فقام
الأشتر: فقال: لعله قد مكر به وبكم.
قال: وبلغ طلحة والزبير مالقى على وأم حبيبة، فلزموا بيوتهم، وبقي عثمان يسقيه آل حزم
في الغفلات.
قال: وخرجت عائشة رضي الله عنها إلى الحج، فاستتبعت أخاها محمداً، فأبى، فقالت:
والله لئن استطعت أن يحرمهم الله مايحاولون لأفعلن.
فقال له حنظلة الكاتب: تستتبعك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتتبع ذؤبان العرب إلى مالا يحل!
وإن هذا الأمر إن صار إلى التغالب غلبتك عليه بنو عبد مناف، ثم رجع حنظلة إلى
الكوفة وهو يقول بالله المستعان، وعليه التكلان:

عجبت لما يخوض الناس فيه يرومون الخلافة أن تزولا
ولو زالت لزال الخير عنهم ولاقوا بعدها ذلا ذليلاً
وكانوا كاليهود أو كالنصارى سواء كلهم ضلوا السبيلا

قال: ثم أشرف عثمان على الناس، واستدعى عبد الله بن عباس، فأمره أن يحج بالناس،
وكان ممن لزم الباب، فانطلق.
قال: ولما رأى المصريون أن أهل الموسم يريدون قصدهم بعد الحج مع مايليهم من مسير
أهل الأمصار، قالوا: لا يخرجنا من هذا الأمر الذي وقعنا فيه إلا هذا الرجل، فيشتغل
الناس عنا. فتقدموا إلى الباب، فمنعهم الحسن، وابن الزبير، ومحمد بن طلحة، ومروان
وسعيد بن العاص ومن معهم من أبناء الصحابة، واجتلدوا فزجرهم عثمان، وقال: أنتم في

حل من نصرتي، فأبوا، ففتح الباب ليمنعهم، فلما خرج ورآه المصريون رجعوا، فركبهم
هؤلاء، واقسم عثمان على الصحابة ليدخلن، فدخلوا، فأغلق الباب دون المصريين فثاروا
إلى الباب، وجاءوا بنار، فأحرقوا السقيفة التي على الباب وثار بهم أهل الدار، وعثمان
يصلي، قد افتتح طه، فما شغله ماسمع حتى أتى عليها، فلما فرغ جلس إلى المصحف
فقرأ: " الذي قال لهم الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا: حسبنا الله
ونعم الوكيل"
قال: ثم قال عثمان للحسن: إن أباك الآن لفي أمر عظيم من أمرك، فأقسمت عليك لما
خرجت عليه، فتقدموا فقاتلوا، ولم يستمعوا قوله، فبرز المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي
حليف بني زهرة وكان تعجل الحج في عصابه لينصروا عثمان وهو معه في الدار، وارتجز.

قد علمت القرون الميل والحلى والأنامل الطفول
لتصدقن بيعتي خليلي بصارم ذي رونق مصقول

لا أستقيل إذ أقلت قيلي
وحكى أبو عمر أن المغيرة بن الأخنس قال لعثمان حين أحرقوا بابه:
والله لا قال الناس عنا: إنا خذلناك، وخرج بسيفه وهو يقول:

لما نهدمت الأبواب واحترقت تيممت منهن باباً غير محترق
حقاً أقول لعبد الله آمره إن لم تقاتل لدى عثمان فانطلق
والله أتركه مادام بي رمق حتى يزايل بين الرأس والعنق
هو الإمام فلست اليوم خاذله إن الفرار على اليوم كالسرق

وحمل على الناس فضربه رجل على ساقه فقطعها، ثم قتله، فقيل إن الذي قتله تقطع
جذاماً بالمدينة.
وقال قتادة: لما أقبل أهل مصر إلى المدينة في شأن عثمان رأى رجل في المنام كأن قائلاً يقول
له: بشر قاتل المغيرة بن الأخنس بالنار، وهو لا يعرف المغيرة، رأى ذلك ثلاث ليال، فجعل
يحدث أصحابه. فلما كان يوم الدار. خرج المغيرة فقاتل، والرجل ينظر إليه فقتل ثلاثة، فلما
قتلهم وثب إليه الرجل فحذفه، فأصاب رجله، ثم ضربه حتى قتله، ثم قال من هذا ؟
فقالوا:
المغيرة بن الأخنس، فقال:
لا أراني إلا صاحب الرؤيا المبشر بالنار، فلم يزل بشر حال حتى هلك.

وخرج الحسن بن علي وهو يقول:
لأدينهم ديني ولا أنا منهم حتى يسير إلى طمار شمام
وخرج محمد بن طلحة وهو يقول:
أنا ابن من حامي عليه بأحد ورد أحزاباً على رغم معد
وخرج سعيد بن العاص وهو يقول:
صبرنا غداة الدار والموت واقف بأسيافنا دون ابن أروى نضارب
وكنا غداة الروع في الدار نصرة نشافههم بالضرب والموت ثاقب
وكان آخر من خرج عبد الله بن الزبير، وأقبل أبو هريرة والناس محجمون، فقال: هذا يوم
طاب فيه الضرب، ونادى: " ياقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار"
وجاء عبد الله بن سلام ينهاهم عن قتله، فقال:
يا قوم، لا تسلوا سيف الله فيكم، فوالله إن سللتموه لا تغمدوه، ويلكم! إن سلطانكم
اليوم يقوم بالدرة، فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف، ويلكم! مدينتكم محفوفة بالملائكة، فإن
قتلتموه ليتركنها.
فقالوا:
يابن اليهودية، ماأنت وهذا! فرجع عنهم.
قال: ثم اقتحموا على عثمان داره من دار عمرو بن حازم حتى ملئوها ولم يشعر من
بالباب منهم، ففي ذلك يقول الأحوص يهجو آل حزم
لا ترثين لحزمي رأيت به ضراً ولو طرح الحزمي في النار
الباخسين لمروان بذي خشب والمدخلين على عثمان في الدار
قال: ولما صاروا في الدار ندبوا رجلاً ليقتله، فدخل عليه فقال: اخلعها ونتركك. قال:
لست خالعاً قميصك كساينة الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة، ويهين أهل الشقاوة،
فخرج عنه، فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث، فقال: لست بصارحبي لأن النبي صلى الله
عليه وسلم دعا لك أن تحفظ يوم كذا وكذا،
ولن تضيع، فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: إن النبي صلى
الله عليه وسلم استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تقارب دما حراماً، فرجع وفارق أصحابه.
ودخل عليه جماعة كلهم يرجع، آخرهم محمد بن أبي بكر، فلما خرج ثار قتيرة وسودان
بن حمران والغافقي، فضربه الغافقي بحديدة، وضرب المصحف برجله: فدار المصحف،

واستقر بين يديه، وجاء سودان ليضربه فأكبت عليه نائلة بنت الفرافصة، واتقت السيف
بيدها فقطع أصابعها وشيئاً من الكف، ونصف الإبهام فولت، فغمز أوراكها، وقال: إنها
لكبيرة العجز، وضرب عثمان فقتله.
وقيل: إن الذي قتله كنانة بن بشر التجيبي، وكان عثمان قد رأى النبي صلى الله عليه
وسلم في تلك الليلة وهو يقول له: إنك تفطر الليلة عندنا.
ولما قتل قطر من دمه على المصحف على قوله تعالى: " فسيكفيكم الله"
قال: ودخل غلمة لعثمان من القوم لينصروه، فقال عثمان: من كف يده فهو حر، فلما ضربه
سودان ضرب بعض الغلمان رقبة سودان فقتله، ووثب قتيرة على الغلام فقتله، وانتهبوا ما
في البيت، وخرجوا، وأغلقوا الباب على ثلاثة قتلى.
فلما خرجوا وثب غلام لعثمان على قتيره فقتله، وثار القوم فأخذوا ما وجدوا حتى
أخذوا ما على النساء، وأخذ كلثوم التجيبي ملاءة كانت على نائلة فضربه غلام لعثمان
فقتله، وانتهب القوم بيت لمال.
قال: ووثب عمرو بن الحمق على صدر عثمان وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، واراد قطع
رأسه، فوقعت نائلة وأم البنين عليه فصحن وضربن الوجوه، فقال ابن عديس اتركوه وأقبل
عمير بن ضابئ البرجمي فوثب على عثمان، فكسر ضلعاً من أضلاعه، وقال له: سجنت
أبي حتى مات في السجن.
وكان قتله يوم الجمعة لثماني عشرة، أو سبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس
وثلاثين.
ذكره المدائني عن أبي معشر عن نافع، وعن أبي عثمان النهدي؛ إنه قتل وسط أيام
التشريق.
وقال بن إسحاق: قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة، وأحد عشر شهراً، واثنتين
وعشرين يوماً من مقتل عمر بن الخطابن وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم.
وقال الواقدي رحمه الله: قتل يوم الجمعه لثمان ليال خلت من ذي الحجة يوم الترويه.
وقد قيل:إنه قتل يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة.
روى هذه الأقوال كلها أبو عمر بن عبد البر.

واختلف في مدة الحصار:
فقال الواقدي: حاصروه تسعة وأربعين يوماً. وقال الزبير بن بكار: حاصروه شهرين
وعشرين يوماً؛ وقيل غير ذلك.
وقد تقدم أنه رضي الله عنه صلى بالناس بعد ان نزلوا به ثلاثين يوماً، ثم منعوه الصلاة،
وصلى بالناس أميرهم الغافقي.
وقد قيل: إنه منع عثمان الصلاة جاء سعد القرظ وهو المؤذن إلى علي بن أبي طالب،
فقال: من يصلي بالناس؟ فقام:خالد بن زيد، وهو أبو أيوب الأنصاري، فصلى أياماً ثم
صلى بعد ذلك بالناس.
وقيل: بل أمر علي سهل بن حنيف فصلى بالناس من أول ذي الحجة إلى يوم العيد، ثم
صلى علي بالناس العيد، وصلى بهم حتى قتل عثمان. والله أعلم.
حكى أبو عمر بن عبد البر في مقتل عثمان. قال: كان أول من دخل عليه محمد بن أبي
بكر، فأخذ بلحيته فقال: دعها يابن أخي، فوالله لقد كان أبوك يكرمها، فاستحيا وخرج،
ثم دخل عليه رومان بن سرحان، رجل أزرق قصير مجدور، عداده في مراد، وهو من ذي
أصبح، معه خنجر، فاستقبله به، وقال: على أي دين أنت يا نعثل؟ فقال:
لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان، وأن على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما أنا من
المشركين.
قال: كذبت، وضربه على صدغه فقتله، فخر، فأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها،
وكانت امرأة جسيمة.
ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا فقال:
والله لأقطعن أنفك، فعالج المرآة فكشفت عن ذراعيها، وقبضت على السيف فقطع
إبهامها، فقالت لغلام لعثمان يقال له رباح، ومعه سيف عثمانك أعني على هذا، وأخرجه،
فضربه الغلام بالسيف فقتله.
قال: وأقام عثمان يومه ذلك مطروحاً إلى الليل، فحمله رجال على باب ليدفنوه، فعرض
لهم ناس ليمنعوهم من دفنه، فوجدوا قبر قد حفر لغيره فدفنوه فيه، وصلى عليه جبير بن
مطعم.

وقال محمد بن طلحة: حدثني كنانة مولى صفية بنت حيى بن أخطب، فقال: شهدت
مقتل عثمان، فخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش مضرجين بالدم، محمولين، كانوا
يذودون عثمان وهم الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بن
الحكم.
قال محمد بن طلحة: فقلت له: هل ندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ
الله، دخل عليه فقال له عثمان يابن أخي لست بصاحبي وكلمة كلاماً فخرج، ولم يند بشيء
من دمه.
قال: فقلت لكنانة: من قتله؟ قال: رجل من أهل مصر، يقال له: جبلة بن الأيهم، ثم طاف
بالمدينة ثلاثاً يقول:
أنا قاتل نعثل.
وروى أبو عمر أيضا بسنده إلى مالك بن أنس، قال: لما قتل عثمان ألقى على المزبلة ثلاثة
أيام، فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً، منهم حويطب بن عبد العزي وحكيم بن
حزام، وعبد الله بن الزبير، وجدى بن مالك بن أبي عامر، فاحتملوه، فلما صاروا به إلى
المقبرة ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن: والله لئن دفنتموه هاهنا، لنخبرن الناس غداً،
فاحتملوه، وكان على باب، وإن راسه كان على الباب يقول: طق طق حتى صاروا به إلى
حش كوكب فاحتفروا له،
وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق، فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت، فقال لها
بن الزبير والله لئن لم تسكتي لأضربن الذي في عيناك، فسكتت، فدفن.
قال مالك: وكان عثمان يمر بحش كوكب فيقول: إنه سيدفن هاهنا رجل صالح.
وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أرادوا أن يصلوا على عثمان رضي الله عنه فمنعوه،
فقال أبو جهم بن حذيفة: دعوه، فقد صلى عليه الله ورسوله.
وقد قيل: إن علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك،
وعامر بن نمير من أصحابه شهد واجنازته.
وقيل: إنه كفن في ثيابه ولم يغسل.
واختلف في سنة يوم قتل.

فقال ابن إسحاق: قتل وهو ابن ثمانين سنة. وقال غيره: قتل وهو بن ثمان وثمانين،
وقيل: تسعين.
وقال قتادة: قتل وهو بن ست وثمانين سنة.
وقال الواقدي لا خلاف عندنا أنه قتل، وهو بن اثنتين وثمانين سنة، وهو قول أبي اليقظان.
ودفن ليلاً بموضع يقال له: حش كوكب، وكوكب رجل من الأنصار (الحش: البستان)،
وكان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع، وهو أول من قبر فيه.
قال: وقد قيل:
إنه صلى عليه عمرو بن عثمان ابنه، وقيل:
بل صلى عليه حكيم بن حزام، وقال: بل صلى عليه المسور بن مخرمة. وقيل: بل جبير
بن مطعم. وقيل: بل مروان بن الحكم، وقيل: كانوا خمسة أوستة وهم: جبير بن مطعم،
وحكيم بن حزام، وأبو جهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم، وزوجتاه نائلة وأم البنين بنت
عيينة.
ونزل قبره دينار، وأبو جهم، وجبير، وكان حكيم ونائلة وأم البنين يدلونه، فلما دفنوه غيبوا
قبره.
وروى أبو الفرج الأصفهاني بسند رفعه إلى نائلة بنت الفرافصة: كتبت إلى معاوية، وبعثت
بقميص عثمان رضي الله عنه مع النعمان بن بشير وعبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة:
من نائلة بنت الفرافصة، إلى معاوية بن أبي سفيان:
أما بعد بنت الفرافصة، إلى معاوية بن أبي سفيان:
أما بعد، فإني أذكركم بالله الذي أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام وهداكم من الضلالة،
وأنقذكم من غواية الكفر، ونصركم على العدو، واسبغ عليكم النعمة، فأنشدكم الله تعالى،
وأذكركم حقه وحق خليفته أن تنصروه بعزمة الله عليكم، فإنه قال تعالى: " وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي
حتى تفئ إلى أمر الله"
وإن أمير المؤمنين بغي عليه، ولو لم يكن له عليكم حق إلا حق الولاية ثم أتى لحق على كل
مسلم يرجو أيام الله أن ينصره لقدمه في الإسلام، وحسن بلائه؛ فإنه أجاب داعي الله،
وصدق كتابه ورسوله، والله أعلم به إذا انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا، وشرف الآخرة.

وإني أقص عليكم خبره لأنى مشاهدة أمره كله حتى أفضى إليه.
إن أهل المدينة حصروه في داره يحرسونه ليلهم ونهارهم،
قياماً على أبوابه بسلاحهم
يمنعونه كل شيء قدروا عليه حتى منعوه الماء يحضرونه الأذى،
ويقولون له الإفك. فمكث
هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى
محمد بن أبي بكر وعمار بن
ياسر، وكان على مع المحرضين للمصريين في أهل المدينة،
ولم يقاتل مع أمير المؤمنين ولم ينصره،
ولم يأمر بالعدل الذي امر الله تبارك وتعالى به، فظلت تقاتل
خزاعة، وبكر، وسعد بن أبي
بكر، وهذيل وطوائف من مزينة، وجهينة، وأنباط يثرب، ولا أرى
سائرهم، ولكني قد
سميت الذين كانوا أشد الناس عليه في اول أمره وآخره ثم إنه
رمي بالنبل والحجارة، فقتل
ممن كان في الدار ثلاثة نفر، فأتوه يصرخون إليه ليأذن لهم في
القتال، فنهاهم عنه، وأمرهم أن
يردوا إليهم نبلهم فردوها إليهم، فلم يزدهم ذلك على القتال
جرأة في الأمر وإغراقاً، ثم
أحرقوا باب الدار.
فجاءه نفر من أصحابه وقالوا:
إن في المسجد ناساً يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل،
فأخرج إلى المسجد حتى يأتوك،
فانطلق، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح، فلبس
درعه، وقال لأصحابه:
لولا أنتم مالبست درعا، فوثب عليه القوم، فكلمهم الزبير، واخذ
عليهم الميثاق في
صحيفة، بعث بها إلى عثمان رضي الله عنه: إن عليكم عهد الله
وميثاقه ألا تعروه
بشيء فكلموه وتخرجوا، فوضع السلاح فلم يكن إلا وضعه حتى
دخل عليه القوم يقدمهم
بن أبي بكر؛ حتى أخذوه بلحيته ودعوه باللقب، فقال:
أنا عبد الله وخليفته، فضربوه في رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه
في صدره ثلاث طعنات،
وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت في
العظم، فسقطت عليه، وقد اثخنوه
وبه حياة، وهم يريدون قطع رأسه ليذهبوا به فأتتني بنت شيبة
بن ربيعة، فألقت بنفسها
معي عليه، فوطئنا وطئاً شديداً أو عريباً من ثيابنا، وحرمه أمير
المؤمنين أعظم، فقتلوه
رحمة الله في بيته، وعلى فراشه.

وقد أرسلت إليكم بثوبه، وعليه دمه، وإنه والله لئن كان أثم من قتله لا يسلم من خذله،
فانظروا اين أنتم من الله عز وجل، فإنا تشتكي مامسنا إليه ونستنفر وليه، وصالح عباده.
ورحمة الله على عثمان، ولعن الله من قتله، وصرعهم في الدنيا والآخرة مصارع الخزي
والمذلة، وشفى منهم الصدور.
فحلف رجال من أهل الشام ألا يطئوا النساء حتى يقتلوا قتلة عثمان، أو تذهب
ارواحهم، وكان امرهم في القتال ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، قاله بن إسحاق. وقال غيره: إلا ثمانية
أيام. وقيل:
إلا ستة عشر يوماً.
روى عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: ادعوا لي بعض أصحابي، فقلت: أبو بكر؟
قال: لا، فقلت:
عثمان؟ قال: نعم.
فلما جاء قال لي بيده فتنحيت، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يساره ولون
عثمان متغير، فلما كان يوم الدار وحصر قيل لهن الا تقاتل؟
قال: لا،
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهداً، وأنا صابر نفسي عليه.
وعن موسى بن طلحة، قال:
أتينا عائشة رضي الله عنها لنسألها عن عثمان فقالت: أجلسوا أحدثكم عما جئتم له:
إنا عتبنا على عثمان رضي الله عنه في ثلاث خلال - ولم تذكرهن - فعمدوا إليه حتى
إذا ماصوه كما يماص الثوب اقتحموا عليه الفقر الثلاثة:
حرمة البيت الحرام، والشهر الحرام، وحرمة الخلافة، ولقد قتلوه وإنه لمن أوصلهم للرحم
وأتقاهم لربه.
وعن أبي جعفر الأنصاري قال:
دخلت مع المصريين على عثمان، فلما ضربوه خرجت اشتد، حتى ملأت فروجي عدوا،
حتى دخلت المسجد؛ فإذا رجل جالس في نحو عشرة، فيه عمامة سوداء، فقال: ويحك
ماوراءك؟ قال: قلت: قد والله فرغ من الرجل، قال:
تباً لكم آخر الدهر فنظرت، فإذا هو علي رضي الله عنه.

وروى عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عثمان يخطب يقول ياأيها
الناس، ما تنتقمون علي، وما من يوم إلا وأنتم تقسمون فيه خيراً
قال الحسن: وسمعت منادياً ينادي: ياأيها الناس، اغدوا علي أعطياتكم، فيغدون
فيأخذونها وافرة، حتى والله سمعته يقول: اغدوا على كسوتكم فيأخذون الحلل، واغدوا
على السمن والعسل.
قال الحسن: أرزاق داره، وخير كثير، ما على الأرض مؤمن يخاف مؤمناً إلا يوده وينصره،
فلو صبر الأنصار على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والأرزاق، ولكن لم يصبروا،
وسلوا السيف مع من سل، فصار عن الكفار مغمداً، وعلى المسلمين مسلولاً إلى يوم
القيامة.
وعن محمد بن سيرين، قال: كثر المال في زمن عثمان حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس
بمائة ألف درهم، ونخلة بألف درهم.
وقد ذكر بعض من ارخ أسباباً كثيرة، جعلها من أقدم على قتل عثمان ذريعة له، وتمسك
بها، أغضينا عن ذكرها، وهو رضي الله عنه مبراً من كل سوء ونقص، فلنذكر خلاف
ذلك.
أزواجه وأولاده
تزوج رضي الله عنه رقية، وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولدت له
رقية عبد الله، وتزوج فاخته بنت غزوان، فولدت له رقية عبد الله الأصغر، وتزوج أم
عمرو بنت جندب الدوسية، فولدت له عمراً، وخالداً، وأبانا، وعمر، ومريم، وتزوج فاطمة
بنت الوليد بن المغيرة المخزومية، ولدت له الوليد، وسعيداً، وأم سعيد، وتزوج ام البنين
بنت عيينة بن حصن الفزارية، فولدت له عبد الملك، هل. وتزوج رملة بنت شيبة بن
ربيعة،
ولدت له عائشة وأم أبان، وأم عمرو، وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية.
وقد روى أبو الفرج الأصفهاني في سبب زواج عثمان نائلة سنداً رفعة إلى خالد بن
سعيد، عن أبيه، قال: تزوج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هنداً بنت الفرافصة بن

الأحوص بن عمرو بن ثعلبة، فبلغ ذلك عثمان، فكتب إليه: قد بلغني أنك تزوجت امرأة،
فاكتب إلى نسبها وجمالها، فكتب إليه: أما بعد، فإن نسبتها أنها بنت الفرافصة بن
الأحوص، وجمالها، فكتب إليه: أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفرافصة بن الأحوص،
وجمالها أنها بيضاء مديدة.
فكتب إليه: إن كان لها أخت فزوجنيها، فكتب سعيد، وبعث إلى الفرافصة يخطب
إحدى بناته على عثمان رضي الله عنه، فأمر الفرافصة ابنه ضبا فزوجها إياه، وكان
ضب مسلما، والفرفصة نصرانياً، فلما أرادوا حملها، قال لها أبوها: يابني إنك تقدمين على
نساء من نساء قريش، هن أقدر على الطيب منك، فاحفظي عني خصلتين:
تكحلي وتطيبي بالماء حتى تكون ريحك ريح من أصابه مطر.
فلما قدمت على عثمان قعد على سريره، ووضع لها سريراً حياله، فجلست عليه، فوضع
عثمان قلنسيته فبدأ الصلع، فقال: يا بنت الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعي، فإن
وراءه ما تحبين، وقال:
إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك.
فقالت: أما ذكرت من الصلع فإني من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصلع، وأما قولك:
إما أن تقومي إلي، وإما أن أقوم إليك، فوالله ما تجشمت من جنبات السماوة أبعد مما بيني
وبينك، بل أقوم إليك: فقامت فجلست إلى جنبه، فمسح راسها ودعا لها بالبركة، ثم قال
لها: اطرحي عنك رداءك، فطرحته، ثم قال لها: خمارك، فطرحته، ثم قال لها: انزعي
درعك. فنزعته، ثم قال لها: حلي إزارك.
فقالت: ذا إليك، فحل إزارها، وكانت من أحظى النساء عنده.
ولدت مريم. وقيل:
ولدت له أم البنين بنت عيينة عبد الملك، وعثمة وولدت له نائلة عنبسة، وكان له منها
أيضاً ابنة تدعى أم المؤمنين وأم البنين، كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.
وقتل عثمان وعنده رملة بنت شيبة، ونائلة أم البنين، وفاخته، غير أنه طلق أم البنين، وهو
محصور.
فهؤلاء أزواجه في الجاهلية والإسلام، وأولاده رضي الله عنه.
كتابه وقضاته

وحجابه وأصحاب شرطته.
كاتبه مروان بن الحكم، وقاضيه كعب بن سور، وحاجبه عمران، مولاه، وصاحب
شرطته عبد الله بن قيفذ التميمي، وهو أول من اتخذ صاحب شرطة، وكان على الديوان
وبيت المال زيد بن ثابت.
والله تعالى أعلم بالصواب، وهو حسبي ونعم الوكيل.
عماله
على الأمصار في سنة مقتله.
كان عماله في هذه السنة على مكة عبد الله بن الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن
ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية، وعلى الجند عبد الله بن ربيعة، وعلى البصرة
عبد الله بن عامر، وكان قد خرج منها ولم يول عثمان عليها أحداً، وعلى الكوفة أبو
موسى الأشعري، وعلى الصلاة، وعلى خراج السواد جابر بن فلان المزني وسماك
الأنصاري، وعلى حربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسيا جرير بن عبد الله، وعلى
أذربيجان الأشعث بن قيس الكندي، على النسير وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وعلى
حال مائل بن حبيب وعلى همذان النسير، وعلى الري وأصفهان السائب بن الأقرع، وعلى
ماسبذان حبيش، وعلى بيت المال عقبة بن عمرو، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان.
ولمعاوية عمال وهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على حمص، وحبيب بن مسلمة
الفهري على قنسرين، وأبو الأعور السلمي على الأردن، وعلقمة بن حكيم على فلسطين
وعبد الله بن قيس الفزاري على البحر، وكان عامل عثمان على مصر عبد الله بن سعد
بن أبس سرح، ثم سار إلى عثمان في رجب سنة خمس وثلاثين، واستخلف عنه بمصر
عقبة بن عامر، فقام محمد بن أبي حذيفة في شوال، وأخرج عقبة، وتأمر بمصر، وعاد عبد
الله بن سعد فلم يمكنه، فتوجه إلى عسقلان، ومات بها.
وكان القاضي بمصر عمار بن قيس بن أبي العاص، ثم مات بعد مقتل عثمان فلم يكن
بمصر قاض إلى أيام معاوية أبي سفيان رضي الله تعالى عنهم.
والله تعالى أعلم، وهو
حسبي ونعم الوكيل.
مما رثى به من الشعر

ولما قتل رضي الله عنه رثاه جماعة، منهم:
حسان بن ثابت وغيره فكان مماقال حسان بن ثابت:
إن تمس دار ابن أروى اليوم خالية باب صريع وباب مخرق خرب
فقد يصادف باغي الخير حاجته فيها ويأوي إليها الجود والحسب
وقال أيضاً ممارثاه به في أبيات أخرى:
من سره الموت صرفاً لا مزاج له فيليأت مأدبة في دار عثمانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا
صبراً فدى لكم أمي وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروه أحيانا.
لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر واثارات عثماناً
وقد قيل: إن البيت الثاني من هذه الأبياتن "ضحوا بأشمط" وليس له، وقال بعضهم: و لعمران بن حطان
وقال أبو عمر: وقد زاد أهل الشام فيها أبياتاً لم أر لذكرها وجها
وقال أبن الأثير يعني ما فيها من ذكر على رضي الله عنه، وهو:
ياليت شعري وليت الطيرتخبرني ماكان شأن على وابن عفاناً
وقال أيضاً:
قتلتم ولي الله في جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتد
فلا ظفرت أيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد
وقال كعب بن مالك:
ياللرجال لأمر هاج لي حزناً لقد عجبت لمن يبكي على الدمن
إني رأيت قتيل الله مضطهداً عثمان يهدي إلى الأجداث في كفن
ياقاتل الله قوماً كان أمرهم قتل الإمام الذكي الطيب الردن
لم يقتلوه على ذنب ألم به إلا الذي نطقوا زوراً ولم يكن
وقال أيضاً ونسبت لحسان وقيل: للوليد بن عقبة، والله تعالى أعلم:
وكف يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن ذنب أمري لم يقاتل
فكيف رأيت الله ألقى عليهم ال عداوة و البغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده عن الناس إدبار السحاب الحوافل
وقال حميد بن ثور الهلالي:
إن الخلافة لما ظعنت من أهل يثرب إذغير الهدى سلكوا

صارت إلى أهلها منهم ووارئها لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا
وقال قاسم بن أمية بن أبي الصلت:
لعمري لبئس الذبح ضحيتم به وخنتم رسول الله في مقتل صاحبه
وقالت زينب بنت الزبير بن العوام:
أعطشتم عثمان في جوف داره شربتم كشرب الهيم شرب حميم
وكيف بنا أم كيف بالنوم بعدما أصيب بن أروى وابن أم حكيم
وقالت ليلى الأخيلية:
قتل ابن عفان الإما م وضاع أمر المسلمينا
وتشتت سبل الرشا د لصادرين وواردينا
فانهض معاوي نهضة تشفى بها الداء الدفينا
أنت الذي من بعده تدعى أمير المؤمنينا
وقال أيمن بن خريم:
ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى فأي ذبح حرام ويلهم ذبحوا
وأي سنة كفر سن أولهم وباب شر على سلطانهم فتحوا
ما أرادوا أضل الله سعيهم بسفك ذاك الدم الذاكي الذي سفحوا
ورثاه غيرهم ممن لو ذكرنا شعرهم لانبسط به الخبر.
خلافة علي بن أبي طالب
رضي الله عنه
هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أمه فاطمة بنت أسد بن
هاشم، أسلمت، وهاجرت، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، وهو أول خليفة أبواه
هاشميان، ثم ابنه الحسن، ثم محمد الأمين، رضي الله عنهم.
صفته
رضي الله تعالى عنه
قال ابن الأثير الجزري في تاريخه: كان - رضي الله عنه - شديد الأدمة، قصير القامة،
كبير البطن، أصلع الرأس، عريض اللحية.
وقال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: أحسن ما رأيت في صفته رضي الله تعالى عنه
-أنه حسناً، ضخم البطن عريض المنكبين، شثن الكفين، أغيد، كأن عنقه إبريق فضة،
أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبيه مشاشٌ كمشاش السبع
الضاري، لا يبين عضده من ساعده، قد ادمجت ادماجاً إذا مشى تكفأ، وإن أمسك بذراع

رجل أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد،
إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان قوي شجاع، منصور على من لاقاه، رضي الله
عنه.
نبذة من فضائله
رضي الله عنه
هو -رضي الله عنه- أول من أسلم، عند بعضهم، على ما في ذلك من الاختلاف فيه
وفي أبي بكر، رضي الله عنهما، وأيهما سبق إلى الإسلام...
وقد ذكرنا ذلك كله في ابتداء السيرة النبوية، في السفر الرابع عشر من هذه النسخة، فلا
فائدة في إعادته، فلنذكر من فضائله خلاف ذلك:
أجمعوا على أنه -رضي الله عنه- صلى إلى القبلتين، وهاجر وشهد جميع المشاهد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا غزوة تبوك، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام
خلفه بالمدينة على عياله، وقال له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.
رواه جماعة من الصحابة.
وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آخى بين المهاجرين، ثم آخى بين المهاجرين
والأنصار، قال في كل واحدٍ منهما لعلي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" ، وآخى بينه وبين
نفسه.
ولذلك قال علي لأصحاب الشورى: أنشدكم الله، هل فيكم أحدٌ آخى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينه وبينه -إذ آخى بين المسلمين- غيري؟
قالوا: اللهم لا وربنا.
وكان يقول أنا عبد الله وأخو رسول الله، لا يقولها أحدٌ غيري إلا كذاب.
وروى بريدة وأبو هريرة وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم، كل منهم، عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم غدير خم: "من كنت مولاه فعلي مولاه" وفي رواية بعضهم
"اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه" .
وقد ذكرنا في غزوة خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لأعطين الراية غداً
رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ليس بفرار، يفتح الله على يديه" وأنه أعطى
الراية لعلي، ففتح الله على يديه.

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وهو شاب، ليقضي بينهم، فقال: يا
رسول الله إني لا أدري ما القضاء؟ فضرب رسول الله عليه الصلاة والسلام صدره بيده
وقال: "اللهم اهد قلبه وسدد لسانه" قال علي فوالله ما شككت بعدها في قضاءٍ بين
اثنين.
ولما نزل قوله تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا وحسنا وحسينا في بيت أم سلمة وقال:
اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.
قال أبو عمر: وروت طائفةٌ من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: "لا
يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.
وقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام: "يهلك فيك رجلان: محبٌ مطر، وكذاب مفترٍ"
وقال له: "تفترق فيك أمتي كما افترقت بنو إسرائيل في عيسى" .
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم
فليأته من بابه" .
وقال في أصحابه: "أقضاهم علي"
وقال عمر رضي الله عنه: "عليٌ أقضانا" .
وكان عمر يتعوذ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو حسن! وقال علي في التي وضعت لستة
أشهرٍ، فأراد عمر رجمها: إن الله تبارك وتعالى يقول: "وحمله وفصاله ثلاثون شهراً" ويقول :
"وفصاله في عامين" .
وكان -رضي الله عنه- أعلم الناس بالفرائض، وله في ذلك أخبار.
منها ما رواه أبو عمر ابن عبد البر بسنده عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغذيان،
مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مر بهما
رجل، فسلم، فقالا له: اجلس للغداء.
فجلس وأكل معهما، واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية
دراهم، وقال خذا هذه عوضاً مما أكلت لكما ونلته من طعامكما. فتنازعا، وقال صاحب
الخمسة أرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاثة.

فقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين.
فارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقصا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة
الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة.
فقال: لا والله لا رضيت منه إلا بمر الحق.
فقال علي: ليس لك في مر الحق إلا درهمٌ واحد وله سبعة.
فقال الرجل: "سبحان الله يا أمير المؤمنين! هو يعرض علي ثلاثة فلم أرض وأشرت علي
بأخذها فلم أرض، وتقول لي الآن: إنه لا يجب لك إلا درهمٌ واحد!" فقال له علي: "عرض
عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً، فقلت: لا أرضى إلا بمر الحق، ولا يجب لك في مر
الحق إلا واحد." فقال: "أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة
أنفس، ولا نعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل، فتحملون في أكلكم على السواء." قال: بلى.
قال: فأكلت أنت الثمانية أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث، وله
خمسة عشر ثلثا، أكل منها ثمانية وتبقى له سبعة، وأكل لك واحداً من تسعة، فلك واحدٌ
بواحدك، وله سبعة بسبعته.
فقال له الرجل: رضيت الآن! .
وأتته امرأةٌ وهو على المنبر فقالت: ترك أخي ستمائة دينار وأعطيت ديناراً! وتظلمت من
ذلك فقال: لعل أخاك ترك زوجةً وأماً وبنتين واثني عشر أخاً وأنت.
قالت: نعم. فقال: قد استوفيت حقك.
وهذه المسألة مشهورة مسطورة في كتب الفقه، وتسمى " الدينارية" و"المنبرية".
وهو -رضي الله عنه ممن جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، هو وعثمان
بن عفان وعبد الله بن مسعود وسالمٌ مولى أبي حذيفة بن عتبة بي ربيعة.
وعن محمد بن سيرين قال: لما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أبطأ علي عن بيعته
وجلس في بيته، فبعث إليه أبو بكر: ما بطأ بك عني؟ أكرهت إمارتي؟ فقال؛: ما كرهت
إمارتك، ولكني أليت أن لا أرتدي ردائي -إلا إلى صلاة- حتى أجمع القرآن! :قال ابن

سيرين: فبلغني أنه كتبه على تنزيله، ولو وجد ذلك الكتاب لوجد فيع علم كثير.
وفي علي -رضي الله عنه- يقول إسماعيل بن محمد الحميري من أبيات:
سائل قريشاً بها إن كنت ذا عمهٍ: من كان أثبتها في الدّين أوتادا؟
من كان أقدمها سلماً وأكثرها علما وأطهرها أهلاً وأولادا؟
من وحّد الله إذ كانت مكذّبةً تدعو مع الله أوثاناً وأندادا؟
من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا عنها وإن بخلوا في أزمةٍ جادا؟
من كان أعدلها حكماً وأبسطها علماً وأصدقها وعداً وإيعاداً؟
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسنٍ إن أنت لم تلق للأبرار حسّادا!
إن أنت لم تلق أقواماً ذوي صلفٍ ذوي عنادٍ لحقّ الله جحّادا!
وفضائله -رضي الله عنه- ومآثره كثيرة، وفيما أوردناه منها وما نورده بعد -إن شاء
الله- كفايةٌ عن بسط... فلنذكر بيعته رضي الله عنه.
بيعة علي
رضي الله تعالى عنه
بويع له -رضي الله عنه- بالخلافة يوم قتل عثمان وقيل: بل بويع له يوم الجمعة لخمسٍ بقين
من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وقد اختلف في كيفية بيعته:
فقيل: إنه لما قتل عثمان -رضي الله عنه- اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم، من المهاجرين والأنصار، فأتوا علياً، وقالوا له: إنه لا بد للناس من إمام، فقال: لا
حاجة لي في أمركم، من اخترتم رضيته.
قالوا: لا نختار غيرك.
قال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.
فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.
قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفيا، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين.
وكان في بيته، وقيل: في حائط لبني عمرو بن مبذول، فخرج إلى المسجد يتوكأ على قوس،
فبايعه الناس.
وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب، فقال: "إنّا لله! أول
من بدأ البيعة يدٌ شلاء! لا يتم هذا الأمر" .
وبايعه الزبير، فقال لهما: إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما.
فقالا: بل نبايعك. وقالا بعد ذلك: إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا، وعرفنا أنه لا

يبايعنا.
وبايعه الناس، وجاؤوا، بسعد بن أبي وقاص، فقال له علي: بايع.
فقال: "لا، حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني باسٌ" قال: خلوا سبيله.
وجاؤوا بابن عمر، فقال مثل قوله، فقال: ائتني بكفيل، فقال: لا أرى كفيلاً.
قال الأشتر: دعني أضرب عنقه! قال علي: "دعوه أنا كفيله، -إنك- ما علمت- سيء
الخلق صغيراً أو كبيراً!" .
وبايعه الأنصار إلا نفراً يسيراً، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد،
وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت ورافع بن خديج،
وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، كانوا عثمانية.
ولم يبايع أيضاً عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وسلمة ابن سلامة بن وقشٍ،
وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة ابن شعبة.
وأخذ النعمان بن بشير قميص عثمان الذي قتل فيه وأصابع امرأته نائلة، وسار بهم إلى
الشام.
وقيل في بيعته: إن عثمان لما قتل بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب، وهم
يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، فأتى المصريون علياً فباعدهم، وأتى
الكوفيون الزبير فباعدهم، وأتى البصريون طلحة فباعدهم؛ وكانوا مجتمعين على قتل عثمان
مختلفين فيمن يلي الخلافة، فأرسلوا إلى سعد يطلبونه فقال: إني وابن عمر لا حاجة لنا فيها،
وأتوا ابن عمر فلم يجبهم، فبقوا حيارى، وقال بعضهم لبعضٍ: لئن رجع الناس إلى
أمصارهم بغير إمام لم نأمن الاختلاف وفساد الأمة، فجمعوا أهل المدينة وقالوا لهم: يا أهل
المدينة، أنتم أهل الشورى، وأنتم تعقدون الإمامة، وحكمكم جائزٌ على الأمة، فانظروا
رجلاً تنصبونه، ونحن لكم تبع، وقد أجلناكم يومكم، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن علياً
وطلحة والزبير وأناساً كثيراً.
فغشي الناس علياً، فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من بين القرى!
فقال علي: "دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوهٌ وله ألوانٌ، لا تقوم به

القلوب، ولا تثبت عليه العقول" فقالوا: "نشهدك الله! ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى
الإسلام ألا ترى الفتنة؟ ألا تخاف الله؟ " قال: "قد أجبتكم، واعلموا أني إن أجبتكم
ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أني من أسمعكم وأطوعكم لمن
وليتموه" ... ثم افترقوا على ذلك، واتعدوا الغد.
وتشاور الناس فيما بينهم، وقالوا إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت، فبعث البصريون
إلى الزبير حكيم بن جبلة، ومعه نفر فجاؤوا به يحدوه بالسيف، فبايع.
وبعثوا إلى طلحة الأشتر في نفر، فأتاه فقال: دعني أنظر ما يصنع الناس.
فلم يدعه، فجاء به يتله تلاً عنيفاً فبايع... فكان الزبير يقول: جاءني لصٌ من لصوص
عبد القيس فبايعت والسيف على عنقي!
وأهل مصر فرحون لما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة والبصرة أن
صاروا تبعاً لأهل مصر، وازدادوا بذلك على طلحة والزبير غيظاً.
قال:ولما أصبحوا يوم البيعة-وهو يوم الجمعة- حضر الناس المسجد، وجاء عليٌ رضي
الله عنه، فصعد المنبر وقال: "أيها الناس عن ملاءٍ وإذن إن هذا أمركم، ليس لأحد فيه
حقٌ إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، وكنت كارهاً لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون
عليكم، ألا وإنه ليس لي دونكم إلا مفاتيح ما لكم معي وليس لي أن آخذ درهما دونكم،
فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أحد على أحد." فقالوا: نحن على ما فارقناك عليه
بالأمس. فقال: اللهم اشهد.
قال: ولما جاءوا بطلحة ليبايع قال:إنما أبايع كرها. فبايع..
ثم جيء بالزبير، فقال مثل ذلك وبايع، وفي الزبير اختلاف..
ثم جيء بعده بقوم كانوا قد تخلفوا، فقالوا: نبايع على إقامة كتاب الله في القريب والبعيد
والعزيز والذليل.
فبايعهم...ثم قام العامة فبايعوا.. وتفرقوا إلى منازلهم.
ورجع على بيته، فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة، فقالوا:" يا عليٌ، إنا قد
اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل." فقال " يا إخوتاه،
إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ هاهم هؤلاء قد

ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون
موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ " قالوا: لا.
قال:" فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه أبداً إلا أن يشاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن
لهؤلاء القوم مادة.
إن الناس من هذا الأمر-إن حرك- على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون،
وفرقةٌ لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس، وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق.
فاهدءوا عني، وانظروا ماذا يإتيكم، ثم عودوا".
واشتد على قريش، وحال بينهم وبين الخروج وتركها على حالها، وإنما هيجه على ذلك
هرب بنى أمية وتفرق القوم.
وحكى أبو عمر ابن عبد البر قال: لما بايع الناس علي بن أبي طالب دخل عليه المغيرة بن
شعبة، فقال له: " يا أمير المؤمنين، إن لك عندي نصيحةٌ" قال: وما هي؟ قال: إن أردت
أن يستقيم لك الأمر فاستعمل طلحة على الكوفة، والزبير على البصرة، وابعث إلى معاوية
بعهده على الشام حتى تلزمه طاعتك، فإذا استقرت لك الخلافة فادرأهم كيف شئت
برأيك" فقال علي: "أما طلحة والزبير فسأرى رأيي فيهما، وأما معاوية فلا يراني الله
مستعملاً له ولا مستعيناً به مادام على حاله، ولكني أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه
الناس، فإن أبى حاكمته إلى الله تعالى". فانصرف عنه المغيرة مغضباً لما لم يقبل منه
نصيحته.. فلما كان الغد أتاه فقال: " يا أمير المؤمنين، نظرت فيما قلت بالأمس وما
جاوبتني به، فرأيت أنك قد وفقت للخير وطلبت الحق". ثم خرج عنه، فلقيه الحسن وهو
خارجٌ، فقال لأبيه: ما قال هذا الأعور؟ يعني المغيرة، وكان المغيرة قد أصيبت عينه يوم
اليرموك قال: أتاني أمس بكذا وأتاني اليوم بكذا.
قال: نصحك والله أمس وخدعك اليوم. فقال له علي: إن أقررت معاوية على ما في يده
كنت متخذ المضلين عضدا.
وقال المغيرة في ذلك:

نصحت عليا في ابن هند نصيحةً فردّ فلا يسمع الدهر لها ثانيه
وقلت له: أرسل إليك بعهده على الشام حتى يستقرّ معاويه

ويعلم أهل الشام أن قد ملكته فأمّ ابن هندٍ بعد ذلك هاويه
وتحكم فيه ما تريد فإنّه لداهيةٌ -فارفق به- وابن داهيه
فلم يقبل النّصح الذي جئته به وكانت له تلك النصيحة كافيه
وروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- نحوه، إلا أنه قال "أتيت عليا بعد قتل عثمان،
عند عودي من مكة، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليا به، فخرج من عنده، فقلت له:
ما قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرته هذه "إن لك حق الطاعة والنصيحة، وأنت بقية
الناس، وإن الرأي اليوم يحرز به ما في غدٍ، وإن الضياع اليوم يضيع به ما في غدٍ، أقرر
معاوية وابن عامرٍ وعما لعثمان على أعمالهم، حتى تأتيك بيعتهم ويسكن النّاس ثم اعزل
من شئت" فأبيت عليه ذلك، وقلت: لا أداهن في ديني ولا أعطى الدينة في أمري.
قال "فإن كنت أبيت علي فاعزل من شئت واترك معاوية، فإن في معاوية جرأةً، وهو في
أهل الشام يستمع منه، ولك حجةٌ في إثباته، فإن عمر بن الخطاب كان قد ولاه الشام"
فقلت؛ لا والله لا أستعمل معاوية يومين.
ثم انصرف من عندي وأنا أعرف أنه يرى أني مخطئ، ثم عاد إلى الآن فقال: "إني أشرت
عليك أول مرة بالذي أشرت، وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت،
فتعزلهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله ، وهم أهون شوكةً مما كان"..
قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الثانية فقد غشك.
قال: ولم نصحني؟ قلت: لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالوا من ولي هذا
الأمر، ومتى تعزلهم يقولوا "أخذ هذا الأمر بغير شورى، وهو قتل صاحبنا" ويؤلبوا عليك،
فينتقص عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك وأنا
أشير عليك أن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله.
قال علي: والله لا أعطيه إلا السيف! ثم تمثل:
وما ميتةٌ إن متها غير عاجز بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها
فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت رجل شجاع، لست صاحب رأيٍ في الحرب، أما سمعت
رسول الله صلى الله عليه ويلم يقول: "الحرب خدعة" ؟ فقال: بلى. فقلت: أم والله لئن

أطعتني

لأصدرنهم بعد ورود، ولأنظرنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، في غير
نقصان عليك ولا إثمٍ لك.
فقال: يا ابن عباس، لست من هنياتك ولا من هنيات معاوية في شيء، فقلت له: أطعني،
والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولةً وتضطرب ولا تجد غيرك،
فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا!..
فأبى علي، وقال: تشير علي وأرى فإذا عصيتك فأطعني قال: فقلت "أفعل، إن أيسر مالك
عندى الطاعة" .
فقال له علي: تسير إلى الشام فقد وليتكها.
فقال ابن عباس: "ما هذا برأي، معاوية رجلٌ من بني أمية، وهو ابن عم عثمان، وعامله،
ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان، وإن أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي
لقرابتي منك. وإن كل ما حمل علي حمل عليك، ولكن اكتب إلى معاوية فمنه وعده" .
فقال: لا والله لا كان هذا أبدا! وخرج المغيرة فلحق بمكة.
تفريق عماله وخلاف معاوية
رضي الله عنهما
وفي سنة ست وثلاثين فرق علي -رضي الله عنه- عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن
حنيف على البصرة، وعمارة بن شهاب على الكوفة، وعبيد الله بن عباس على اليمن،
وقيس بن علي مصر، وسهل بن حنيف على الشام.
فأما سهلٌ فإنه خرج، حتى إذا كان بتبوك لقيته خيلٌ فقالوا: من أنت؟ قال: أميرُ.
قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام. قالوا: إن كان عثمان بعثك فحي هلا بك، وإن
كان بعثك غيره فارجع. قال: أو ما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى... فرجع إلى علي.
وأما عمارة فلما بلغ زبالة لقيه طليحة بن خويلد، وكان قد خرج يطلب بثأر عثمان، فقال
له: ارجع فإن القوم لا يريدون بأميرهم بدلاً، فإن أبيت ضربت عنقك... فرجع إلى علي.
وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: قيس بن

سعد. قالوا امض. فمضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقاً: فرقةٌ دخلت في
الجماعة فكانوا معه، وفرقةٌ اعتزلت بخرنبا، وقالوا: " إن قتل قتله عثمان فنحن معكم، وإلا
فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا"، وفرقةٌ قالت نحن مع علي ما لم يقد
من إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة... فكتب قيس إلى علي بذلك.
وأما عثمان بن حنيف فسار حتى دخل البصرة، ولم يرده أحد ولا وجد لابن عامر في
ذلك رأيا ولا استقلالاً بحرب، وافترق الناس بها: ففرقة دخلت في الجماعة، وفرقةٌ اتبعت
القوم، وقالت فرقة "ننظر ما يقول أهل المدينة فنصنع ما صنعوا ".
وأما عبيد الله بن عباس فانطلق إلى اليمن، فخرج يعلى بن منية بعد أن جمع المال -ولحق
بمكة، وأنفق المال في حرب الجمل.
قال: ولما رجع سهل بن حنيف دعا عليٌ طلحة والزبير فقال "إن الأمر الذي كنت
أحذركم قد وقع، وإن الذي قد وقع لا يدرك إلا بإماتة، وإنها فتنة كالنار كلما سعرت
ازدادت اضراما، واستثارت". فقالا: -ائذن لنا نخرج من المدينة، فإما أن نكاثر، وإما أن
تدعنا. فقال: سأمسك الأمر ما أستمسك، فإذا لم أجد بدا فآخر الداء الكي! .
وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى، فأجابه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة، وبين الكاره
منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك، حتى كان علي كأنه يشاهدهم.. وكان رسوله إلى
أبي موسى معبد الأسلمي.
وكان رسوله إلى معاوية سبرة الجهني، فلم يجبه معاوية بشيء وكلما تنجز جوابه لم يزده
على قوله:

أدم إدامة حصنٍ أو خذاً بيدي حرباً ضروساً تشبّ الجزل والضّرما
في جاركم وابنكم إذ كان مقتله شنعاء شيّبت الأصداغ واللمما
أعيى المسود بها والسّيّدون فلم يوجد لها غيرنا مولىً ولا حكما

حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر دعا معاوية رجلاً من بني عبس،

اسمه قبيصة، فدفع إليه طومارا مختوما، عنوانه "من معاوية إلى علي" وقال له: إذا دخلت
المدينة فاقبض على أسفل الطومار.
وأوصاه بما يقول، وأعاد رسول علي معه، فقدما المدينة في شهر ربيع الأول، ودخل
العبسي كما أمره معاوية، والناس تنظر إلى الطومار، حتى دفعه إلى علي، ففضه، فلم يجد
فيه كتاباً فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: وأنا آمنٌ؟ قال: نعم، إن الرسل لا تقتل.
قال تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود. قال: ممن؟ قال "من خيط رقبتك! وتركت ستين
ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان، وهو منصوبٌ لهم، قد ألبسوه منبر دمشق!" قال:
"أمني يطلبون دم عثمان؟ ألست موتوراً بترة عثمان؟ اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان!
نجا -والله- قتلة عثمان إلا أن يشاء الله فإنه إذا أراد أمراً أصابه! اخرج." قال وأنا
آمنٌ؟ قال: وأنت آمن. فخرج العبسي، فقالوا: "هذا الكلب رسول الكلب! اقتلوه!"
فنادى: يا آل مضر. يا آل قيس، الخيل والنبل، وبالله أقسم ليردنها عليكم أربعة آلاف
خصي! فانظروا كم الفحول والركاب؟ " وتعاووا عليه، فمنعته مضر، وجعلوا يقولون له:
"اسكت" فيقول: "لا والله، والله لا يفلح هؤلاء أبداً، أتاهم ما يوعدون، لقد حل بهم ما
يحذرون، انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم.
قال وأظهر علي العزم على قتال معاوية، وكتب إلى عماله أن ينتدبوا الناس إلى الشام.
ثم استأذنه طلحة والزبير في العمرة، فأذن لهما.
ودعا على ابنه محمد ابن الحنفية، فدفع إليه اللواء، وولى عبد الله بن عباس ميمنته،
وعمرو ابن أبي سلمة -أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد- ميسرته، وجعل أبا ليلى بن
عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن العباس.

ابتداء وقعة الجمل

ومسير عائشة وطلحة والزبير ومن معهم إلى البصرة وما كان من الحرب إلى أن استقروا
بها وإخراج عثمان بن حنيف عامل علي رضي الله عنه

كان ابتداء وقعة الجمل أن عائشة رضي الله عنها كانت قد خرجت إلى الحج وعثمان

محصورٌ -كما ذكرنا- فلما قضت الحج وعادت أتاها الخبر بقتله وخلافة علي، وهي
بسرف، فرجعت إلى مكة وهي تقول: "قتل -والله- عثمان مظلوماً! والله لأطلبن بدمه!"
وطلبت مكة، فقصدت الحجر، فسمرت فيه، واجتمع الناس إليها، فقالت: "أيها الناس، إن
الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل المقتول
ظلماً بالأمس، ونقموا عليه استعمال من حدثت سنه، وقد استعمل أمثالهم من قبله،
ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم
عنها استصلاحاً لهم، فلما لم يجدوا حجةً ولا عذراً بادروا بالعدوان، فسفكوا الدم الحرام،
واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام، وأخذوا المال الحرام، والله لإصبعٌ من عثمان خيرٌ من
طباق الأرض أمثالهم! ووالله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص
الذهب من خبثة أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء! " فقال عبد الله بن
عمرو بن الحضرمي وكان عام لعثمان على مكة: "ها أنا ذا أول طالب"، فكان أول مجيب،
وتبعه بنو أمية على ذلك، وكانوا قد هربوا من المدينة إلى مكة بعد قتل عثمان، وتبعهم
سعيد بن العاص والوليد ابن عقبة.
وقدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة بمال كثير ويعلى ابن أمية وهو ابن منية من
اليمن ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف، فأناخ بالأبطح.
وقدم طلحةُ والزبير من المدينة، فلقيا عائشة: فقالت: ما وراءكما؟ فقالا: "إنا تحملنا هرابا
من المدينة من غوغاء وأعراب، وفارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا ولا
يمنعون أنفسهم"، فقالت: انهضما إلى هذه الغوغاء. فقالوا: نأتي الشام. فقال ابن عامر: "
قد كفاكم معاوية الشام، فأتوا البصرة، فإن لي بها صنائع، ولهم في طلحة هوى"، قالوا: "
قبحك الله! فوالله ما كنت بالمسالم ولا بالمحارب، فهلا أقمت كما أقام معاوية فنكتفي بك،
ثم نأتي الكوفة فنسد على هؤلاء القوم مذاهبهم". فلم يجدوا عنده جوابا مقبولا. حتى
إذا استقام لهم الرأي على البصرة قالوا: " يا أم المؤمنين، دعي المدينة، فإن من معنا لا يطيق

من بها من الغوغاء، واشخصي معنا إلى البصرة فإنا نأتي بلدا مضيعا، وسيحتجون علينا
فيه ببيعة علي فتنهضينهم كما أنهضت أهل مكة، فإن أصلح الله الأمر كان الذي أردنا،
وإلا دفعنا عن هذا الأمر بجهدنا، حتى يقضي الله ما أراد ".
فأجابتهم إلى ذلك. ودعوا
عبد الله بن عمر ليسير معهم، فأبى، وقال :" أنا رجل من أهل المدينة، أفعل ما يفعلون ".
فتركوه. وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة على قصد المدينة، فلما تغير
رأيها إلي البصرة تركن ذلك. وأجابتها حفصة على المسير معها، فمنعها أخوها عبد الله.
وجهزهم يعلى بن منية بستمائة بعير، وجهزهم ابن عامر بمال كثير. ونادى مناديها: " إن أم
المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة، فمن أراد إعزاز الإسلام وقتال المحلين
والطلب بثأر عثمان وليس له مركب ولا جهاز فليأت". فحملوا ستمائة على ستمائة بعير،
وساروا في ألف- وقيل في تسعمائة- من لأهل المدينة ومكة، وتلاحقت بهم الناس، فكانوا
في ثلاثة آلاف رجل. وأعان يعلى بن منية الزبير بأربعمائة ألف، وحمل سبعين من قريش،
وأعطى عائشة جملاً، اسمه "عسكر "، واشتراه بمائتي دينار، وقيل: بثمانين دينارا، وقيل:
كان لرجل من عرينة، فابتيع منه بمهرية وأربعمائة درهم أو ستمائة درهم.
وخرجت عائشة من مكة ومعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق فبكوا على الإسلام، فلم ير
يوم كان أكثر باكياً وباكيةٌ من ذلك اليوم، وكان يسمى "يوم النحيب"...
وكتبت أم الفضل بنت الحارث أم عبد الله بن عباس إلى علي بالخبر.
ولما خرجت عائشة من مكة أذن مروان بن الحكم، ثم جاء حتى وقف على طلحة
والزبير فقال: على أيكم أسلم بالإمرة وأؤذن بالصلاة فقال عبد الله بن الزبير: على أبي عبد
الله يعني أباه. وقال محمد ابن طلحة: على أبي محمد يعني أباه. فأرسلت عائشة إلى مروان
فقالت: أتريد أن تفرق أمرنا، ليصل بالناس ابن أختي تعني عبد اله بن الزبير. وقيل بل صلى
بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد حتى قتل.

ولما انتهوا إلى ذات عرق لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه فقال: أين
تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم؟ يعني عائشة وطلحة والزبير اقتلوهم ثم
ارجعوا إلى منازلكم! فقالوا نسير فعلنا نقتل قتلة عثمان..
فخلا سعيد ابن العاص بطلحة
والزبير، فقال: اصدقاني إن ظفرتما لمن تجعلان الأمر؟ قالا نجعله لأحدنا أينا اختاره
الناس. قال: بل تجعلونه لولد عثمان فإنكم خرجتم تطلبون بدمه فقالا: ندع شيوخ
المهاجرين ونجعلها لأبنائهم! قال: فلا أراني أسعى إلا لإخراجها من بني مناف فرجع،
ورجع عبد الله بن خالد بن أسيد فقال المغيرة بن شعبة: " الرأي ما قال سعيد، من كان
ها هنا من ثقيف فليرجع"، ورجع.
ومضى القوم، ومعهم ابان والوليد ابنا عثمان، وكان دليلهم رجلاً من عرينة، وهو الذي
ابتيع منه الجمل على أحد الأقوال، قال العرني: فسرت معهم، فلا أمر على وادٍ إلا سألوني
عنه، حتى طرقنا الحوأب -وهو ماء- فنبحتنا كلابه فقالوا: أي ماءٍ هذا؟ قلت: هذا ماء
الحوأب، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، واسترجعت مقالت: إني لهيه! سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه: "ليت شعري أيتكن تنبحها كلاب الحوأب!" ثم
ضربت عضد بعيرها فأناخته، وقالت: "ردوني! أنا والله صاحبة ماء الحوأب!" فأناخوا
حولها يوماً وليلة، فقال لها عبد الله بن الزبير: "إنه كذب، وليس هو ماء الحوأب" ولم يزل بها
وهي تمتنع حتى قال لها: النجاء النجاء! قد أدرككم علي بن أبي طالب." فارتحلوا نحو
البصرة، فلما كانوا بفنائها لقيهم عمير بن عبد الله التميمي فقال: يا أم المؤمنين، أنشدك الله
أن تقدمي اليوم على قوم لم تراسلي منهم أحداً، فعجلي ابن عامر فإن له بها صنائع،
فليذهب إليهم" فأرسلته.
وكتبت عائشة إلى رجال من أهل البصرة، وإلى الأحنف بن قيس وأمثاله، وأقامت بالحفير
تنتظر الجواب.
ولما بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي

وقال: انطلقا إلى عائشة واعلما علمها وعلم من معها، فأتياها وقالا: إن أميرنا بعثنا إليك
ليسألك عن مسيرك فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: "والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم إن
الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم الرسول عليه الصلاة والسلام وأحدثوا فيه
الأحداث، وآووا فيه المحدثين، فاستوجبوا لعنة الله ولعنة الرسول، مع ما نالوا من قتل إمام
المسلمين بلا ترةٍ، ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا
البلد الحرام والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كارهين لمقامهم
ضارين مضرين غير نافعين ولا منتفعين، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في
المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء، وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح
هذه القصة" وقرأت: "لا خير في كثيرٍ من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ
بين الناس" ثم قالت: "نهض في الإصلاح فيمن أمر الله وأمر رسوله الصغير والكبير والذكر
والأنثى، فهذا شأننا إلى معروفٍ نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكرٍ ننهاكم عنه ونحثكم
على تغييره فخرجا من عندها، فأتيا طلحة فقالا له: ما أقدمك؟ قال: الطلب بدم
عثمان.
فقالا: ألم تبايع علياً؟ قال: "بلى، والسيف على عنقي، وما أستقيل علياً البيعة إن هو لم
يحل بيننا وبين قتلة عثمان".
ثم أتيا الزبير فقالا له وقال مثل ذلك. فرجعا إلى عائشة فودعاها، فودعت عمران، وقالت
يا أبا الأسود، إياك أن يقودك الهوى إلى النار "كونوا قوامين لله شهداء بالقسط" الآية
وسرحتهما، ونادى مناديها بالرحيل. ومضيا حتى أتيا عثمان بن حنيف، فبدر أبو
الأسود عمران فقال:
يا ابن حنيفٍ قد أتيت فانفر
وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لهم مستلئماً وشمّر
فاسترجع عثمان، وقال: دارت رحى الإسلام ورب الكعبة! ونادى في الناس، وأمرهم
بلبس السلاح. وأقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المربد، فدخلوا من أعلاه، ووقفوا

حتى خرج عثمان بن حنيف، فيمن معه، وخرج إلى عائشة من أهل البصرة من أراد أن
يكون معها، فاجتمع القوم كلهم بالمربد: عائشة ومن معها في ميمنته، وعثمان ومن معه في
ميسرته.
فتكلم طلحة، فأنصتوا له، فحمد الله وأثنى عليه وذكر عثمان وفضله وما استحل منه،
ودعا إلى الطلب بدمه، وحثهم عليه. وتكلم الزبير بمثل ذلك.
فقال من في ميمنة المربد:
صدقا وبرا! وقال من في ميسرته: "فجرا، وغدرا، وأمرا بالباطل! بايعا علياً ثم جاءا
يقولان ما يقولان! " وتحاثى الناس وتحاصبوا.
فتكلمت عائشة فحمدت الله وأثنت عليه، وقالت: كان الناس يتجنون على عثمان،
ويزرون على عماله، ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، ويرون حسناً من
كلامنا في إصلاح بينهم، فننظر في ذلك فنجده بريأً تقياً وفياً، ونجدهم فجرةً غدرة كذبه،
وهم يحولون غير ما يظهرون، فلما قدروا على المكاثرة كاثروه، فاقتحموا عليه داره،
واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام، والبلد الحرام، بلا ترةٍ ولا عذر، ألا إن فيما ينبغي -لا
ينبغي لكم غيره- أخذ قتلة عثمان، وإقامة كتاب الله، "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من
المتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم" الآية.
فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين: فقالت فرقةٌ: صدقت والله وبرت وجاءت
بالمعروف، وقالت فرقة خلاف ذلك.
فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا، فلما رأت عائشة ذلك انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين
لعثمان بن حنيف، حتى وقفوا في المربد في موضع الدباغين، وبقي أصحاب عثمان على
حالهم، يتدافعون حتى تحاجزوا، ومال بعضهم إلى عائشة.
وأقبل حكيم بن جبلة، وهو على خيل ابن حنيف، فأنشب القتال، فأشرع أصحاب
عائشة رماحهم، وأمسكوا اليمسك، فلم ينته ولم ينثن، وأصحاب عائشة كافون إلا ما
دافعوا عن أنفسهم
ثم اقتتلوا على فم السكة، وأشرف أهل الدور ممن كان له في أحد الفريقين هوىً، فرموا في
الأخرى بالحجارة.

وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا، حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها ملياً، وثاب
إليهم الناس، فحجز الليل بينهم.
ورجع عثمان إلى القصر، ورجع الناس إلى قبائلهم، وأتى أصحاب عائشة إلى ناحية دار
الرزق وباتوا يتأهبون، وبات الناس يأتونهم، واجتمعوا بساحة دار الرزق.
وأصبح عثمان فغاداهم، وخرج حكيم، فاقتتلوا قتالاً شديداً من حين بزغت الشمس إلى
أن زالت، وقد كثر القتل في أصحاب ابن حنيف، وفشت الجراحة في الفريقين، ومنادي
عائشة يناشدهم ويدعوهم إلى الكف، فيأبون، حتى إذا مسهم الشر وعضتهم الحرب نادوا
أصحاب عائشة إلى الصلح، فأجابوهم. وتداعوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يبعثوا رسولاً
إلى المدينة يسأل أهلها، فإن كان طلحة والزبير أكرها على مبايعة علي خرج ابن حنيفٍ
عن البصرة وأخلاها لهم، وإن كانا لم يكرها على البيعة خرج طلحة والزبير.
فسار كعب بن سورٍ حتى أتى المدينة، فقدمها يوم جمعة فسأل أهلها هل أكره طلحة
والزبير على بيعة علي أم أتيا طائعين؟ فلم يجبه أحدٌ إلا أسامة ابن زيد فإنه قال: اللهم
إنهما لم يبايعا إلا وهما مكرهان. فواثبه سهل بن حنيف والناس، وثار صهيبٌ وأبو أيوب
في عدةٍ من الصحابة، منهم محمد بن مسلمة، حين خافوا أن يقتل أسامة، فقالوا: اللهم نعم.
فتركوه وأخذ صهيبٌ أسامة بيده إلى منزله.
وبلغ علياً الخبر فكتب إلى عثمان بن حنيف أنهما لم يكرها على البيعة.
فلما عاد كعب بن سور أمر عثمان بالخروج عن البصرة، فامتنع، واحتج بكتاب عليٍ،
فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة ذات رياح ومطر، وقصدوا المسجد واقتلوا، فقتل
من أصحاب ابن حنيف أربعون رجلاً، ودخل الرجال على ابن حنيفٍ فأخرجوه إليهما،
فما وصل وفي وجهه شعرةٌ، فاستعظما ذلك، وأرسلا إلى عائشة في أمره، فأرسلت أن خلوا
سبيله، وبقي طلحة والزبير بالبصرة ومعهما بيت المال والحرس، واستتر من لم يكن معهما.
وبلغ حكيم بن جبلة ما حل بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاف الله إن لم أنصره.

فجاء في جماعة من عبد القيس ومن تبعه من ربيعة -وكان بينه وبين عبد الله بن الزبير
محاورات- ثم التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فكان حكيمُ بحيال طلحة، وذريح بحيال الزبير،
وابن المحرش بحيال عبد الرحمن بن عتاب، وحرقوص بن زهير بحيال عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام، فقتل حكيم وابنه وأخوه، وقتل ذريح، وأفلت حرقوص في نفر من
أصحابه وجيء إلى طلحة والزبير بمن كان فيهم ممن غزا المدينة، فقتلوا.
وكانت هذه الوقعة لخمسٍ بقين من شهر ربيع الآخر من السنة وبايع أهل البصرة طلحة
والزبير.
مسير علي إلى البصرة
وما اتفق له في مسيره ومن انضم إليه ومراسلته أهل الكوفة
قال: وكان علي رضي الله عنه قد تجهز لقصد الشام لقتال معاوية، لما أظهر الخلاف عليه،
كما تقدم، فبينما هو على ذلك أتاه الخبر عن طلحة والزبير وعائشة من مكة بما عزموا
عليه، فلما بلغه ذلك وأنهم يريدون البصرة سره ذلك، وقال: إن الكوفة فيها رجال من
العرب وبيوتاتهم. فقال له ابن عباس -رضي الله عنهما- : "إن الذي سرك من ذلك ليسوءني، إن الكوفة فسطاط فيه من أعلام العرب ولا يزال فيها
من يسمو إلى أمرٍ لا يناله، فإذا كان كذلك شغب على الذي قد نال ما يريد، حتى يكسر
حدته." فقال علي: إن الأمر ليشبه ما تقول.
وتهيأ للخروج إليهم، فندب أهل المدينة للمسير معه، فتثاقلوا فبعث إلى عبد الله بن عمر
كميلا النخعي، فجاء به، فدعاه إلى الخروج معه، فقال: "إنما أنا من أهل المدينة، وقد دخلوا
في هذا الأمر، فدخلت معهم، فإن يخرجوا أخرج معهم وإن يقعدوا أقعد. " قال: فأعطني
كفيلا.
قال: لا أفعل. فقال له علي: لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني! دعوه
فأنا كفيله. فرجع ابن عمر إلى أهل المدينة وهم يقولون: "والله ما ندري كيف نصنع؟ إن
الأمر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء! " فخرج من تحت ليلته، وأخبر أم كلثوم
ابنة علي، وهي زوجة عمر بالذي سمع وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا

النهوض. فأصبح علي فقيل له: حدث الليلة حدثٌ هو أشد من أمر طلحة والزبير وعائشة
ومعاوية! قال: وما ذاك؟ قالوا: خرج ابن عمر إلى الشام! فأتى السوق، وأعد الظهر
والرحال، وأعد لكل طريقٍ طلابا، وماج الناس، فسمعت أم كلثوم، فأتت عليا فأخبرته
الخبر، فطابت نفسه، وقال: "انصرفوا، والله ما كذبت ولا كذب، وإنه عندي ثقة" .
فانصرفوا.
ثم أتى عليا الخبر بمسير طلحة والزبير وعائشة من مكة نحو البصرة، فدعا وجوه أهل
المدينة وخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: "إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح
أوله، فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم." فتثاقلوا، فلما رأى زياد بن حنظله تثاقل
الناس انتدب إلى علي رضي الله عنه وقال له: من تثاقل عنك فإنا نخف معك فنقاتل
دونك. وقال أبو الهيثم ابن التيهان وخزيمة بن ثابت. قال ابن الأثير: "قال الحكم: ليس
بذي الشهادتين، مات ذو الشهادتين أيام عثمان رضي الله عنه" .
وقال أبو عمر ابن عبد البر في ترجمته خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين: إنه شهد مع علي
حرب الجمل وصفين فدل على أنه هو، والله أعلم. فأجابا علياً إلى نصرته.
وقال أبو قتادة الأنصاري لعلي: "يا أمير المؤمنين، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلدني هذا السيف، وقد أغمدته زماناً، وقد حان تجريده على هؤلاء القوم الظالمين الذين لم
يألوا الأمة غشا، وقد أحببت أن تقدمني، فقدمني" .
قال: ولما أراد علي المسير إلى البصرة وكان يرجو أن يدرك طلحة والزبير فيردهما قبل
وصولهما إلى البصرة، فلما سار استخلف على المدينة تمام ابن العباس، وعلى مكة قثم بن
العباس، وقيل: أمر على المدينة سهل بن حنيف، وسار في تعبئته التي كانت لأهل الشام،
وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين.
وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصرين متخففين في تسعمائة، فلقيه عبد الله بن سلام
فأخذ بعنانه، وقال: "يا أمير المؤمنين، لا نخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها
سلطان المسمين أبدا! " فسبوه فقال: "دعوه، نعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله

عليه وسلم" . وسار حتى انتهى إلى الربذة، فأتاه خبر سبقهم إلى البصرة، فأقام بها يأتمر
ما يفعل.
إرسال علي إلى أهل الكوفة
وعود رسله وإرسال غيرهم
وما كان من إخراج أبي موسى الأشعري عن الكوفة وانضمام أهل الكوفة إلى علي وما
كان في خلال ذلك من الأخبار
قال: ولما أقام علي -رضي الله عنه- بالربذة أرسل منها محمد بن أبي بكر الصديق
ومحمد بن جعفر رضي الله عنهم إلى أهل الكوفة، وكتب إليهم: "إني قد اخترتكم على
الأمصار، وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً، وانهضوا إلينا،
فالإصلاح نريد، لتعود هذه الأمة إخواناً" . فمضيا.
وأقام بالربذة، وأرسل إلى المدينة، فأتاه ما يريد من دابة وسلاح.
ثم قام في الناس فخطبهم وقال: إن الله تبارك وتعالى أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا
إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم،
والحق فيهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم
الشيطان، لينزغ بين هذه الأمة، ألا وإن هذه لا بد مفترقة كما افترقت الأممم قبلها، فنعوذ
بالله من شر ما هو كائن ثم عاد ثانية فقال: إن لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه
الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقةً، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم
ورأيتم، فالزموا دينكم، واهدوا بهديي، فإنه هدي نبيكم، واتبعوا سنته، وأعرضوا عما
أشكل عليكم حتى تعرضوه على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه،
وارضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً.
قال: ثم أتاه جماعة من طيىء، وهو بالربذة، فقيل له: هذه جماعةٌ قد أتتك، منهم من يريد
الخروج معك، ومنهم من يريد التسليم عليك. فقال: جزى الله كلاً خيرا "وفضل الله
المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً" . فلما دخلوا عليه قال لهم: ما شهدتمونا قال به؟

قالوا: شهدناك بكل ما تحب. فقال: "جزاكم الله خيراً! قد أسلمتم طائعين، وقاتلتم
المرتدين، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين". فنهض سعيد بن عبيد الطائي فقال: "يا أمير
المؤمنين، إن من الناس من يعبر لسانه عن قلبه، وإني -والله- ما كل ما كل ما أجد في قلبي
يعبر عنه لساني، وسأجهد وبالله التوفيق، أما أنا فسأنصح لك في السر والعلانية، وأقاتل
عدوك في كل موطن، وأرى من الحق لك ما لا أراه لأحد من أهل زمانك لفضلك
وقرابتك". فقال: "يرحك الله! قد أدى لسانك عما يجن ضميرك".
قال: ثم سار علي -رضي الله عنه- من الربذة، وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن
الجراح، والراية مع ابنه محمد ابن الحنفية، وعلى ناقة حمراء يقود فرساً كميتاً، فلما نزل بفيد
أتته أسد وطيىء، فعرضوا عليه أنفسهم فقال: في المهاجرين كفاية. وعرضت عليه بكر بن
وائل أنفسها، فقال لها كذلك.
قال: وانتهى إلى ذي قارٍ أتاه عثمان بن حنيفٍ وليس في وجهه شعرة -وقيل: إنه أتاه
بالربذة- فقال: يا أمير المؤمنين نعثتني ذا لحية وقد جئتك أمرد! قال: أصبحت أجراً
وخيراً! .
وأقام بذي قار ينتظر جواب أهل الكوفة.
وكان من خبر محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر أنهما أتيا أبا موسى الأشعري بكتاب
علي، وقاما في الناس بأمره، فلم يجابا بشيء، فلما أيسوا دخل ناس من أهل الحجا على
أبي موسى فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: "كان الرأي بالأمس ليس اليوم، إن الذي
تهاونتم به فيما مضى هو الذي جر عليكم ما ترون، إنما هما أمران القعود سبيل الآخرة،
والخروج سبيل الدنيا، فاختاروا" فلم ينفر إليه أحد، فغضب محمد، فأغلظا لأبي موسى،
فقال لهما: "والله إن بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بدٌ من قتالٍ لا
نقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا" .
فانطلقا إلى علي فأخبراه الخبر وهو بذي قار، فقال للأشتر وكان معه: "أ،ت صاحبنا في
أبي موسى والمعترض في كل شيء، اذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت" .

فخرجا فقدما الكوفة، فكلما أبا موسى، واستعانا عليه بنفر من أهل الكوفة، فخطبهم أبو
موسى فقال "أيها الناس، إن صحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن
أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً، وأنا مؤدٍ إليكم نصيحة، كان الرأي
أن لا تستخفوا بسلطان الله، وألا تجترئوا على الله، وأن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة
فتردوهم إليها حتى يجتمعوا فهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، وهذه فتنةٌ صماء، النائم
فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من
الراكب، والراكب خير من الساعي، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فأغمدوا السيوف،
وأنصلوا الأسنة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم والمضطهد، حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي
هذه الفتنة" .
فرجع ابن عباس والأشتر إلى علي، فأخبراه الخبر.
فأرسل ابنه الحسن وعمار ابن ياسر، رضي الله عنهما، وقال لعمار: انطلق فأصلح ما
أفسدت.
فأقبلا حتى دخلا مسجد الكوفة، فكان أول من رآهما مسروق بن الأجدع، فسلم
عليهما، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان علام قتلتم عثمان؟ قال: على شتم
أعراضنا وضرب أبشارنا! قال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به ولا صبرتم فكان خيراً
للصابرين!.
فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمه إليه، وأقبل على عمارٍ فقال: يا أبا اليقظان أعدوت
على أمير المؤمنين فيمن عدا فأحللت نفسك مع الفجار؟ فقال: لم أفعل ولم يسؤني! فقطع
الحسن عليهما الكلام، وأقبل على أبي موسى فقال له: "لم تثبط الناس عنا؟ فو الله ما
أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء!" قال: صدقت، بأبي أنت
وأمي! ولكن" المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إنها
ستكون فتنة، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خيرٌ من
الراكب" وقد جعلنا الله إخواناً، وحرم علينا دماءنا وأموالنا.

فغضب عمار، وسبه، وقام فقال: يا أيها الناس إنما قال له وحده "أنت فيها قاعدا خيرٌ
منك قائما" !.
فقام رجل من بني تميم، فسب عمارا وقال: أنت أمس مع الغوغاء واليوم تسافه أميرنا! .
وثار زيد بن صوحان وأمثاله، وثار الناس، وقام زيدٌ على باب المسجد، ومعه كتابٌ من
عائشة إليه تأمره بملازمة بيته أو نصرتها، وكتابٌ إلى أهل الكوفة بمعناه، فأخرجهما فقرأهما
على الناس، فلما فرغ منهما قال: "أمرت أن تقر في بيتها، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون
فتنة، فأمرتنا بما أمرت به، وركبت ما أمرنا به!". فقال له شبث بن ربعي: يا عماني،
سرقت بجلولاء فقطعت يدك! وعصيت أم المؤمنين فقتلك الله!.
وتهاوى الناس. قام أبو موسى فقال: أيها الناس، أطيعوني، وكونوا جرثومة من جراثيم
العرب، يأوي إليكم المظلوم، ويأمن فيكم الخائف إن الفتنة إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت
بينت وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن، تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور، تذر
الحكيم وهو حيران كابن أمس، شيموا سيوفكم، واقصدوا رماحكم، وقطعوا أوتاركم
والزموا بيوتكم، خلوا قريشاً إذ أبو إلا الخروج من دار الهجرة وفراق أهل العلم،
استنصحوني ولا تستغشوني، أطيعوني يسلم لكم دينكم، ودنياكم ويشقى بحر هذه الفتنة
من جناها.
فقام زيد، فشال يده المقطوعة، فقال: يا عبد الله بن قيس رد الفرات عن أدراجه، اردده
من حيث يجيء حتى يعود كما بدأ فإن قدرت على ذلك فستقدر على ما تريد، فدع عنك
ما لست مدركه، سيروا إلى أمير المؤمنين وسيد المسلمين، انفروا إليه أجمعين تصيبوا
الحق!.
فقام القعقاع بن عمرو فقال: "إني لكم ناصح، وعليكم شفيق، أحب لكم أن ترشدوا،
ولأقولن لكم قولاً هو الحق، أما ما قال الأمير فهو الحق لو أن إليه سبيلا، وأما ما قال زيد
فزيدٌ عدو هذا الأمير فلا تستنصحوه، والقول الذي هو الحق أنه لا بد من إمارة تنظم

الناس، وتزع الظالم، وتعز المظلوم وهذا أمير المؤمنين مليء بما ولي، وقد أنصف في الدعاء،
وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا من هذا الأمر بمرأىً ومسمع".
وقال عبد خيرٍ الخيواني: يا أبا موسى هل بايع طلحة والزبير علياً؟ قال: نعم! قال:هل
أحدث عليٌ ما يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري. قال: "لا دريت! نحن نتركك حتى
تدرك! هل تعلم أحداً خارجاً من هذه الفتنة؟ إنما الناس أربع فرق: عليٌ بظهر الكوفة،
وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام، وفرقةٌ بالحجاز لا غناء بها ولا يقاتل بها عدو."
فقال أبو موسى: أولئك خير الناس وهي فتنة! فقال عبد خير: غلب عليك غشك يا أبا
موسى!
فقال سيحان بن صوحان: إنه لا بد لهذا الأمر وهؤلاء الناس من والٍ، يدفع الظلم ويعز
المظلوم، ويجمع الناس، وهذا وليكم وهو يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبيه، وهو
المأمون على الأمة، الفقيه في الدين، فمن نهض إليه فإنا سائرون معه.
فلما فرغ سيحان قال عمار: "هذا ابن عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، يستنفركم إلى
زوجة رسول الله وإلى طلحة والزبير، وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة، فانظروا ثم
انظروا في الحق، فقاتلوا معه". فقال له رجل: أنا مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد
له! فقال له الحسن: اكفف عنا يا عمار فإن للإصلاح أهلا!.
وقام الحسن رضي الله عنه، فقال: أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم،
فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر غليه، ووالله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل،
وخيرٌ في العاقبة، أجيبوا دعوتنا، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم، وإن أمير المؤمنين
يقول: "قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وإني أذكر الله رجلاً رعى حق الله إلا
نفر، فإن كنت مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ منين والله إن طلحة والزبير لأول من
بايعني وأول من عذر فهل استأثرت بمال أو بدلت حكماً؟ "
فانفروا، فمروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر.

فسامح الناس وأجابوا ورضوا، وتكلم عدي بن حاتم، وهند بن عمرو، وحجر بن عدي،
وحثوا الناس على اللحاق بعلي وإعانته، فأذعن الناس للمسير.
فقال الحسن رضي الله عنه: "أيها الناس، إني غادٍ، فمن شاء منكم أن يخرج على الظهر،
ومن شاء في الماء"، فنفر معه تسعة آلاف، أخذ في البر ستة آلاف ومائتان، وبقيتهم في
الماء.
وقيل: إن علياً -رضي الله عنه- أرسل الأشتر بعد ابنه الحسن وعمار- إلى الكوفة،
فدخلها والناس في المسجد، وأبو موسى يخطبهم ويثبطهم، والحسن وعمار معه في منازعة،
وكذلك سائر الناس، كما تقدم، فجعل الأشتر لا يمر في بقبيلة فيها جماعة إلا دعاهم ويقول:
اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فدخلوا وأبو موسى في المسجد
يخطبهم ويثبطهم، والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك وتنح عن منبرنا! وعمار ينازعه
فأخرج الأشتر غلمان أبي موسى من القصر، فخرجوا يعدون وينادون: "يا أبا موسى،
الأشتر قد دخل القصر، فضربنا، وأخرجنا" فنزل أبو موسى، فدخل القصر، فصاح به
الأشتر: "اخرج لا أم لك! أخرج الله نفسك! " فقال: أجلني هذه العشية. فقال هي لك
ولا تبيتن في القصر الليلة. ودخل الناس ينهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر، قال: أنا له
جارٌ. فكفوا عنه.
فنفر الناس في العدد المذكور. وقيل: إن عدد من سار من الكوفة اثنا عشر ألف رجلٍ
ورجلٌ، قال أبو الطفيل: سمعت علياً رضي الله عنه يقول ذلك قبل وصولهم، فقعدت
فأحصيتهم، فما زادوا رجلاً وما نقصوا رجلاً! .
وكان على كنانه وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي، وعلى سبع قيس
سعد بن مسعود الثقفي عم المختار، وعلى بكر وتغلب وعلى بن محدوج الذهلي، وعلى
مذحج والأشعريين حجر بن عدي، وعلى بجيلة وأنمار وخثعم والأزد مخنف بن سليم
الأزدى، فقدموا على علي رضي الله عنه بذي قار، فلقيهم في ناس فرحب بهم، وقال: "يا
أهل الكوفة، وليتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأغنيتم

حوزتكم،وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل
البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدءونا بظلم، ولم
ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد، إن شاء الله تعالى" .
قال: وكان رؤساء الجماعة من الكوفيين: القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو
والهيثم بن شهاب، وكان رؤساء النفار زيد بن صوحان والأشتر وعدي بن حاتم والمسيب
بن نجبه ويزيد ابن قيس وأمثال لهم ليسوا دونهم إلا أنهم لم يؤمروا، منهم حجر بن عدي.
مراسلته طلحة والزبير
وأهل البصرة في الصلح وإجابتهم إليه وانتظام الصلح وكيف أفسده قتلة عثمان
قال: وأقام علي -رضي الله عنه- بذي قار، فأرسل القعقاع بن عمرو إلى أهل البصرة
وقال له: الق هذين الرجلين وادعهما إلى الألفة والجماعة وعظم فيهما الفرقة. وكان العقعاع
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
فخرج حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة فسلم عليها وقال: أي أمه، ما أشخصك وما
أقدمك على هذا البلد؟ قال: أي بني، الإصلاح بين الناس. قال: فابعثي إلى طلحة والزبير
حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما، فجاءا، فقال لهما: إني سألت أم المؤمنين ما
أقدمها؟ فقالت الإصلاح، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان.
قال فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح فوالله لئن عرفناه ليصلحن ولئن أنكرناه لا يصلح.
قالا: قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن! قال: "قد قتلتما قتلة عثمان من أهل
البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم! قتلتم ستمائة رجل فغضبت لهم
ستة آلاف واعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة
آلاف فارس، فإن تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلو
عليكم فالذي حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون، وإن أنتم منعتم مضر
وربيعة من هذه البلاد اجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرةً لهؤلاء، كما اجتمع هؤلاء

لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير!" قالت عائشة فما تقول أنت قال " إن هذا الأمر
دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلا خير وتباشير رحمة ودرك
بثأر، وإن أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا الثأر، فآثروا
العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له فيصرعنا
وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا القول وأدعوكم إليه وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله
حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي حدث أمرٌ ليس
يقدر، وليس كقتل الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل قالوا: "قد أصبت
وأحسنت، فارجع، فإن قدم عليٌ وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر" .
فرجع إلى علي، فأخبره، فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه،
ورضيه من رضيه.
وأقبلت وفود العرب من أهل البصرة نحو علي بذي قار، قبل رجوع القعقاع، لينظروا ما
رأى إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أي حالٍ نهضوا إليهم، وليعلموهم أن الذي عليه
رأيهم الإصلاح، ولا يخطر لهم قتالهم على بال.
فلما لقوا عشائرهم من أهل الكوفة قال لهم الكوفيون مثل مقالتهم، وأدخلوهم على عليٍ
فأخبروه بخبرهم.
ورجعت وفود أهل البصرة برأي أهل الكوفة، ورجع القعقاع من البصرة.
فقام علي رضي الله عنه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الجاهلية وشقاءها،
والإسلام والسعادة، وإنعام الله على الأمة والجماعة بالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحدث الذي جره على هذه الأمة أقوام
طلبوا هذه الدنيا وحسدوا من أفاءها الله عليه وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا
رد الإسلام والأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره.
ثم قال: ألا وإني راحل غداً، فارتحلوا، ولا يرتحل معنا أحدٌ أعان على عثمان بشيءٍ من
أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم. والله أعلم بالصواب.

اجتماع قتلة عثمان بذي قار وتشاورهم
وما اتفقوا عليه من المكيدة التي اقتضت نقض الصلح ووقوع الحرب
قال: ولما قال علي رضي الله عنه مقالته بذي قار، وأمر أن لا يرتحل معه أحد ممن أعان
على عثمان بشيء اجتمع نفرٌ منهم علباء بن الهيثم وعدي ابن حاتم وسالم بن ثعلبة
القيسي وشريح بن أبي أوفي والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان أو رضي بسير من سار
إليه وجاء معهم المصريون وابن السوداء وخالد ابن ملجم، فتشاوروا فقالوا "ما الرأي؟
هذا علي وهو والله أبصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان، وأقرب إلى العمل بذلك، وهو
يقول ما يقول، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام القوم وشاموه ورأوا
قلتنا في كثرتهم؟ وأنتم والله ترادون، وما أنتم بالحي من شيء!" فقال الأشتر: " قد عرفنا
رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرف رأيه إلى اليوم، ورأى الناس فينا واحد،
فإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا، فهلموا بنا نثب على علي فنلحقه بعثمان، فتعود فتنه
يرضى منا فيها بالسكون. " فقال عبد الله بن السوداء " بئس الرأي والله رأيت، أنتم يا
قتلة عثمان بذي قار ألفٌ وخمسمائة، أو نحوٌ من ستمائة، وهذا ابن الحنظلية -يعني
طلحة- وأصحابه في نحو خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا! " فقال
علباء بن الهيثم "انصرفوا بنا عنهم، ودعوهم، فإن قلوا كان لعدوهم عليهم، وإن كثروا
كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، ودعوهم فرجعوا فتعلقوا ببلدٍ من البلدان حتى يأتيكم
فيه من تقوون به، وامتنعوا من الناس. " فقال ابن السوداء "بئس والله ما رأيت، ود والله
الناس أنكم انفردتم ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو انفردتم لتخطفكم الناس وكل شيء! " فقال
عدي بن حاتم: "والله ما رضيت ولا كرهت، ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في
خوض الحديث، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة فإن لنا عتاداً من خيولٍ
وسلاح، فإن أقدمتم أقدمنا، وأن أمسكتم أمسكنا!" فقال ابن السوداء: أحسنت! وقال

سالم ابن ثعلبة: "من كان أراد بما أتى الدنيا فإني لم أرد ذلك، ووالله لئن لقيتهم غداً لا
أرجع إلى شيء وأحلف بالله إنكم لتفرقون الناس بالسيف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى
السيف!" فقال ابن السوداء: قد قال قولا.
وقال شريح بن أبي أوفي: "أبرموا أمركم قبل أن يخرجوا، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم
تعجيله، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره، فإنا عند الناس بشر المنازل، ولا أدري ما
الناس صانعون إذا ما هم التقوا! " وقال ابن السوداء: "يا قوم، إن عزكم في خلط الناس،
فإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن
يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون! "
فأبصروا الرأي، وتفرقوا عليه، والناس لا يشعرون.
مسيره الى البصرة
ومن معه من ذي قار ووقعة الجمل
قال: ولما أصبح علي رضي الله عنه سار من ذي قار وسار معه الناس حتى نزل على
عبد القيس، فانضموا إليه، ثم سار فنزل الزاوية، وسار من الزاوية يريد البصرة، وسار
طلحة والزبير وعائشة من الفرضة، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد، وذلك في
النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، حكاه ابن الأثير، وقال أبو جعفر: كانت
وقعة الجمل في يوم الخميس لعشرٍ خلون من جمادى الآخر سنة ست وثلاثين.
وسبق علي أصحابه، وهم يتلاحقون به، فلما نزل قال أبو الجرباء للزبير: الرأي أن تبعث
الآن ألف فارس إلى علي قبل أن يتوافى إليه أصحابه. فقال: " إنا لنعرف أمور الحرب،
ولكنهم أهل دعوتنا، وهذا أمر حدث لم يكن قبل اليوم، من لم يلق الله فيه بعذر انقطع
عذره يوم القيامة! وقد فارقنا وافدهم على أمر، وأنا أرجو أن يتم لنا النصح، فأبشروا،
واصبروا. " .
وأقبل صبرة بن شيمان وقال لطلحة والزبير: انتهزا بنا هذا الرجل، فإن الرأي في الحرب
خير من الشدة! فقالا: "إنا وهم مسلمون، إن هذا أمر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو

تكون فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد زعم قوم أنه لا يجوز تحريكه اليوم،
وهم علي ومن معه، وقلنا نحن: لا ينبغي لنا أن نتركه اليوم ولا نؤخره، وقد قال علي: ترك
هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه، وقد كاد يبين لنا، وقد جاءت الأحكام بين المسلمين
بإيثار أعمها منفعةً.
وقال كعب بن سور: يا قوم اقطعوا هذا العنق من هؤلاء القوم.
فأجاباه بنحو ما تقدم.
قال: ولما نزل علي ونزل الناس أرسل شقيق بن ثور إلى عمرو بن مرحوم العبدي أن اخرج
فإذا خرجت فمل بنا إلى عسكر علي، فخرجا في عبد القيس وبكر بن وائل، فعدلوا إلى
عسكر علي، فقال الناس من كان هؤلاء معه غلب. وأقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال،
إنما يرسل علي إليهم يكلمهم ويدعوهم.
قال: وقام علي فخطب الناس، فقام إليه الأعور بن بنان المنقري فسأله عن إقدامهم على
أهل البصرة، فقال له علي: على الإصلاح وإطفاء النار لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا
ويضع حربهم. قال: فإن لم يجيبوا. قال: تركناهم ما تركونا.
وقال: فإن لم يتركونا. قال:
دفعناهم عن أنفسنا. قال: فهل لهم في هذا مثل الذي عليهم؟
قال: نعم.
وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال: أترى لهؤلاء القوم حجةً فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا
أرادوا الله بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجةً بتأخيرك ذلك؟
قال: نعم، إن الشيء
إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوط وأعمه نفعا. قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدا؟
قال: إني لأرجو ألا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه لله إلا أدخله الله الجنة.. وقال في
خطبته: " أيها الناس املكوا أنفسكم، وكفوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم، وإياكم أن
تسبقونا، فإن المخصوم غدا من خصم اليوم".
وبعث إليهم حكيم بن سلام ومالك بن حبيب، يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه
القعقاع فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر.
وخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين، قد منعوا حرقوص بن زهير وهم
معتزلون.

وكان الأحنف قد بايع علياً بالمدينة بعد قتل عثمان، لأنه كان قد عاد من الحج فبايع، فلما
قدم طلحة والزبير اعتزل بالجلحاء ومعه زهاء ستة آلاف والجلحاء من البصرة على
فرسخين فقال لعلي: إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظفرت عليهم غدا قتلت رجالهم
وسبيت نساءهم! قال: "ما مثلي يخاف هذا منه! وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر؟
وهم قوم مسلمون." قال: اختر مني واحدةً من اثنتين: إما أن أقاتل معك، وإما أن أكف
عنك عشرة آلاف سيف.
قال: اكفف عنا عشرة آلاف سيف. فرجع إلى الناس، فدلهم إلى القعود، ونادى: "يا آل
خندف" ،فأجابه ناس، ثم نادى: "يا آل تميم" فأجابه ناس، ثم نادى: "يا آل سعد" ،فلم يبق
سعدي إلا أجابه، فاعتزل بهم، ونظر ما يصنع الناس، فلما كان القتال وظفر علي دخلوا
فيما دخل فيه الناس وافرين.
قال: ولما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس وعليه سلاح، فقيل لعلي: هذا الزبير فقال:
أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر وخرج طلحة، فخرج إليهما علي، فدنا منهما
حتى، اختلفت أعناق دوابهم، فقال لعمري لقد أعددتما سلاحا وخيلا ورجالا، إن كنتما
أعددتما عذرا عند الله فاتقيا الله، ولا تكونا "كالتي نقضت عزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً"، ألم
أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دماءكما؟ فهل من حدثٍ أحل آدمي؟ فقال
طلحة: اللبث على دم عثمان. فقال علي رضي الله عنه: "يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق" يا
طلحة، تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان! يا طلحة، أتيت بعرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت! أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف
على عنقي! . ثم قال للزبير: ما أخرجك؟ قال أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به
منا. فذكره علي رضي الله عنه بأشياء، ثم قال: أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بني غنم، فنظر إلي، فضحك وضحكت إليه، فقلت: لا يدعو ابن أبي طالب
زهوه! فقال لك رسول الله عليه الصلاة والسلام: "إنك لتقاتله وأنت ظالم له" ؟! فقال:

اللهم نعم ولقد كنت أنسيتها ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبدا! .
وقيل إنه قال له كيف أرجع وقد التقت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذي لا يغسله
الدهر! قال يا زبير ارجع بالعار خير من أن ترجع بالعار وبالنار.
فرجع الزبير إلى عائشة فقال لها: يا أماه، ما شهدت موطناً إلا ولي فيه رأيٌ وبصيرة غير
موطني هذا! قالت: وما تريد أن تصنع قال: أدعهم وأذهب، ثم قال لابنه عبد الله: عليك
بحربك وأما أنا فأرجع إلى بيتي. فقال له: ما يردك؟ قال: ما لو علمته لكسرك.
فقال له ابنه: بل رأيت عيون بني هاشم تحت المغافر فراعتك، وعلمت أن سيوفهم حدادٌ
تحملها فتيةٌ أنجاد.
فغضب الزبير ثم قال: أمثلي يفزع بهذا؟ وأحفظه ذلك، وقال إني حلفت إلا أقاتله.
قال: فكفر عن يمينك وقاتله، فأعتق غلامه مكحولاً، وقيل: أعتق سرجس.
ففي ذلك يقول عبد الرحمن بن سليمان التميمي:
لم أر كاليوم أخا إخوان أعجب من مكفّر الأيمان
في أبيات أخر.
وقيل: إن الزبير نزع سنان رمحه، وحمل على جيش علي، فقال علي لأصحابه: أفرجوا له
فإنه قد أغضب، وإنه منصرفٌ عنكم فقالوا: إذن والله لا نبالي بعد رجوعه بجمعهم وما
كنا نتقي سواه. وقيل: إنما الزبير عاد عن القتال لما سمع أن عمار بن ياسر مع علي، فخاف
أن يقتل عمار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمار تقتلك الفئة الباغية"
فرده ابنه عبد الله.
وافترق أهل البصرة ثلاثة فرق: فرقة مع طلحة والزبير وفرقة مع علي، وفرقة لا ترى القتال،
منهم الأحنف بن قيس وعمران بن حصين.
وجاءت عائشة فنزلت في مسجد الحدان في الأزد، ورأس الأزد يومئذ صبرة بن شيمان،
فقال له كعب بن سور: إن الجموع إذا تراءت لم تستطع، إنما هي بحور تدفق، فأطعني ولا
تشهدهم واعتزل بقومك، فإني أخاف أن لا يكون صلح، ودع مضر وربيعة فهما أخوان،
فإن اصطلحا فالصلح أردنا، وإن اقتتلا كنا حطاما عليهم غدا.
وكان كعب في الجاهلية نصرانيا فقال صبرة: أخشى أن يكون فيك شيء من النصرانية!

أتأمرني أ، أغيب عن إصلاح بين الناس، وأن أخذل أم المؤمنين وطلحة والزبير إن ردوا
عليهم الصلح، وأدع الطلب بدم عثمان، والله لا أفعل هذا أبدا!. فأطبق أهل اليمن على
الحضور.
وحضر مع عائشة المنجاب بن راشد في الرباب وهم تيم وعدي وثور وعكل، بنو عبد
مناة بن أد بن طابخة بن إلياس، مضر، وضبة ابن أد بن طابخة، وحضر أيضاً أبو الجرباء
في بني عمرو بن تميم، وهلال بن وكيع في بني حنظلة، وصبرة بن شيمان على الأزد،
ومجاشع بن مسعود السلمي على سليم، وزفر بن الحارث في بني عامر وأعصر بن النعمان
على غطفان، ومالك بن مسمع على بكر، والخريت بن راشد على بني ناجية، وعلى اليمن
ذو الأجرة الحميري. قال: ولما خرج طلحة والزبير نزلت مضر جميعها وهم لا يشكون في
الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت اليمن أسفل منهم وهم
كذلك، ونزلت عائشة في الحدان، والناس بالزابوقة على رؤسائهم.
هؤلاء -وهم أصحاب عائشة- ثلاثون ألفاً، وهؤلاء -وهم أصحاب علي- عشرون ألفاً.
وردوا حكيماً ومالكاً: "أنا على ما فارقنا عليه القعقاع". ونزل علي بحيالهم، ونزلت مضر
إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وكان بعضهم يخرج إلى بعض لا يذكرون إلا
الصلح ووضع الحرب، فافترقوا على ذلك.
وبعث علي رضي الله عنه من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثا إليه
محمد بن طلحة، وأرسل علي وطلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهم بأمر الصلح، فباتوا
بليلةٍ لم يبيتوا بمثلها للعافية التي أشرفوا عليها والصلح، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر
ليلة، وباتوا يتشاورون، فاجتمعوا على إنشاب الحرب، فغدوا مع الغلس وما يشعر بهم
أحد، فخرجوا متسللين، فقصد مضرهم إلى مضرهم، وربيعتهم إلى ربيعتهم، ويمنهم إلى
يمنهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين
أتوهم، وذلك في يوم الخميس لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة.

قال: وبعث طلحة والزبير إلى الميمنة وهم ربيعة أميرا عليها عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب، وثبتا في القلب، وقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا
أهل الكوفة ليلاً! قالا وقد علمنا أن علياً غير منتهٍ حتى يسفك الدماء وأنه لن
يطاوعنا!فرد أهل البصرة أولئك الكوفيين إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت
-وقد وضع السبيئة رجلاً قريباً منه- فلما قال عليٌ ما هذا قال ذلك الرجل: ما شعرنا إلا
وقومٌ منهم قد بيتونا فرددناهم فوجدنا القوم على رجل، فركبوا، وثار الناس، فأرسل علي
صاحب الميمنة إلي الميمنة، وصاحب الميسرة إلى الميسرة، وقال: لقد علمت أن طلحة
والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء وأنهما لن يطاوعانا. والسبيئة لا تفتر، ونادى علي
في الناس: كفوا فلا شيء!. وكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يبدءوا
يطلبون بذلك الحجة وألا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يستحلوا سلبا، ولا
يرزءوا بالبصرة سلاحا ولا ثيابا ولا متاعا. وأقبل كعب بن سور حتي أتى عائشة فقال:
"يا أم المؤمنين، أدركي الناس، فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك" . فركبت
وألبسوا هودجها الأدراع، فلما برزت من البيوت وهي على الجمل وكانت بحيث تسمع
الغوغاء وقفت، واقتتل الناس وقاتل الزبير، فحمل عليه عمار بن ياسر، فجعل يحوزه بالرمح
والزبير كافٌ عنه، وقال له: أتقتلني يا أبا اليقظان؟ قال: لا يا أبا عبد الله! وإنما كف الزبير
عنه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "تقتل عمار بن ياسر الفئة الباغية" ، ولولا ذلك
لقتله.
قال: ثم اعتزل الزبير الحرب وانصرف، وصليها طلحة، فأصابه سهم غرب شك رجله
بصفحة الفرس، ثم دخل البصرة ومات بها.
وسنذكر إن شاء الله أخباره وأخبار الزبير بعد نهاية وقعة الجمل.
وانهزم القوم يريدون البصرة، فلما رأوا الخيل أطافت بالجمل عادوا قلبا كما كانوا حيث
التقوا وعادوا في أمر جديد.
فقالت عائشة لكعب بن سور وهو آخذ بخطام الجمل: خل عن الجمل وتقدم بالمصحف

فادعهم إليه. وناولته مصحفاً من هودجها فاستقبل القوم بالمصحف، والسبئية أمامهم
يخافون أن يجري الصلح، فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه ورموا أم المؤمنين في هودجها،
فجعلت تنادي: "البقية البقية يا بني!" ويعلو صوتها "الله الله! اذكروا الله والحساب!"
فيأبون إلا إقداما، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: "أيها الناس العنوا قتلة
عثمان وأشياعهم" وأقبلت تدعو، فضج الناس بالدعاء، فسمع علي فقال: ما هذه
الضجة؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان وأشياعهم. فقال: اللهم العن قتلة عثمان!
وأرسلت إلى عبد الرحمن بن عتاب وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام: أن اثبتا
مكانكما. وحرضت الناس حين رأت القوم يريدونها ولا يكفون، فحملت مضر البصرة
حتى قصفت مضر الكوفة، حتى زحم علي، فنخس قفا محمدٍ ابنه، وكانت الراية معه،
وقال له: احمل. فتقدم حتى لم يجد متقدماً إلا على سنان رمح، فأخذ علي الراية من يده،
وقال: يا بني بين يدي. وحملت مضر الكوفة فاجتلدوا قدام الجمل حتى ضرسوا، والمجنبات
على حالها لا تصنع شيئاً، واشتدت الحرب، فأصيب زيد بن صوحان، وأخوه سيحان،
وارتث أخوهما صعصعة، فلما رأى علي ذلك بعث إلى ربيعة وإلى اليمن: أن اجمعوا من
يليكم.
فقام رجل من عبد القيس من أصحاب عليٍ فقال: ندعوكم إلى كتاب الله: فقالوا: كيف
يدعونا إليه من لا يستقيم ولا يقيم حدود الله؟ وقد قتل كعب بن سور داعي الله ورمته
ربيعة رشقاً واحداً فقتلوه! ودعت يمن الكوفة يمن البصرة فرشقوهم، وأبى أهل الكوفة إلا
القتال، ولم يريدوا إلا عائشة، فذكرت أصحابها، فاقتتلوا، حتى تنادوا فتحاجزوا، ثم رجعوا
فاقتتلوا، وتزاحف الناس، فظهرت يمن البصرة على يمن الكوفة فهزمتهم وربيعة البصرة على
ربيعة الكوفة فهزمتهم، ثم عاد يمن الكوفة فقتل على رايتهم عشرة: خمسة من همدان
وخمسة من سائر اليمن، فلما رأى ذلك يزيد بن قيس أخذها فثبتت في يده. ورجعت

ربيعة الكوفة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل على رايتهم وهم في
الميسرة زيد وعبد الله بن رقبة
وأبو عبيدة ابن راشد بن سلمى وهو يقول: "اللهم أنت هديتنا
من الضلالة، واستنقذتنا من
الجهالة، وابتليتنا بالفتنة، فكنا في شبهة وعلى ريبة" حتى قتل.
واشتد الأمر حتى لزقت ميمنة أهل الكوفة بقلبهم، وميسرة
أهل البصرة بقلبهم، ومنعوا
ميمنة أهل الكوفة أن يختلطوا بقلبهم وإن كانوا إلى جنبهم،
وفعل مثل ذلك ميسرة أهل
الكوفة بميمنة أهل البصرة.
فلما رأى الشجعان من مضر الكوفة والبصرة الصبر تنادوا:
طرفوا إذا فرغ الصبر.
فجعلوا يقصدون الأطراف الأيدي والأرجل فما رؤى وقعة كانت
أعظم منها قبلها ولا
بعدها ولا أكثر ذراعا مقطوعة ورجلا مقطوعة! وأصيبت يد عبد
الرحمن بن عتاب قبل
قتله.
فنظرت عائشة عن يسارها، فقال: من القوم عن يساري؟
فقال صبرة بن شيمان: بنوك
الأزد. قالت: يا آل غسان حافظوا اليوم فجلادكم الذي كنا نسمع
به! وتمثلت:
وجالد من غسّان أهل حفاظها وهنبٌ وأوسٌ جالدت وشبيب
فكانت الأزد يأخذون بعر الجمل فيشمونه ويقولون: بعر جمل
أمنا ريحه ريح المسك!.
وقال لمن عن يمينها: من القوم عن يميني؟ قالوا بكر بن وائل.
قالت: لكم يقول القائل:
وجاءوا إلينا في الحديد كأنّهم من العزّة القعساء بكر بن
وائل
إنما بإزائكم عبد القيس. فاقتتلوا أشد من قتالهم قبل ذلك.
وأقبلت على كتيبة بين يديها فقالت: ويهاً! جمرة الجمرات فلما
رقوا خالطهم بنو عدي بن